ΣVIΨ

٨١٤
٢٠ ح
٤٧١٢

مقامات الحريري ، تأليف الحريري ، القاسم
ابن علي - ٥١٦ هـ . بخط يحيى بن مفتي
عبد الله بن مظفر بن محمد بن شكر الله ١١٦٣هـ
١٣٤ق ١٦س در ٢٠×١٢سم
نسخة جيدة . خطها تعليق حسن ، طبع
الاعلام ٦: ١٦٢ كشف الظنون ٢: ١٧٨٧
١ - المقامات ، أدب اللغة العربية
أ - المؤلف ب - الناسخ ج - تاريخ
النسخ

مكتبة جامعة الملك سعود "قسم المخطوطات"

الرقم : ٤٧١٣ ـ ف ٣/١٠٦٦

العنوان : مقامات الحريري

المؤلف : القاسم بن علي بن محمد الحريري

تاريخ النسخ : ١١٦٣ هـ

اسم الناسخ : يحيى بن مفتي محمد بن مظفر

عدد الأوراق : ١٣٤ ق ـ ٢٠.١٢×١٢ سم

ملاحظات :

حكي ان الغزالي والحريري كانوا اولاد خالات فحج الغزالي سنة

فاجتمع بالحريري فقال له يا ابن الخالة بلغني انك صنفت

كتابا وسميته بالمقامات فقال الحريري نعم فقال له احضره فاحضره فاستوعبه

فلما فرغ قراءته اخذ دواة وكتب

اقسم بالله وآياته ومشعر الحج وميقاته

ان الحريري حري بان نكتب بالتبر مقاماته

وفي بعض النسخ عند رؤيته يضيب

مجيب بكري مقامات الحريري

فقال يجيب قلبي حريري يا غريب

وقفت بابه خمسين يوما

وكتب القسم بن علي محمد الحريري ببغداد في شوال سنة اربع وخمسمائة

فما وجد الحريري الا كوجه قرده

ومن الضرورات تحير اليه

قال الزمخشري في مدح الحريري

اقسم بالله وآياته ومشعر الحج وميقاته

ان الحريري حري بان نكتب بالتبر مقاماته

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انا نحمدك على ما علمت من البيان والهمت من التبيان
كما نحمدك على ما اسبغت من العطاء واسبلت من الغطاء
ونعوذ بك من شرة اللسن وفضول الهذر كما نعوذ
بك من معرة اللكن وفضوح الحصر ونستكفي بك الافتتان
باطراء المادح واغضاء المسامح كما نستكفي بك الانتصاب
لازراء القادح وهتك الفاضح ونستغفرك
من سوق الشهوات الى سوق الشبهات كما نستغفرك
من نقل الخطوات الى خطط الخطيئات ونستوهب
منك توفيقا قائدا الى الرشد وقلبا متقلبا مع الحق
ولسانا متحليا بالصدق ونطقا مؤيدا بالحجة واصابة
ذائدة عن الزيغ وعزيمة قاهرة هوى النفس وبصيرة ندرك
بها عرفان القدر وان تسعدنا بالهداية الى الدراية
وتعضدنا بالاعانة على الابانة وتعصمنا من الغواية في الرواية

وتصرفنا

وتصرفنا عن السفاهة في الفكاهة حتى نأمن حصائد
الالسنة ونكفى غوائل الزخرفة فلا نرد مورد مأثمة
ولا نقف موقف مندمة ولا نرهق بتبعة ولا معتبة
ولا نلجأ الى معذرة عن بادرة اللهم فحقق لنا هذه المنية
وانلنا هذه البغية ولا تضحنا عن ظلك السابغ ولا
تجعلنا مضغة للماضغ فقد مددنا اليك يد المسألة
وبخعنا بالاستكانة لك والمسكنة واستنزلنا كرمك
الجم وفضلك الذي عم بضراعة الطلب وبضاعة الامل ثم
بالتوسل بمحمد سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر الذي
ختمت به النبيين واعليت درجته في عليين ووصفته
في كتابك المبين فقلت وانت اصدق القائلين انه
لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع
ثم امين اللهم فصل عليه وعلى آله الهادين واصحابه
الذين شادوا الدين واجعلنا لهديه وهديهم متبعين
وانفعنا بمحبته ومحبتهم اجمعين انك على كل شيء قدير
وبالاجابة جدير وبعد فانه جرى ببعض اندية الادب
الذي ركدت في هذا العصر ريحه وخبت مصابيحه ذكر
المقامات التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة همذان
رحمه الله وعزا الى ابي الفتح الاسكندري نشأتها والى
عيسى بن هشام روايتها وكلاهما مجهول لا يعرف ونكرة لا تتعرف
فاشار من اشارته حكم وطاعته غنم الى ان انشئ مقامات

اتلوا فيها تلو البديع وان لم يدرك الظالع شأو
الضليع فذاكرته بما قيل في من الف بين كلمتين
ونظم بيتاً او بيتين واستقلت من هذا المقام الذي
فيه يحار الفهم ويفرط الوهم ويسبر غور العقل وتتبين
قيمة المرء ويضطر صاحبه الى ان يكون كحاطب ليل او جالب
رجل وخيل وقلما سلم مكثار او اقيل له عثار فلما
لم يسعف بالاقالة ولا اعفي من المقالة لبيت دعوته تلبية
المطيع وبذلت في مطاوعته جهد المستطيع وانشأت
على ما اعانيه من قريحة جامدة وفطنة خامدة وروية ناضبة
وهموم ناصبة خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله
ورقيق اللفظ وجزله وغرر البيان ودرره وملح الادب
ونوادره الى ما وشحتها به من الآيات ومحاسن الكنايات
ورصعته فيها من الامثال العربية واللطائف الادبية
والاحاجي النحوية والفتاوى اللغوية والرسائل المبتكرة
والخطب المحبرة والمواعظ المبكية والاضاحيك الملهية
مما امليت جميعه على لسان ابي زيد السروجي واسندت
روايته الى الحارث بن همام البصري وما قصدت بالاحماض
فيه الا تنشيط قارئيه وتكثير سواد طالبيه ولم اودعه
من الاشعار الاجنبية الا بيتين فذين اسست عليهما بنية
المقامة الحلوانية وآخرين توأمين ضمنتهما خواتم المقامة
الكرجية وما عدا ذلك فخاطري ابو عذره ومقتضب حلوه

ومره

ومره هذا مع اعترافي بان البديع رحمه الله سباق
غايات وصاحب آيات وان المتصدي بعده لانشاء
مقامة ولو اوتي بلاغة قدامة لا يغترف الا من فضالته
ولا يسري ذلك المسرى الا بدلالته ولله القائل

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وارجو ان لا اكون في هذا الهذر الذي اوردته والمورد
الذي توردته كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن
انفه بكفه فالحق بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في
الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا على
اني وان اغمض لي الفطن المتغابي ونضح عني المحب المحابي
لا اكاد اخلص من غمر جاهل او ذي غمر متجاهل يضع مني
لهذا الوضع ويندد بانه من مناهي الشرع ومن نقد
الاشياء بعين المعقول وانعم النظر في مباني الاصول نظم
هذه المقامات في سلك الافادات وسلكها مسلك
الموضوعات عن العجماوات والجمادات ولم يسمع بمن نبا سمعه
عن تلك الحكايات او اثم رواتها في وقت من الاوقات
ثم اذا كانت الاعمال بالنيات وبها انعقاد العقود
الدينيات فاي حرج على من انشأ ملحا للتنبيه لا للتمويه

ونحا بها منحى التهذيب لا الاكاذيب وهل هو في ذلك
الا بمنزلة من انتدب لتعليم او هدى الى صراط مستقيم

على انني راض بان احمل الهوى ... واخلص منه لا علي ولا ليا

وبالله اعتضد فيما اعتمد واعتصم مما يصم واسترشد
الى ما يرشد فما المفزع الا اليه ولا الاستعانة الا به
ولا التوفيق الا منه ولا الموئل الا هو عليه توكلت
واليه انيب

المقامة الاولى

حدث الحارث بن همام قال لما اقتعدت غارب
الاغتراب وانأتني المتربة عن الاتراب طوحت بي
طوائح الزمن الى صنعاء اليمن فدخلتها خاوي الوفاض
بادي الانفاض لا املك بلغة ولا اجد في جرابي مضغة
فطفقت اجوب طرقاتها مثل الهائم واجول في حوماتها
جولان الحائم وارود في مسارح لمحاتي ومسايح غدواتي
وروحاتي كريما اخلق له ديباجتي او اديبا تفرج رؤيته

وابوح اليه بحاجتي

غمتي وتروي روايته غلتي حتى ادتني خاتمة المطاف
وهدتني فاتحة الالطاف الى ناد رحيب محتو على زحام
ونحيب فولجت غابة الجمع لاسبر مجلبة الدمع فرأيت في
بهرة الحلقة شخصا شخت الخلقة عليه اهبة السياحة
وله رنة النياحة وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع
الاسماع بزواجر وعظه وقد احاطت باخلاط الزمر احاطة

الهالة

الهالة بالقمر والاكمام بالثمر فدلفت اليه لاقتبس
من فوائده والتقط بعض فرائده فسمعته يقول حين خب
في مجاله وهدرت شقاشق ارتجاله ايها السادر في غلوائه
السادل ثوب خيلائه الجامح في جهالاته الجانح الى خزعبلاته
الام تستمر على غيك وتستمرئ مرعى بغيك وحتام
تتناهى في زهوك ولا تنتهي عن لهوك تبارز بمعصيتك
مالك ناصيتك وتجترئ بقبح سيرتك على عالم سريرتك
وتتوارى عن قريبك وانت بمرأى رقيبك وتستخفي
من مملوكك وما تخفى خافية على مليكك اتظن ان ستنفعك
حالك اذا آن ارتحالك او ينقذك مالك حين توبقك
اعمالك او يغني عنك ندمك اذا زلت قدمك او يعطف
عليك معشرك يوم يضمك محشرك هلا انتهجت محجة اهتدائك
وعجلت معالجة دائك وفللت شباة اعتدائك
وقدعت نفسك فهي اكبر اعدائك اما الحمام ميعادك فما
اعدادك وبالمشيب انذارك فما اعذارك وفي اللحد
مقيلك فما قيلك والى الله مصيرك فمن نصيرك طالما
ايقظك الدهر فتناعست وجذبك الوعظ فتقاعست
وتجلت لك العبر فتعاميت وحصحص لك الحق فتماريت
واذكرك الموت فتناسيت وامكنك ان تواسي فما
واسيت تؤثر فلسا توعيه على ذكر تعيه وتختار قصرا
تعليه على بر توليه وترغب عن هاد تستهديه الى زاد

تستهديه وتغلب حب ثوب تشتهيه على ثواب تشتريه يواقيت الصلات اعلق بقلبك من مواقيت الصلاة ومغالاة الصدقات آثر عندك من موالاة الصدقات وصحاف الالوان اشهى اليك من صحائف الاديان ودعابة الاقران آنس لك من تلاوة القرآن تأمر بالمعروف وتنتهك حماه وتحمي عن النكر ولا تتحاماه وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه ثم انشد

تبا لطالب دنيا ثنى اليها انصبابه ... ما يستفيق غراما بها وفرط صبابه
ولو درى لكفاه مما يروم صبابه

ثم انه لبد عجاجته وغيض مجاجته واعتضد شكوته وتأبط هراوته فلما دنت الجماعة الى تحفزه ورأت تأهبه لمزايلة مركزه ادخل كل منهم يده في جيبه فافعم له سجلا من سيبه وقال اصرف هذا في نفقتك او فرقه على رفقتك فقبله منهم مغضيا وانثنى عنهم مثنيا وجعل يودع من يشيعه ليخفى عليهم مهيعه ويسرب من يتبعه لكي يجهل مربعه قال الحرث بن همام فاتبعته مواريا عنه عياني وقفوت اثره من حيث لا يراني حتى انتهى الى مغارة فانساب فيها على غرارة فامهلته ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه فوجدته محاذيا للتلميذ على خبز سميذ وجدي حنيذ وقبالتهما

خابية

خابية نبيذ فقلت يا هذا ايكون ذاك خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ وكاد يتميز من الغيظ ولم يزل يحملق الي حتى خفت ان يسطو علي فلما ان خبت ناره وتوارى اواره انشد

لبست الخميصة ابغي الخبيصه ... وانشبت شصي في كل شيصه
وصيرت وعظي احبولة ... اريغ به القنيص والقنيصه
والجأني الدهر حتى ولجت ... بلطف احتيالي على الليث عيصه
على انني لم اهب صرفه ... ولا نبضت لي منه فريصه
ولا شرعت بي على مورد ... يدنس عرضي نفس حريصه
ولو انصف الدهر في حكمه ... لما ملك الحكم اهل النقيصه

ثم قال لي ادن فكل وان شئت فقم وقل فالتفت الى تلميذه وقلت عزمت عليك بمن تستدفع به الاذى لتخبرني من ذا فقال هذا ابو زيد السروجي سراج الغرباء وتاج الادباء فانصرفت من حيث اتيت وقضيت العجب مما رأيت

المقامة الثانية الحلوانية

حكى الحرث بن همام قال كلفت مذ ميطت عني التمائم ونيطت بي العمائم بان اغشى معان الادب وانضي اليه ركاب الطلب لاعلق منه بما يكون لي زينة بين الانام ومزنة عند الاوام وكنت لفرط اللهج باقتباسه والطمع في تقمص لباسه اباحث كل من جل وقل واستسقي الوبل

والطل والتعلل بعسى ولعل فلما حللت حلوان
وقد بلوت الاخوان وسبرت الاوزان وخبرت
ما شان وزان الفيت بها ابا زيد السروجي يتقلب
في قوالب الانتساب ويخبط في اساليب الاكتساب
فيدعي تارة انه من آل ساسان ويعتزي مرة الى
اقيال غسان ويبرز طورا في الشعراء ويلبس
حينا كبر الكبراء بيد انه مع تلون حاله وتبين محاله
يتحلى برواء ورواية ومداراة ودراية وبلاغة
رائعة وبديهة مطاوعة وآداب بارعة وقدم
لاعلام العلوم فارعة فكان لمحاسن آلاته يلبس
على علاته ولسعة روايته يصبى الى رؤيته ولخلابة
عارضته يرغب عن معارضته ولعذوبة ايراده
يسعف بمراده فتعلقت باهدابه لخصائص آدابه
في مصافاته لنفائس صفاته

فكنت به اجلو همومي واجتلي ... زمانا طليق الوجه ملتمع الضيا
ارى قربه قربى ومغناه غنية ... ورؤيته ريا ومحياه لي حيا

ولبثنا على ذلك برهة ينشئ لي في كل يوم نزهة ويدرأ
عن قلبي شبهة الى ان جدحت له يد الاملاق كاس الفراق
واغراه عدم العراق بتطليق العراق ولفظته معاوز
الارفاق الى مغاوز الآفاق ونظمه في سلك
الرفاق خفوق راية الاخفاق فشحذ للرحلة غرار عزيمته

شعار

ونافست

وظعن

وظعن يقود القلب بازمته

فما راقني من لاقني بعد بعده ... ولا شاقني من ساقني لوصاله
ولا لاح لي مذ ند ند لفضله ... ولا ذو خلال حاز مثل خلاله

واستسر عني حينا لا اعرف له عرينا ولا اجد عنه
مبينا فلما ابت من غربتي الى منبت شعبتي حضرت
دار كتبها التي هي منتدى المتادبين وملتقى
القاطنين منهم والمتغربين فدخل ذو لحية كثة وهيئة رثة
على الجلاس وجلس في آخريات الناس واخذ يبدي ما في
وطابه ويعجب الحاضرين بفصل خطابه فقال لمن يليه
ما الكتاب الذي تنظر فيه فقال ديوان ابي عبادة المشهود
له بالاجادة فقال هل عثرت له فيما لمحته على بديع استملحته
فقال نعم قوله

كانما يبسم عن لؤلؤ ... منضد او برد او اقاح

فانه ابدع في التشبيه المودع فيه فقال يا للعجب ولضيعة
الادب لقد استسمنت يا هذا ذا ورم ونفخت في غير
ضرم اين انت عن البيت النادر الجامع مشبهات الثغر

وانشد

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه ... وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد ... وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

فاستجاده من حضر واستحلاه واستعاده منه واستملاه
وسئل لمن هذا البيت وهل حي قائله ام ميت فقال ايم

فسلم

انه للحق احق ان يتبع وللصدق حقيق بان يستمع
يا قوم لتخبركم منذ اليوم قال فكان الجماعة ارتابت
بعزوته وابت تصديق دعوته فتوجس ما هجس في افكارهم
وفطن لما بطن من استنكارهم وحاذر ان يفرط اليه ذم
فقرأ ان بعض الظن اثم ثم قال يا رواة القريض واساة
القول المريض ان خلاصة الجوهر تظهر بالسبك ويد الحق تصدع
رداء الشك وقد قيل فيما غبر من الزمان عند الامتحان
يكرم الرجل او يهان وها انا قد عرضت خبيئتي للاختبار
وعرضت حقيبتي على الاعتبار فابتدر احد من حضر
وقال اعرف بيتا لم ينسج على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله
فان آثرت اختلاب القلوب فانظم على هذا الاسلوب

وانشد

فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت ... وردا وعضت على العناب بالبرد

فلم يكن الا كلمح البصر او اقرب حتى انشد فاغرب
سالتها حين زارت نضو برقعها القاني وايداع سمعي
اطيب الخبر فزحزحت شفقا غشى سنا قمر وساقطت
لؤلؤا من خاتم عطر فحار الحاضرون لبداهته واعترفوا
بنزاهته فلما انس استئناسهم بكلامه وانصبابهم الى شعب
اكرامه اطرق كطرفة العين ثم قال ودونكم بيتين آخرين

وانشد

واقبلت يوم جد البين في حلل ... سود تعض بنان النادم الحصر

فلاح

فلاح ليل على صبح اقلهما ... غصن وضرست البلور بالدرر

فحينئذ استبى القوم قيمته واستغزروا ديمته واجملوا
عشرته وجملوا قشرته قال المخبر بهذه الحكاية فلما رأيت
تلهب جذوته وتألق جلوته امعنت النظر في توسمه وسرحت
الطرف في ميسمه فاذا هو شيخنا السروجي وقد اقمر ليله الدجوجي
فهنأت نفسي بمورده وابتدرت استلام يده وقلت له ما الذي
احال صفتك حتى جهلت معرفتك واي شيء شيب لحيتك
حتى انكرت حليتك فانشا يقول

وقع الشوائب شيب ... والدهر بالناس قلب
ان دان يوما لشخص ... ففي غد يتغلب
فلا تثق بوميض من برقه فهو خلب ... واصبر اذا هو اضرى بك الخطوب وألب
فما على التبر عار ... في النار حين يقلب

ثم نهض مفارقا موضعه ومستصحبا القلوب معه

المقامة الثالثة

روى الحرث بن همام قال نظمني واخدانا ناد لم يخب فيه مناد
ولا كبا قدح زناد ولا ذكت نار عناد فبينا نحن نتجاذب
اطراف الاناشيد ونتوارد طرف الاسانيد اذ وقف بنا شخص
عليه سمل وفي مشيته قزل فقال يا اخاير الذخائر وبشائر العشائر
عموا صباحا وانعموا اصطباحا وانظروا الى من كان ذا
ندي وندى وجدة وجدى وعقار وقرى ومقار
وقرى فما زال به قطوب الخطوب وحروب الكروب وشرر
شر الحسود وانتياب النوب السود حتى صفرت الراحة وقرعت الساحة

وغار المنبع ونبا المرتع واقوى المجمع واقضّ المضجع واستحال الحال واعول العيال وخلت المرابط ورحم الغابط واودى الناطق والصامت ورثى لنا الحاسد والشامت والى الدهر الموقع والفقر المدقع الى ان احتذينا الوجى واغتذينا الشجى واستبطنّا الجوى وطوينا الاحشاء على الطوى واكتحلنا السهاد واستوطنّا الوهاد واستوطأنا القتاد وتناسينا الاقتاد واستطبنا الحين المجتاح واستبطأنا اليوم المتاح فهل من حرٍّ آسٍ او سمحٍ مواسٍ فوالذي استخرجني من قيلة لقد امسيت اخا عيلة لا املك بيت ليلة قال الحرث بن همام فأويت لمفاقره ولويت الى استنباط فقره فابرزت له دينارا وقلت له اختبارا ان مدحته نظما فهو لك حتما فانبرى ينشد في الحال من غير انتحال

اكرم به اصفر راقت صفرته ... جوّاب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته ... قد اودعت سرّ الغنى اسرّته
وقارنت نجح المساعي خطرته ... وحبّبت الى الانام غرّته
كانما من القلوب نقرته ... به يصول من حوته صرّته
وان تفانت او توانت عترته ... يا حبّذا نضاره ونضرته
وحبّذا مغناته ونصرته ... كم آمر به استتبّت امرته
ومترف لولاه دامت حسرته ... وجيش همّ هزمته كرّته
وبدر تمّ انزلته بدرته ... ومستشيط تتلظّى جمرته

اسرّ نجواه فلانت شرّته ... وكم اسير اسلمته اسرته
انقذه حتى صفت مسرّته ... وحقّ مولى ابدعته فطرته
لولا التقى لقلت جلّت قدرته

ثم بسط يده بعد ما انشده وقال انجز حرٌّ ما وعد وسحّ خالٌ اذ رعد فنبذت الدينار اليه وقلت خذه غير مأسوف عليه فوضعه في فيه وقال بارك اللهم فيه ثم شمّر للانثناء بعد توفية الثناء فنشأت لي من فكاهته نشوة غرام سهّلت على ائتناف اغترام فجرّدت دينارا آخر وقلت هل لك ان تذمّه ثم تضمّه فانشد مرتجلا وشدا عجلا

تبّاً له من خادع مماذق ... اصفر ذي وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق ... زينة معشوق ولون عاشق
وحبّه عند ذوي الحقائق ... يدعو الى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم تقطع يمين سارق ... ولا بدت مظلمة من فاسق
ولا اشمأزّ باخل من طارق ... ولا شكا الممطول مطل العائق
ولا استعيذ من حسود راشق ... وشرّ ما فيه من الخلائق
ان ليس يغني عنك في المضايق ... الا اذا فرّ فرار الآبق
واهاً لمن يقذفه من حالق ... ومن اذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحقّ الصادق ... لا رأي في وصلك لي ففارق

فقلت له ما اغزر وبلك فقال والشرط املك فنفحته بالدينار الثاني وقلت له عوّذهما بالمثاني فالقاه في فمه وقرنه بتوأمه

واكتفى بحمد مغزاه ويمدح النادي ونداه قال الحرث
ابن همام فناجاني قلبي بانه ابو زيد وان تعارجه لكيد
فاستعدته وقلت له قد عرفت بوشيك فاستقم في
مشيك فقال ان كنت ابن همام فحييت باكرام وحييت
بين كرام فقلت انا الحرث فكيف حالك والحوادث
فقال اتقلب في الحالين بؤس ورخاء وانقلب مع الريحين
زعزع ورخاء فقلت كيف ادعيت القزل وما مثلك
من هزل فاستسر بشره الذي كان تجلى ثم انشد حين ولى

تعارجت لا رغبة في العرج ... ولكن لاقرع باب الفرج
والقي حبلي على غاربي ... واسلك مسلك من قد مرج
فان لامني القوم قلت اعذروا ... فليس على اعرج من حرج

المقامة الرابعة الدمياطية

خبر الحرث بن همام قال ظعنت الى دمياط عام هياط
ومياط وانا يومئذ مرموق الرخاء موموق الاخاء
اسحب مطارف الثراء واجتلي معارف السراء فرافقت
صحبا قد شقوا عصا الشقاق وارتضعوا افاويق
الوفاق حتى لاحوا كاسنان المشط في الاستواء و
كالنفس الواحد في التئام الاهواء وكنا مع ذلك نسير النجاء
ولا نرحل الا كل هوجاء واذا نزلنا منزلا او وردنا
منهلا اختلسنا اللبث ولم نطل المكث فعن لنا
اعمال الركاب في ليلة فتية الشباب غدافية الاهاب

فاسرنا

فاسرينا الى ان نضا الليل شبابه وسلت الصبح
خضابه فحين مللنا السرى وملنا الى الكرى صادفنا
ارضا مخضلة الربا معتلة الصبا فتخيرناها مناخا
للعيس ومحطا للتعريس فلما حلها الخليط وهدا بها
الاطيط والغطيط سمعت صيتا من الرجال يقول
لسميره في الرحال كيف حكم سيرتك مع جيلك وجيرتك
فقال ارعى الجار ولو جار وابذل الوصال لمن صال واحتمل
الخليط ولو ابدى التخليط واود الحميم ولو جرعني
الحميم وافضل الشفيق على الشقيق وافي للعشير وان لم
يكافي بالعشير واستقل الجزيل للنزيل واغمر الزميل بالجميل
وانزل سميري منزلة اميري واحل انيسي محل رئيسي
واودع معارفي عوارفي واولي مرافقي مرافقي والين
مقالي للقالي واديم تسآلي عن السالي وارضى
من الوفاء باللفاء واقنع من الجزاء باقل الاجزاء ولا اتظلم
حين اظلم ولا انقم ولو لدغني الارقم فقال له صاحبه
ويك يا بني انما يضن بالضنين وينافس في الثمين
لكن انا لا آتي غير المواتي ولا اسم العاتي بمراعاتي
ولا اصافي من يابى انصافي ولا اواخي من يلغي الاواخي
ولا امالي من يخيب آمالي ولا ابالي بمن صرم حبالي ولا اداري
من جهل مقداري ولا اعطي زمامي من يخفر ذمامي
ولا ابذل ودادي لاضدادي ولا ادع ايعادي للمعادي

ولا أغرس الأيادي في أرض الأعادي ولا أسمح بمواساتي
لمن يفرح بمأساتي ولا أرى التفاتي إلى من يشمت
بوفاتي ولا أخص بحبائي الأحبائي ولا أستطب
لدائي [illegible] ملك خلتي من لا يستر خلتي ولا
[illegible] نيتي ولا أخلص دعائي لمن لا يفعم
وعائي ولا أفرغ ثنائي على من يفرغ إنائي ومن حكم بأن أبذل
وتخزن وألين وتخشن وأذوب وتجمد وأذكو وتخمد لا والله
بل نتوازن في المقال ونتحاذى في الفعال حتى
نأمن التغابن ونكفى التضاغن وإلا فلم أعلك وتعلني
وأقلك وتستقلني وأجترح لك وتجرحني وأشرح إليك
وتسرحني وكيف تجتلب إنصاف بتضيم وإني تشرق شمس مع غيم
ومتى أصحب وذعف وأي حر رضي بخطة خسف ولله أبوك
إذ يقول

جزيت من أعلق بي وده … جزاء من يبني على أسه
وكلت للخل كما كال لي … على وفاء الكيل أو بخسه
ولم أخسره وشر الورى … من يومه أخسر من أمسه
وكل من يطلب عندي جنى … فماله إلا جنى غرسه
لا أبتغي الغبن ولا أنثني … بصفقة المغبون في حسه
ولست بالموجب حقا لمن … لا يوجب الحق على نفسه
ورب مذاق الهوى خالني … أصدقه الود على لبسه
وما درى من جهله أنني … أقضي غريمي الدين من جنسه

فاهجر

فاهجر من استغناك هجر القلى … وهبه كالملحود في رمسه
والبس لمن في وصله لبسة … لبس من يرغب عن أنسه
ولا ترج الود ممن يرى … أنك محتاج إلى فلسه

قال الحرث بن همام فلما وعيت ما دار بينهما تقت إلى أن
أعرف عينهما فلما لاح ابن ذكاء وألحف الجو الضياء غدوت
قبل استقلال الركاب ولا اعتداء الغراب وجعلت أستقري
صوب الصوت الليلي وأتوسم الوجوه بالنظر الجلي إلى أن
لمحت أبا زيد وابنه يتحادثان وعليهما بردان رثان فعلمت
أنهما نجيا ليلتي وصاحبا رأيي فقصدتهما قصد
كلف بدماثتهما راث لرثاثتهما وأجتهما التحول إلى رحلي
والحكم في كثري وقلي وطفقت أستر بين السيارة فضلهما
وأهز الأعواد المثمرة لهما حتى غمرا بالنحلان واتخذا
من الخلان وكنا بمعرس تتبين منه بنيان القرى وتتنور
نيران القرى فلما رأى أبو زيد امتلاء كيسه وانجلاء
بؤسه قال لي إن بدني قد اتسخ ودرني قد رسخ أفتأذن
لي في قصد قرية لأستحم وأقضي هذا المهم فقلت إذا شئت
فالسرعة السرعة والرجعة الرجعة فقال ستجد مطلعي عليك
أسرع من ارتداد طرفك إليك ثم استن استنان الجواد في
المضمار وقال لابنه بدار بدار ولم نخل أنه غر وطلب المفر
فلبثنا نرقبه رقبة الأعياد ونستطلعه بالطلائع والرواد

الى ان هرم النهار وكاد جرف اليوم ينهار فلما طال
امد الانتظار ولاحت الشمس في الاطمار قلت لاصحابي
قد تناهينا في المهلة وتمادينا في الرحلة الى ان اضعنا
الزمان وبان ان الرجل قد مان فتاهبوا للظعن ولا تلووا
على خضراء الدمن ونهضت لاحدج راحلتي واتحمل لرحلتي
فوجدت ابا زيد قد كتب على القتب

يامن غدا لي شاغلا | وساعدا دون البشر
لا تحسبن اني نايت | عن ملال او اشر
لكنني مذ لم ازل | ممن اذا طعم انتشر

قال فاقرأت الجماعة القتب ليعذره من كان عتب
فعجبوا من جرافته وتعوذوا من آفته ثم انا ظعنا
ولم ندر من اعتاض عنا

المقامة الخامسة

الكوفية

حدث الحرث بن همام قال سمرت بالكوفة في ليلة اديمها
ذو لونين وقمرها كتعويذ من لجين مع رفقة غذوا
بلبان البيان وسحبوا على سحبان ذيل النسيان
ما فيهم الا من يحفظ عنه ولا يتحفظ منه ويميل الرفيق
اليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر الى ان غاب
القمر وغلب السهر فلما روق الليل البهيم ولم يبق الا
التهويم سمعنا من الباب نباة مستنبح ثم تلتها صكة
مستفتح فقلنا من الملم في الليل المدلهم فقال

يا اهل ذا المغنى وقيتم شرا | ولا لقيتم ما بقيتم ضرا
قد دفع الليل الذي اكفهرا | الى ذراكم شعثا مغبرا
اخا سفار طال واسبطرا | حتى انثنى محقوقفا مصفرا
مثل هلال الافق حين افترا | وقد عرا فناءكم معترا
وامكم دون الانام طرا | يبغي قرى منكم ومستقرا
فدونكم ضيفا قنوعا حرا | يرضى بما احلولى وما امرا
وينثني عنكم ينث البرا

قال الحرث بن همام فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا
ما وراء برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه بالترحاب
وقلنا للغلام هيئ هيئ وهلم ما تهيأ فقال الضيف
والذي احلني ذراكم لا تلمظت بقراكم او تضمنوا لي الا تتخذوني
كلا ولا تجشموا لاجلي اكلا فرب اكلة هاضت الاكل وحرمته
ما اكل وشر الاضياف من سام المضيف وخصوصا
اذى يتعلق بالاجسام ويفضي الى الاسقام وما قيل في
المثل الذي سار سايره خير العشاء سوافره الا ليعجل
التعشي ويجتنب اكل الليل الذي يعشي اللهم الا ان
تتقد نار الجوع وتحول دون الهجوع قال فكانه اطلع
على ارادتنا فرمى عن قوس عقيدتنا لا جرم انا آنسناه
بالتزام الشرط واثنينا على خلقه السبط ولما احضر الغلام
ما راج واذكى بيننا السراج تاملته فاذا هو ابو زيد
فقلت لصحبي ليهنكم الضيف الوارد بل المغنم البارد

فان يكن قد افل قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعر او
استسر بدر النثرة فقد تبلج بدر النثر فسرت حميا
المسرة فيهم وطارت السنة عن ماقيهم ورفضوا
الدعة التي كانوا نووها وثابوا الى نشر الفكاهة بعد
ما كانوا طووها وابو زيد مكب على اعمال يديه حتى اذا
استرفع ما لديه قلت اطرفنا بغريبة من غرايب اغمارك
او عجيبة من عجايب اسفارك فقال لقد بلوت من العجايب
ما لم يره الراؤن ولا رواه الراوون من اعجبها ما عاينته
الليلة قبيل انتيابكم ومصيري الى بابكم فاستخبرناه عن
طرفة مراه في مسرح مسراه فقال ان مرامي الغربة لفظتني
الى هذه التربة وانا ذو مجاعة وبوسي وجراب كفؤاد
ام موسى فنهضت حين سجى الدجى على ما بي من الوجى
لارتاد مضيفا او اقتاد رغيفا فاقتني حادي
السغب والقضا المكني ابا العجب الى ان وقفت على باب دار

فقلت حفظ

حييتم يا اهل هذا المنزل
وعشتم في ظل عيش خضل
ما عندكم لابن سبيل مرمل
نضو سرى خابط ليل اليل
جوى الحشا على الطوى مشتمل
ما ذاق مذ يومان طعم ماكل
ولا له في ارضكم من موئل
وقد دجا جنح الظلام المسبل
وهو من الحيرة في تململ
فهل بهذا الربع عذب المنهل
يقول لي القي عصاك وادخل
وابشر ببشر وقرى معجل

قال فبرز الي جوذر عليه شوذر وقال

وحرمة الشيخ الذي سن القرى
واسس المحجوج في ام القرى
ما عندنا لطارق اذا عرى
سوى الحديث والمناخ في الذرى
وكيف يقري من نفى عنه الكرى
طوى برى اعظمه لما انبرى
فما ترى فيما ذكرت ما ترى

فقلت ما اصنع بمنزل قفر ومنزل حلف فقر ولكن يا فتى
ما اسمك فقد فتنني فهمك فقال اسمي زيد ومنشاي
فيد ووردت الى هذه المدرة امس مع اخوالي من بني
عبس فقلت له زدني ايضاحا عشت ونعشت فقال
اخبرتني امي برة وهي كاسمها برة انها نكحت عام الغارة
بماوان رجلا من سراة سروج وغسان فلما انس منها الاثقال
وكان باقعة على ما يقال ظعن عنها سرا وهلم جرا فما يعرف
احي هو فيتوقع ام اودع اللحد البلقع قال ابو زيد فعلمت
بصحة العلامات انه ولدي وصدفني عن التعرف اليه
صفر يدي ففصلت عنه بكبد مرضوضة ودموع مفضوضة
فهل سمعتم يا اولي الالباب اعجب من هذا العجاب فقلنا لا ومن
عنده علم الكتاب فقال اثبتوها في عجايب الاتفاق وخلدوها
بطون الاوراق فما سير مثلها في الافاق فاحضرنا الدواة
واساودها ورقشنا الحكاية على ما سردها ثم استنبطناه
عن مرتاه في استضمام فتاه فقال اذا اثقل ردني خف علي
ان اكفل ابني فقلنا ان كان يكفيك نصاب من المال الفناه

في الحال فقال وكيف لا يقنعني نصاب وهل يخفى قمر

قال الراوي فالتزم منه كل منا قسطا وكتب له به قطا فشكر عند ذلك الصنيع واستنفد في الثناء الوسع حتى اننا استطلنا القول واستقللنا الطول ثم انا لنشرنا من وشي السمر ما ازرى بالحبر الى ان اظل التنوير وجشر الصبح المنير فقضيناها ليلة غابت شوائبها الى ان شابت ذوائبها وكمل سعودها الى ان انفطر عودها ولما ذر قرن الغزالة طمر طمور الغزالة وقال انهض بنا لنقبض الصلة ونستنض الاحالات فقد استطارت صدوع كبدي من الحنين الى ولدي فوصلت جناحه حتى سنيت نجاحه فحين احرز العين في صرته برقت اسارير مسرته وقال لي جزيت خيرا عن خطى قدميك والله خليفتي عليك فقلت اريد ان اتبعك لاشاهد ولدك النجيب واناقشه لكي يجيب فنظر الي نظرة الخادع الى المخدوع وضحك حتى تغرغرت عيناه بالدموع ثم انشد

يا من تظنى السراب ماء	لما رويت الذي رويت
ما خلت ان يستسر مكري	وان يخيل الذي عنيت
والله ما برة بعرسي ولا	لي ابن به اكتنيت
وانما لي فنون سحر	ابدعت فيها وما اقتديت
لم يحكها الاصمعي فيما	حكى ولا حاكها الكميت

تخيرتها

تخيرتها وصلة الى ما	اجتنيه كفي متى اشتهيت
ولو تعافيتها لحالت	حالي ولم احو ما حويت
فمهد العذر او فسامح	ان كنت اجرمت او جنيت

ثم انه ودعني ومضى واودع قلبي جمر الغضا

المقامة السادسة وهي الخيفاء

روى الحرث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وارباب البراعة على انه لم يبق من ينقح الانشاء ويتصرف فيه كيف شاء ولا خلف بعد السلف من يبتدع طريقة غراء او يفترع رسالة عذراء وان المفلق من كتاب هذا الاوان المتمكن من ازمة البيان كالعيال على الاوائل ولو ملك فصاحة سحبان وائل وكان بالمجلس كهل جالس في الحاشية وعند موقف الحاشية فكان كلما اشتط القوم في شوطهم ونشروا العجرة والبجرة من نوطهم ينبئ تخازر طرفه وتشامخ انفه انه مخرنبق لينباع ومجرمز سيمتد الباع ونابض يبري النبال وربض يبغي النضال فلما نثلت الكنائن وفاءت السكائن وركدت الزعازع وكف المنازع اقبل على الجماعة وقال لقد جئتم شيئا ادا وجرتم عن القصد جدا وعظمتم العظام الرفات وافتنتم في الميل الى من فات وغمصتم جيلكم الذي لكم فيه اللدات ومعهم انعقدت المودات اتنسون يا جهابذة النقد

ومواثبة الحل والعقد ما أبرزته طوارف القراح
وبرز فيه الجذع على القارح من العبارات المهذبة
والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشحة و
الأساجيع المستملحة وهل للقدماء إذا أنعم النظر من حضر
غير المعاني المطروقة الموارد المعقولة الشوارد المأثورة
عنهم لتقادم المولد لا لتقدم الصادر على الوارد
وإني لأعرف الآن من إذا أنشأ وشّى وإذا عبّر حبّر
وإن أسهب أذهب وإذا أوجز أعجز وإن بده شده
ومتى اخترع خرع فقال له ناظورة الديوان وعين
أولئك الأعيان من قارع هذه الصفاة وقريع
هذه الصفات فقال إنه قرن مجالك وقرين جدالك
وإذا شئت فرض نجيبا وادع مجيبا لترى عجيبا
فقال له يا هذا إن البغاث بأرضنا لا يستنسر والتمييز
عندنا بين الفضة والقضة متيسر وقلّ من استهدف
للنضال فخلص من الداء العضال أو استثار نقع الانتحال
فلم يقذ بالاتهاب فلا تعرض عرضك للمفاضح ولا
تعرض عن نصاحة الناصح فقال كل امرئ أعرف بوسم
قدحه وسيتفرى الليل عن صبحه فتناجت الجماعة فيما يسبر
قليبه وينجد فيه تقليبه فقال أحدهم ذروه في حصتي
لأرميه بحجر قضتي فإنها عضلة العقد ومحك المنتقد
فقلدوه في هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة

فأقبل

فأقبل على الكهل وقال اعلم أنني أوالي هذا الوالي
وأرجّي حالي بالبيان الحالي وكنت استعنت على تقويم
أودي في بلدي ببقعة ذات يدي مع قلة عددي
فلما ثقل حاذي ونفد رذاذي أممته من
أرجائي برجائي ودعوته لإعادة روائي وإرواء
فهشّ للوفادة وراح وغدا بالإفادة وراح فلما
استأذنته في المراح إلى المراح على كاهل المراح قال
قد أزمعت ألا أزودك بتاتا ولا أجمع لك شتاتا
أو تنشئ أمام ارتحالك رسالة تودعها شرح حالك
حروف إحدى كلمتيها يعمها النقط وحروف الأخرى
لم يعجمن قط وقد استأنيت بها في حولا فما أحار قولا ونبهته
فكري سنة فما ازداد إلا سنة واستعنت بقاطبة
الكتاب فكل منهم قطب وتاب فإن كنت صدعت عن
وصفك باليقين فأت بآية إن كنت من الصادقين
فقال لقد استسعيت يعبوبا واستقيت أسكوبا وأعطيت
القوس باريها وأنزلت الدار بانيها ثم فكر ريثما استجم
قريحته واستدر لقحته وقال له ألق دواتك وأحضر أداتك
واكتب الكرم ثبت الله جيش سعودك يزين واللؤم
غض الدهر جفن حسودك يشين والأروع يثيب
والمعور يخيب والجلاحل يضيف والماحل يخيف والسمح
يغذي والمحك يقذي والعطاء ينجي والمطال يشجي

والدعاء يُتقى والمدح يُنقى والحر يجزي والالطاط
يُخزي واطّراح ذي الحرمة غيّ ومحرمة بني الآمال
بغيٌ وما ضنّ الا غبين الا ضنين ولا حزن الا شقي
ولا قبض راحة تقي وما فتئ وعدك يفي وآراؤك
تشفي وحماك يغضي وهلالك يضيء وآلاؤك تغني
واعداؤك تثني وحمامك يفني وسوددك يبني
ومواصلك يحيى ومادحك يغنى وسماحك يعيب
وسعاؤك تغيث وردك يغيض وزندك يغيض ومؤملك
شيخ حكاه فيء ولم يبق له شيء ألمك يظعن جرضه يثيب
وعدّ خلك يخيب مشهورها تجب ومرامه يخيف واواصره
تستشف واطراؤه يجتذب وعلامه يجتنب ووراه ظفف
منهم شظف وحصصهم خنف وعمهم قشف وهو في دمع يجيب
ووله يذيب وهم يضيف وكمد ينيف لمأمول خيّب
واهمال شيّب وعدو نيّب وهزء وتعيب ولم يرغ
ودّه فيغضب ولا خبث عوده فيقضب ولا تفث
صدره فينقض ولا نشز وصله فينغض وما يقتضي
كرمك نبذ حرمه فيبض امله بتخفيف المه ينبث حمدك
بين عالمه بقيت لاماطة تشجب واعطاء نشب ومداواة
شجن ومراعاة يفن موصولا بخفض وسرور غضّ ما غشي
معهد غني او خشي وهم غني والسلم فلما فرغ من املاء
رسالته وجلّى في حلبة البلاغة عن بسالته ارضته الجماعة

فعلا

فعلا وقولا واوسعته حفاوة وطولا ثم سُئل من اي
الشعوب نجاره وفي اي الشعاب وجاره فقال

غسان اسرتي الصميمة ... وسروج تربتي القديمة
فالبيت مثل الشمس اشـ ... ـراقا ومنزلة جسيمة
والربع كالفردوس مطـ ... ـيبة ومنزهة وقيمة
واهًا لعيش كان لي ... فيها ولذات عميمة
ايام اسحب مطرفي ... في روضها ماضي العزيمة
اختال في برد الشبا ... ب واجتلي النعم الوسيمة
لا اتقي نوب الزما ... ن ولا حوادثه المليمة
فلو ان كربا متلف ... لتلفت من كربي المقيمة
او يفتدى عيش مضى ... لفدته مهجتي الكريمة
فالموت خير للفتى ... من عيشه عيش البهيمة
تقتاده برة الصغا ... ر الى العظيمة والهضيمة
ويرى السباع تنوشها ... ايدي الضباع المستضيمة
والذنب للايام لو ... لا شومها لم تنب شيمة
ولو استقامت كانت الـ ... احوال فيها مستقيمة

ثم ان خبره نمى الى الوالي فملا فاه باللآلي وسامه ان ينضوي
الى اخبائه ويلي ديوان انشائه فحبته الحباء وظلفه
عن الولاية الاباء قال الراوي وكنت عرفت عود شجرته
قبل ايناع ثمرته وكدت انبّه على قدره قبل استنارة بدره
فاوحى الي ايماض جفنه ان لا اجرد عضبه من جفنه فلما خرج

بطين الحرج وفصل فائزا بالفلج شيعته قاضيا حق
الرعاية ولاحيته على رفض الولاية فاعرض متبسما
وانشد مترنما

لجوب البلاد مع المتربة ... احب الي من المرتبة
لان الولاة لهم نبوة ... ومعتبة يا لها معتبة
وما فيهم من يرب الصنيع ... ولا من يشيد ما رتبه
فلا يخدعنك لموع السراب ... ولا تأت امرا اذا ما اشتبه
فكم حالم سره حلمه ... فادركه الروع لما انتبه

المقامة السابعة

حكى الحرث بن همام قال ازمعت الشخوص من برقعيد
وقد شمت برق عيد فكرهت الرحلة عن ملك المدينة
دون ان اشهد بها يوم الزينة فلما اظل بفرضه ونفله
واجلب بخيله ورجله اتبعت السنة في لبس الجديد
وبرزت مع من برز للتعييد وحين التأم جمع المصلي
وانتظم واخذ الزحام بالكظم طلع شيخ في شملتين محجوب
وقد اعتضد شبه المخلاة واستقاد للعجوز كالسعلاة فوقف
وقفة متهافت وحيّا تحية خافت ولما فرغ من دعائه
اجال خمسه في وعائه فابرز منه رقاعا قد كتبن بالوان
الاصباغ في اوان الفراغ فناولهن عجوزه الحيزبون و
امرها بان تتوسم الزبون فمن انست ندى يديه القت ورقة
منهن لديه قال فاتاح لي القدر المعتب رقعة فيها مكتوب

لقد

لقد اصبحت موقوذا باوجاع واوجال ... وممنوا بمختال ومحتال ومغتال
وخوان من الاخوان قال لاقلالي ... واعمال من العمال في تضليل اعمالي
فكم اصلى باذحال وامحال وترحال ... وكم اخطر في بال ولا اخطر في بالي
فليت الدهر لما جار اطفا مصباح اطفالي ... فلولا ان اشبالي علالي واغلالي
لما جهزت آمالي الى آل ولا آلي ... ولا جررت اذيالي على مسحب اذلالي
فمحرابي احرابي واسمالي اسمالي ... فهل حر يرى تخفيف اثقالي بمثقال
ويطفي حر بلبالي بسربال وسروالي

قال الحرث بن همام فلما استعرضت حلة الابيات تقت الى معرفة
ملحمها وراقم علمها فناجاني فكري بان الوصلة اليه العجوز
وافتاني بان حلوان المعرف يجوز فرصدتها وهي تستقري
الصفوف صفا صفا وتستوكف الاكف كفا كفا وما ان نجح
يرشح على يدها اناء فلما اكدى استعطافها وكدها مطافها
عاذت بالاسترجاع ومالت الى ارتجاع الرقاع فانساها الشيطان
ذكر رقعتي فلم تعج الى بقعتي وابت الى الشيخ باكية للحرمان
تتحامل الزمان فقال انا لله وافوض امري الى الله ولا حول
ولا قوة الا بالله

لم يبق صاف ولا مصاف ... ولا معين ولا معين
وفي المساوي بدا التساوي ... فلا امين ولا ثمين

ثم قال لها منّي النفس وعديها واجمعي الرقاع وعديها فقالت
لقد عددتها لما استعدتها فوجدت يد الضياع قد غالت
احدى الرقاع فقال تعسا لك يا لكاع احرم ويحك القنص والحبالة
والقبس والذبالة انها لضغث على ابالة فانصاعت تقتص

تتبع

مدرجها وتنشد مدرجها فلما دانتني قرنت بالرقعة درهما
وقطعة وقلت لها ان رغبت في المشوف المعلم فبوحي
بالسر المبهم وان ابيت ان تشرحي فخذي
القطعة واسرحي فمالت الى استخلاص البدر التم والابلج الشهم
وقالت دع جدالك وسل عما بدا لك فاستطلعتها طلع الشيخ
وبلدته والشعر وناسج بردته فقالت ان الشيخ من اهل سروج
وهو الذي وشى الشعر المنسوج ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق
ومرقت مروق السهم الراشق فخالج قلبي ان ابا زيد هو المشار
اليه وتاجج كربي لمصابه بناظريه وآثرت ان افاجيه
واناجيه لاعجم عود فراستي فيه وما كنت لاصل اليه الا بتخطي
رقاب الجمع المنهي عنه في الشرع وعفت ان يتاذى بي قوم
او يسري الي لوم فسدكت بمكاني وجعلت شخصه قيد عياني
الى ان انقضت الخطبة وحقت الوثبة فخففت اليه وتوسمته
على التجام خفية فاذا المعيته لمعية بن عباس وفراسة
اياس فعرفته حينئذ بتشخصي وآثرته باحد قمصي
واهبت به الى قرصي فهش لعارفتي وعرفاني ولبى
دعوة رغفاني وانطلق ويدي زمامه وظلي امامه
والعجوز ثالثة الاثافي والرقيب الذي لا يخفى عليه خافي
ولما استخلص وكنتي واحضرته نجالة ثقلتي قال يا حارث
امعنا ثالث فقلت ليس الا العجوز فقال ما دونها ستر
مجوز ثم فتح كريمته ورنا بتوأمتيه فاذا سراجا

وجهه

وجهه يتقدان كانهما الفرقدان فابتهجت بسلامة
بصره وعجبت من غرائب سيره ولم يلقني قرار ولا
طاوعني اصطبار حتى سألته ما دعاك الى التعامي
مع سيرك في المعامي وجوبك الموامي وايغالك
في المرامي فتظاهر باللكنة وتشاغل باللهنة حتى
اذا قضى وطره اتاح لي نظره وانشد
ولما تعامى الدهر وهو ابو الورى عن الرشد
في انحائه ومقاصده تعاميت حتى قيل اني اخو عمى
ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والده ثم قال لي
انهض الى المخدع فأتني بغسول يروق الطرف
وينقي الكف وينعم البشرة ويعطر النكهة ويشد
اللثة ويقوي المعدة وليكن نظيف الظرف اريج
العرف فتي الدق ناعم السحق يحسبه اللامس ذرورا وتخاله
الناشق كافورا واقرن به خلالة نقية الاصل محبوبة
الوصل انيقة الشكل مدعاة الى الاكل لها نحافة الصب
وصقال العضب وآلة الحرب ولدونة الغصن الرطب
قال فنهضت فيما امر لادرأ عنه الغمر ولم اهم الى
قصد ان يخدع بادخالي المخدع ولا ظننت انه سخر
من الرسول في استدعاء الخلالة والغسول فلما عدت
بالملتمس في اقرب من رجع النفس وجدت الجو قد خلا
والشيخ والشيخة قد اجفلا فاستشطت من مكره غضبا

وامعنت في اثره

واوغلت في اثره طلبا فكأنه كمن قمص في الماء
او عرج به الى عنان السماء

المقامة الثامنة المعرية

اخبر الحرث بن همام قال رأيت من اعاجيب الزمان
ان تقدم خصمان الى قاضي معرة النعمن احدهما
قد [illegible] والآخر كأنه قضيب البان
فقال الشيخ ايد الله القاضي كما ايد به التقاضي
انه كانت لي مملوكة رشيقة القد اسيلة الخد
صبور على الكد تخب احيانا كالنهد وترقد اطوارا
في المهد وتجد في تموز مس البرد ذات عقل وعنان وحد
وسنان وكف ببنان وفم بلا اسنان تلدغ بلسان نضناض
وترفل في ذيل فضفاض وتجلى في سواد وبياض وتسقى
ولكن من غير حياض ناصحة خدعة خبأة طلعة مطبوعة
على المنفعة مطواعة في الضيق والسعة اذا قطعت وصلت
ومتى فصلتها عنك انفصلت وطالما خدمتك فجملت
ولربما جنت عليك فآلمت وملكت وان هذا الفتى استخدمها
لغرض فأخدمته اياها بلا عوض على ان يجتني نفعها
ولا يكلفها الا وسعها فأولج فيها متاعه واطال
بها استمتاعه ثم اعادها وقد افضاها وبذل عنها قيمة
لا ارضاها فقال الحدث اما الشيخ فاصدق من القطا
واما الافضاء ففرط عن خطا وقد رهنته على ارش ما

ما اوهنته

ما اوهنته مملوكا لي متناسب الطرفين منتسبا
الى القين نقيا من الدرن والشين يقارن محله
سواد العين يفشي الاحسان وينشي الاستحسان ويغذي
الانسان ويتحامى اللسان ان سود جاد او وسم اجاد
واذا زود ذهب الزاد ومتى استزيد زاد لا يستقر
بمغنى وقلما ينكح الا مثنى يسمح بموجوده ويسمو عند
جوده وينقاد مع قرينته وان لم تكن من طينته ويستمتع
بزينته وان لم يطمع في لينته فقال لهما القاضي اما ان
تبينا والا فبينا فابتدر الغلام وقال

اعارني ابرة لارفو خلاق اطمار اعفاها البلى وسودها
فانخرمت في يدي على خطإ مني لما جذبت مقصودها
فلم ير الشيخ ان يسامحني بارش ما رث اذ رأى تاودها
بل قال هات ابرة تماثلها او قيمة بعد ان تجودها
واعتاق ميلي رهنا لديه ويا ناهيك رهنا تزودها
فالعين من رهنه ويديه تقصر عن ان تفك مرودها
فاسبر بذا الشيخ غور فاقتي وارث لمن لم يكن تعودها

فأقبل القاضي على الشيخ وقال آيه بغير تمويه فقال

اقسمت بالمشعر الحرام ومن ضم من الناسكين خيف منى
لو ساعفتني الايام لم ترني مرتهنا ميله الذي رهنا
ولا تصديت ابتغي بدلا من ابرة غاله وهي ولا ثمنا
لكن قوس الخطوب ترشقني بمصميات من ههنا وهنا

وخُبْرُ حالي كخُبْرِ حالتهِ ... ضُرًّا وبؤسًا وغربةً وضَنا

قد عدَلَ الدهرُ بيننا فأنا ... نظيرُهُ في الشقاءِ وهو أنا

لا هو يستطيعُ فكَّ مِبْرَدِهِ ... لمّا غدا في يدي مُرْتَهَنا

ولا مجالي لضيقِ ذاتِ يدي ... فيه ابتياعي للعفوِ حين جَنى

فهذه قصّتي وقصّتُه ... فانظُرْ إلينا وبيننا ولنا

فلمّا وعى القاضي قصصَهما وتبيّن خصاصتَهما وخصاصَهما أبرز لهما دينارًا من تحت مصلّاه وقال اقطعا به الخصام وافصلاه فتلقّفه الشيخ دون الحدث واستخلصه على وجه الجدّ لا العبث وقال للحدث نصفه لي بسهم مبرّتي وسهمك لي عن أرش إبرتي ولستُ عن الحقّ أميل فقم وخذ الميل فعرا الحدث لما حدث اكتئاب وجم له قلب القاضي وهيّج أسفه على الدينار المضي إلّا أنه جبر بال الفتى وتبلّغه بدريهمات رضخ بها له وقال لهما اجتنبا المعاملات وادرءا المخاصمات ولا تحضراني في المحاكمات فما عندي كيس للغرامات فنهضا من عنده فرحين برفده مفصحين بحمده والقاضي ما يخبو ضجره مذ بضّ حجره ولا ينصل كمده مذ رشح جلده حتى إذا أفاق من غشيته أقبل على غاشيته وقال قد أشرب حسّي ونبّأني حدسي أنهما صاحبا دهاء لا خصما ادّعاء فكيف السبيل إلى سبرهما والاستنباط بسترهما فقال له نحرير زمرته وشرارة جمرته إنه لم يستتم استخراج خبئهما إلّا بهما فقفّاهما عونًا يرجعهما إليه فلمّا مثلا بين يديه قال لهما اصدقاني سنّ بكركما ولكما الأمان من تبعة مكركما

فأحجما

فأحجم الحدث واستقال وأقدم الشيخ وقال

أنا السروجيُّ وهذا ولدي ... والشِّبلُ في المَخْبَرِ مثلُ الأسدِ

وما تعدّت يدُه ولا يدي ... في إبرةٍ يومًا ولا في مِبْرَدِ

وإنّما الدهرُ المسيءُ المعتدي ... مالَ بنا حتّى غدونا نجتدي

كلَّ عَفيِّ الراحةِ عذبِ المورِدِ ... وكلَّ جَعدِ الكفِّ مغلولِ اليدِ

بكلِّ فنٍّ وبكلِّ مقصدِ ... بالجِدِّ إن أجدى وإلّا بالدَّدِ

لنجلب الرَّشحَ إلى الحظِّ الصَّدي ... وننفد العيشَ بعيشٍ أنكدِ

والموتُ من بعدُ لنا بالمرصَدِ ... إن لم تفاجي اليومَ فاجى في غدِ

فقال له القاضي لله درّك فما أعذب نفثات فيك وأهالك لولا خداع فيك وإنّي لك من المنذرين وعليك من الحذرين فما تماكر بعدها الحاكمين واتّق سطوة المحكّمين فما كلُّ مسيطر يُقيل ولا كلّ أوانٍ يُسمع القيل فعاهده الشيخ على اتّباع مشورته والارتداع عن تلبيس صورته ثم فصل عن جهته والختر يلمع من جبهته قال الحارث بن همّام فلم أرَ أعجب منها في تصاريف الأسفار ولا قرأت مثلها في تصانيف الأسفار

المقامة التاسعة الإسكندرية

قال الحارث بن همّام طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب إلى أن جُبتُ ما بين فرغانة وغانة أخوض الغمار لأجني الثمار واقتحم الأخطار لكي أدرك الأوطار وكنت لقفت من أفواه العلماء وثقفت من وصايا الحكماء أنه يلزم

الأديب

الاريب اذا دخل البلد الغريب ان يستميل قاضيه ويستخلص
مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام ويأمن في الغربة جور الحكام
فاتخذت هذا الادب اماماً وجعلته لمصالحي زماماً فما دخلت
مدينة ولا ولجت عرينة الا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء
بالراح وتقويت بعنايته تقوي الاجساد بالارواح
فبينا انا عند حاكم الاسكندرية في عشية عرية وقد احضر
مال الصدقات ليفضه على ذوي الفاقات اذ دخل
شيخ عفرية تعتله امراة مصبية فقالت ايد الله
القاضي وادام به التراضي انني امراة من اكرم جرثومة
واطهر ارومة واشرف خؤولة وعمومة ميسمي الصون وشيمتي
الهون وخلقي نعم العون وبيني وبين جاراتي بون
وكان ابي اذا خطبني بناة المجد وارباب الجد سكتهم
وبكتهم وعاف وصلتهم وصلتهم واحتج بانه عاهد الله
تعالى بحلفة ان لا يصاهر غير ذي حرفة فقيض القدر
لنصبي ووصبي ان حضر هذا الخدعة نادي ابي فاقسم
بين رهطه انه وفق شرطه وادعى انه طالما نظم درة
الى درة فباعهما ببدرة فاغتر ابي بزخرفة محاله
وزوجنيه قبل اختبار حاله فلما استخرجني من كناسي
ورحلني عن اناسي ونقلني الى كسره وحصلني تحت اسره
وجدته قعدة جثمة والفيته ضجعة نومة وكنت صحبته
برياش وزي واثاث وري فما برح يبيعه في سوق الهضم

ويتلف

ويتلف ثمنه في الخضم والقضم الى ان مزق مالي باسره
وانفق مالي في عسره فلما انساني طعم الراحة وغادر بيتي
انقى من الراحة قلت له يا هذا انه لا مخبأ بعد بوس
ولا عطر بعد عروس فانهض للاكتساب بصناعتك
واجتن ثمرة براعتك فزعم ان صناعته قد رميت بالكساد
لما ظهر في الارض من الفساد ولي منه سلالة كانها خلالة
وكلانا ما ينال معه شبعة ولا ترقأ له من الطوى
دمعة وقد قدته اليك واحضرته لديك لتعجم عود دعواه
وتحكم بيننا بما اراك الله فاقبل القاضي عليه وقال
له قد وعيت قصص عرسك فبرهن عن نفسك والا كشفت
عن لبسك وامرت بحبسك فاطرق اطراق الافعوان
ثم شمر للحرب العوان وقال

اسمع حديثي فانه عجب ... يضحك من شرحه وينتحب
انا امرؤ ليس في خصائصه ... عيب ولا في فخاره ريب
سروج داري التي ولدت بها ... والاصل غسان حين انتسب
وشغلي الدرس والتبحر في العلم ... طلابي وحبذا الطلب
وراس مالي سحر الكلام الذي ... منه يصاغ القريض والخطب
اغوص في لجة البيان ... فاختار اللآلي منها وانتخب
واجتني اليانع الجني ... من القول وغيري للعود يحتطب
واخذ اللفظ فضة فاذا ... ما صغته قيل انه ذهب
وكنت من قبل امتري نشبا ... بالادب المقتنى واحتلب

الكتب

ومنتطي اخمصي لحرمته		مراتباً ليس فوقها رتب
وطالما زفت الصلات الى		ربعي فلم ارض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به		اكسد شيء في سوقه الادب
لا عرض [illegible]		ولا يرقب فيهم الٌّ ولا نسب
كانهم ف[illegible]		يبعد من نتنها ويجتنب
فحار لبي لما منيت به		من الليالي وصرفها عجب
وضاق ذرعي لضيق ذات يدي		وساورتني الهموم والكرب
وقادني دهري المليم الى		سلوك ما يستشينه الحسب
فبعت حتى لم يبق لي لبد		ولا ثياب اليه انقلب
وادنت حتى اثقلت ساقتي		بحمل دين من دونه العطب
ثم طويت الحشا على سغب		خمساً فلما امضني السغب
لم ار الا جهازها عرضاً		اجول في بيعه واضطرب
فجلت فيه والنفس كارهة		والعين عبرى والقلب مكتئب
وما تجاوزت اذ عبثت به		حد التراضي فيحدث الغضب
فان يكن غاظها توهمها		ان بناني بالنظم تكتسب
او انني مذ عزمت خطبتها		زخرفت قولي لينجح الارب
فو الذي سارت الرفاق الى		كعبته تستحثها النجب
ما المكر بالمحصنات من خلقي		ولا شعاري التمويه والكذب
ولا يدي مذ نشات نيط بها		الا مواضي اليراع والكتب
بل فكرتي تنظم القلائد لا		كفي وشعري المنظوم لا السخب
وهذه الحرفة المشار الى		ما كنت احوي بها واجتلب

فاذن

فاذن لشرحي كما اذنت لها		ولا تراقب واحكم بما يجب

قال فلما احكم ما شاده واكمل انشاده عطف القاضي على الفتاة بعد ما شغف بالابيات وقال اما انه قد ثبت عند جميع الحكام وولاة الاحكام انقراض جيل الكرام وميل الايام الى اللئام واني لاخال بعلك صدوقاً في الكلام بريئاً من الملام وها هو قد اعترف لك بالقرض وصرح عن المحض وبين مصداق النظم وتبين انه معروق العظم واعنات المعذر ملامة وحبس المعسر ماثمة وكتمان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة فارجعي الى خدرك واعذري ابا عذرك ونهنهي من غربك وسلمي لقضاء ربك ثم انه فرض لهما في الصدقات حصة وناولهما من دراهمها قبصة وقال لهما تعللا بهذه العلالة وتنديا بهذه البلالة واصبرا على كيد الزمان وكده فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الاسار وهزة الموسر بعد الاعسار قال الراوي كنت عرفت انه ابو زيد ساعة بزغت شمسه ونزغت عرسه وكدت افصح عن افتنانه واثمار افنانه ثم اشفقت من عثور القاضي على بهتانه وتزويق لسانه فلا يرى عند عرفانه ان يرشحه لاحسانه فاحجمت عن القول احجام المرتاب وطويت ذكره كطي السجل للكتاب الا اني قلت بعد ما فصل ووصل الى ما وصل لو ان لنا من ينطلق في اثره لاتانا بفص خبره

وما ينشر من حبره فاتبعه القاضي احد امنائه وامره
بالتجسس على انبائه فما لبث ان رجع متدهدها وقهقه
مقهقها فقال له القاضي مهيم يا ابا مريم فقال لقد عاينت
عجبا وسمعت ما انشأ لي طربا فقال له ماذا رايت و
ما الذي وعيت قال لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه و
يخالف بين رجليه ويغرد بملء شدقيه ويقول
كدت اصلى ببلية من وقاح شمرية ‌ ‌ وازور السجن لولا حاكم الاسكندرية
فضحك القاضي حتى هوت دنيته وذوت سكينته
فلما فاء الى الوقار وعقب الاستغراب بالاستغفار قال
اللهم بحرمة عبادك المقربين حرم حبسي على المتأدبين ثم قال
لذلك الامين علي به فانطلق مجدا في طلبه ثم عاد بعد لايه
مخبرا بنأيه فقال القاضي اما انه لو حضر لكفي الحذر ثم لاوليته
ما هو به اولى ولاريته ان الآخرة خير له من الاولى قال الحرث
ابن همام فلما رايت صغو القاضي اليه وفوت ثمرة التنبيه
عليه غشيتني ندامة الفرزدق حين ابان النوار والكسعي
لما استبان النهار

المقامة العاشرة الرحبية

حكى الحرث بن همام قال هتفني داعي الشوق الى رحبة مالك
ابن طوق فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا عزمة مشمعلة
بها المراسي وشددت امراسي وبرزت من الحمام بعد
سبتت راسي رايت غلاما افرغ في قالب الجمال والبس من الحسن

حلة الكمال وقد اعتلق شيخ ببردته يدعي انه فتك
بابنه والغلام ينكر معرفته ويكبر قرفته والخصام
بينهما متطاير الشرار والزحام عليهما يجمع بين الاخيار
والاشرار الى ان تراضيا بعد اشتطاط اللدد بالتنافر
الى والي البلد وكان ممن يزن بالهنات ويغلب حب
النفس على البنات فاسرعا الى ندوته كالسليك في عدوته
فلما حضراه جدد الشيخ دعواه واستدعى عدواه فاستنطق
الغلام وقد فتنه بمحاسن غرته وطر عقله بتصفيف
طرته فقال انها افيكة افاك على غير سفاك
وعضيهة محتال على من ليس بمغتال فقال الوالي
للشيخ ان شهد لك عدلان من المسلمين والا فاستوف منه اليمين
فقال الشيخ انه جدله خاليا وافاح دمه خاليا فانى لي
شاهد ولم يكن ثم شاهد ولكن ولني تلقينه اليمين ليبين
لك ايصدق ام يمين فقال له انت المالك لذلك مع وجدك
المتهالك على ابنك المتهالك فقال الشيخ للغلام قل
والذي زين الجباه بالطرر والعيون بالحور والحواجب بالبلج
والمباسم بالفلج والجفون بالسقم والانوف بالشمم والخدود
باللهب والثغور بالشنب والبنان بالترف والخصور بالهيف
انني ما قتلت ابنك سهوا ولا عمدا ولا جعلت هامته لسيفي
غمدا والا فرمى الله جفني بالعمش وخدي بالنمش وطرتي بالجلح
وطلعتي بالبلج ووردي بالبهار ومسكي بالبخار وبدري بالمحاق

وفضحتني بالاحتراق وشعاعي بالإظلام ودواتي بالأقلام
فقال الغلام الاصطلاء بالبلية ولا الابتلاء بهذه
الألية والانقياد للقود ولا الحلف بما لم يحلف به أحد
فأبى الشيخ إلا تجريعه اليمين التي اخترعها واستقر له جرعها ولم
التلاحي بينهما يستعر ومحجة التراضي تعذر والغلام في ضمن
تأبيه يخلب الوالي بتلويه ويطمعه في أن يلبيه إلى أن ران
هواه على قلبه وألب بلبه وسول له الوجد الذي تيمه والطمع
توهمه أن يخلص الغلام ويستخلصه وأن ينقذه من حبالة الشيخ
ثم يقتنصه فقال الوالي هل لك فيما هو أليق بالأقوى
والأقرب إلى التقوى فقال الام تشير لأقتفيه ولا
أقف فيه فقال أرى أن تقصر عن القيل والقال وتقتصر
على مائة مثقال لا تحمل منها بعضا وأحتمل لك الباقي عرضا
فقال الشيخ ما مني خلاف فلا يكن لوعدك إخلاف فنقده
الوالي عشرين ووزع على وزعته تكملة خمسين ورنق ثوب
الأصيل وانقطع لأجله صوب التحصيل فقال له خذ ما زاح ودع
اللجاج وعلي في غد أن أتوصل إلى أن ينض لك الباقي
ويحصل فقال له الشيخ أفعل ذلك على أن ألازمه ليلتي
وأرعاه بإنسان مقلتي حتى إذا أعفى بعد إسفار الصبح
بما بقي من مال الصلح تخلصت تابعته من حوب وبرئ
براءة الذئب من دم ابن يعقوب فقال له الوالي ما أراك
سمت شططا ولا رمت فرطا قال الحارث بن همام فلما آنست

فحج الشيخ كالحجج الشرعية علمت أنه علم الشر وجنيته
فلبثت إلى أن زهرت نجوم الظلام وانتثرت عقود
الزحام ثم قصدت فناء الوالي فإذا الشيخ للفتى كالي
ونشدته الله هل هو أبو زيد فقال إي ومحل العيد
فقلت من هذا الغلام الذي هفت له الأحلام فقال
هو في النسب فرخي وفي المكسب فخي فقلت هلا اكتفيت
بمحاسن فطرته وكفيت الوالي الافتتان بطرته فقال لو لم
تبرز جبهته الشين لما قنصت الخمسين ثم قال بت الليلة
عندي لنطفئ نار الجوى ونديل الهوى من النوى فقد أجمعت
على أن أنسل بسحرة وأصلي قلب الوالي بأرض حسرة قال
فقضيت الليلة معه في سمر آنق من حديقة زهر وخميلة
شجر حتى إذا لألأ الأفق ذنب السرحان وآن انبلاج الفجر
وحان ركب متن الطريق وأذاق الوالي عذاب الحريق
وسلم إلي ساعة الفراق رقعة محكمة الإلصاق وقال
ادفعها إلى الوالي إذا سلب القرار وتحقق منا الفرار
ففضضتها فعل المتلمس من نشر صحيفة المتلمس فإذا فيها
مكتوب

قل لوال غادرته بعد بيني	نادما سادما يعض اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه	لبه فاصطلى لظى حزنين
جاد بالعين حين أعمى	هواه فانثنى بلا عينين
خفض الحزن يا معنى فما	يجدي طلاب الآثار من بعد عين

ولين جل ما عراك كما ... جل لدى المسلمين رز الحسين
فقد اعتضت منه فهما ... وجزما واللبيب الاريب يبغي زين
فاعص من بعدها المطامع ... واعلم ان صيد الظباء ليس بهين
لا ولا كل طاير يلج الفخ ... ولو كان محدقا باللجين
ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد ... ولم يلق غير خفي حنين
فتبصر ولا تشم كل برق رب ... برق فيه صواعق حين
واغضض الطرف تسترح من ... غرام تكتسي فيه ثوب ذل وشين
فهلاك الفتى اتباع هوى النفس ... وبذر الهوى طموح العين

قال الراوي الحرث بن همام فمزقت رقعته شذر مذر ولم ابل اعذل ام عذر

المقامة الحادية عشر الساوية

حدث الحرث بن همام قال آنست من قلبي القساوة حين حللت ساوة فاخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور فلما صرت الى محلة الاموات وكفات الرفات رأيت جمعا على قبر يحفر ومجنوز يقبر فانحزت اليهم متفكرا في المآل ومتذكرا من درج من الآل فلما الحد الميت وفات قول ليت اشرف شيخ من رباوة متخصر بهراوة وقد لفع وجهه بردائه ونكر شخصه لدهائه وقال لمثل هذا فليعمل العاملون فاذكروا ايها الغافلون وشمروا ايها المقصرون واحسنوا النظر ايها المتبصرون ما لكم لا يحزنكم دفن الاتراب ولا يهولكم هيل التراب ولا تعباون

بنوازل الاحداث ولا تستعدون لنزول الاجداث ولا تستعبرون لعين تدمع ولا تعتبرون بنعي يسمع ولا ترتاعون لالف يفقد ولا تلتاعون لمناحة تعقد يشيع احدكم نعش الميت وقلبه تلقاء البيت ويشهد مواراة نسيبه وفكره في احراز نصيبه ويخلي بين وده ودوده ثم يخلو بمزماره وعوده طالما اسيتم على انثلام الحبة وتناسيتم اخترام الاحبة واستكنتم لاعتراض العسرة واستهنتم بانقراض الاسرة وضحكتم عند الدفن ولا ضحككم ساعة الزفن وتبخترتم خلف الجنايز ولا تبختركم يوم قبض الجوايز واعرضتم عن تعديد النوادب الى اعداد المآدب وعن تحرق الثواكل الى التأنق في المآكل لا تبالون بمن هو بال ولا تخطرون ذكر الموت ببال حتى كأنكم قد علقتم من الحمام بذمام او حصلتم من الزمان على امان او وثقتم بسلامة الذات او تحققتم مسالمة هادم اللذات كلا ساء ما تتوهمون ثم كلا سوف تعلمون

ثم انشد

ايا من يدعي الفهم ... الى كم يا اخا الوهم
تعبي الذنب والذم ... وتخطي الخطأ الجم
اما بان لك العيب ... اما انذرك الشيب
وما نصحه ريب ... ولا سمعك قد صم
اما نادى بك الموت ... اما اسمعك الصوت

اما تخشى من الفوت	فتحتاط وتهتم
فكم تدرب في السهو	وتختال من الزهو
وتنصب الى اللهو	كأن الموت ما عم
وحتام تجافيك	وابطاء تلافيك
طباعا جمعت فيك	عيوبا شملها انضم
اذا اسخطت مولاك	فما تقلق من ذاك
وان اخفق مسعاك	تلظيت من الهم
وان لاح لك النقش	من الاصفر تهتش
وان مر بك النعش	تغاممت ولا غم
تعاصي الناصح البر	وتعتاص وتزور
وتنقاد لمن غر	ومن مان ومن نم
وتسعى في هوى النفس	وتحتال على الفلس
وتنسى ظلمة الرمس	ولا تذكر ما ثم
ولو لاحظك الحظ	لما طاح بك اللحظ
ولا كنت اذا الوعظ	جلا الاحزان تغتم
ستذري الدم لا الدمع	اذا عاينت لا جمع
يقي في عرصة الجمع	ولا خال ولا عم
كأني بك تنحط	الى اللحد وتنغط
وقد اسلمك الرهط	الى اضيق من سم
هناك الجسم ممدود	ليستأكله الدود
الى ان ينخر العود	ويمسي العظم قد رم

ومن بعد

ومن بعد فلا بد	من العرض اذا اعتد
صراط جسره مد	على النار لمن أم
فكم من مرشد ضل	ومن ذي عزة ذل
وكم من عالم زل	وقال الخطب قد طم
فبادر ايها الغمر	لما يحلو به المر
فقد كاد يهي العمر	وما اقلعت عن ذم
ولا تركن الى الدهر	وان لان وان سر
فتلفى كمن اغتر	بافعى تنفث السم
وخفض من تراقيك	فان الموت لاقيك
وسار في تراقيك	وما ينكل ان هم
وجانب صعر الخد	اذا ساعدك الجد
وزم اللفظ ان ند	فما اسعد من زم
ونفس عن اخي البث	وصدقه اذا انث
ورم العمل الرث	فقد افلح من رم
وريش من ريشه انحص	بما عم وما خص
ولا تأس على النقص	ولا تحرص على اللم
وعاد الخلق الرذل	وعود كفك البذل
ولا تستمع العذل	ونزهها عن الضم
وزود نفسك الخير	ودع ما يعقب الضير
وهيئ مركب السير	وخف من لجة اليم
بذا اوصيت يا صاح	وقد بحت كمن باح

فطوبى لفتىً راح ... بآدابي يأتمّ

ثم جرّدوا عن شاوٍ شديد الأسر قد شُدّ عليه جبائر
المكر لا الكسر متعرّضاً للاستماحة في معرض الوقاحة
فاحتلب به أولئك الملأ حتى انتزع كمّه وملأ ثم انحدر
من الربوة جذلاً بالحبوة قال الراوي فجاذبته
من وراء حاشية ردائه فالتفت إليّ مستسلماً وواجهني
مسلّماً فإذا هو شيخنا أبو زيد بعينه ومينه فقلت له

إلى كم يا أبا زيد ... أفانينك في الكيد
لينجاش لك الصيد ... ولا تعبأ بمن ذمّ

فأجاب من غير استحياء ولا ارتياء وقال

تبصّر ودع اللوم ... وقل لي هل ترى اليوم
فتىً لا يقمر القوم ... متى ما دست ثمّ

فقلت له بعداً لك يا شيخ النار وزاملة العار
فما مثلك في طلاوة علانيتك وخبث نيّتك
إلا مثل روثٍ مفضّض أو كنيفٍ مبيّض ثم تفرّقنا
فانطلقت ذات اليمين وانطلق ذات الشمال وناوحت
مهبّ الجنوب وناوح مهبّ الشمال

المقامة الثانية عشر الدمشقية

حكى الحارث بن همام قال شخصت عن العراق إلى
الغوطة وأنا ذو جُردٍ مربوطة وجِدةٍ مغبوطة يلهيني
خلوّ الذرع ويزدهيني حفول الضرع فلما بلغتها بعد

شقّ النفس وإنضاء العنس ألفيتها كما تصفها الألسن
وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين فشكرت
يد النوى وجريت طلقاً مع الهوى وطفقت
أفضّ بها ختوم الشهوات وأجتني قطوف اللذات إلى
أن شرع سفر في الإعراق وقد استفقت من الإغراق
فعاودني عيد من تذكار الوطن والحنين إلى العطن فقوّضت
خيام الغيبة وأسرجت جواد الأوبة ولما تأهّبت الرفاق
واستتبّ الاتفاق أحجمنا عن المسير دون استصحاب الخفير
فرُدناه من كل قبيلة وأعملنا في تحصيله ألف حيلة فأعوز
وجدانه في الأحياء حتى خلنا أنه ليس من الأحياء فحارت
لعوزه عزوم السيّارة فانتدوا بباب جيرون للاستشارة
فما زالوا بين عقدٍ وحلٍّ وشزرٍ وسحلٍ إلى أن نفد
التناجي وقنط الراجي وكان حذاءهم شخص مبهم توسّم الشبّان
ولبوسه لبوس الرهبان وبيده سبحة النسوان وفي
عينه ترجمة النشوان وقد قيّد لحظه بالجمع وأرهف
أذنه لاستراق السمع فلما آن انكفاؤهم وقد برح له خفاؤهم
قال يا قوم ليفرخ كربكم وليأمن سربكم فسأخفركم بما يسرو
روعكم ويسدو طوعكم قال الراوي فاستطلعنا منه طلع
الخفارة واستنبأناه لجعالة على السفارة فزعم أنها
كلمات لقّنها في المنام ليحترس بها من كيد الأنام فجعل
بعضنا يومض إلى بعض ويقلّب طرفه بين لحظٍ وغضٍّ وتبيّن له

انا استضعفنا الجزر واستشعرنا الخور فقال ما بالكم الخذم
جدي عبثا وجعلتم بري خبثا ولطالما والله جبت
مخاوف الاقطار وولجت مقاحم الاخطار فغنيت بها
عن مصاحبة خفير واستصحاب جفير ثم لتني سانفي ما رابكم و
واستل الحزر الذي نابكم بان اوافقكم في البداوة
واارافقكم في السماوة فان صدقكم وعدي فاجوا واسعدي
واسعدوا جدي وان كذبكم فمزقوا اديمي واريقوا دمي
قال الحرث بن همام فالهمنا تصديق رؤياه وتحقيق ما رواه
فنزعنا عن مجادلته وتهمنا على معاملته وفصمنا
بقوله عرى الريايث والغينا اتقاء العايث والعائث
ولما علمت الرحال وازف الترحال استنزلنا كلماته الراقية
لنجعلها الواقية الباقية فقال ليقرأ كل منكم ام القران
كلما اخضل الملوان ثم ليقل بلسان خاضع وصوت خاشع
اللهم يا محيي الرفات ويا دافع الآفات ويا واقي المخافات
ويا كريم المكافات ويا موئل العفاة ويا ولي العفو و
المعافاة صل على محمد خاتم انبيائك ومبلغ انبائك
وعلى مصابيح اسرته ومفاتيح نصرته واعذني من نزغات
الشياطين ونزوات السلاطين واعنات الباغين ومعاناة
الطاغين ومعاداة العادين وعدوان المعادين
وغلب الغالبين وسلب السالبين وحيل المحتالين
وغيل المغتالين واجرني اللهم من جور المجاورين ومجاورة

الجايرين

الجايرين وسطوة الجبارين وكف عني اكف الصائلين
واخرجني من ظلمات الظالمين وادخلني برحمتك في
عبادك الصالحين اللهم حطني في تربتي وغربتي
وغيبتي واوبتي ورجعتي ونجعتي وتصرفي ومنصرفي
وتقلبي ومنقلبي واحفظني في نفسي ونفائسي وعرضي
وعرضي وعددي وعددي وسكني ومسكني وحولي وحالي
ومالي ومآلي ولا تلحق بي تغييرا ولا تسلط علي مغيرا واجعل لي
من لدنك سلطانا نصيرا اللهم احرسني بعينك وعونك
واخصصني بامنك ومنك وتولني باختيارك وخيرك
ولا تكلني الى كلاءة غيرك وهب لي عافية غير عافية وارزقني
رفاهية غير واهية واكفني مخاشي اللأواء واكنفني
بغواشي الآلاء ولا تظفر بي اظفار الاعداء انك سميع
الدعاء ثم اطرق لا يدير لحظا ولا يحير لفظا حتى
قلنا قد ابلسته خشية او احسته غشية ثم اقنع راسه
وصعد انفاسه وقال اقسم بالسماء ذات الابراج والارض
ذات الفجاج والماء الثجاج والسراج الوهاج والبحر العجاج
والهواء والعجاج انها لمن ايمن العوذ واغنى عنكم من لابسي
الخوذ ومن درسها عند ابتسام الفلق لم يشفق من خطب
الى الشفق ومن ناجى بها طليعة الغسق امن ليلته من السرق
قال الراوي فتلقفناها حتى اتقناها وتدارسناها لكي لا ننساها
ثم سرنا نزجي الحمولات بالدعوات لا بالحداة ونحمي الحمولات

الجار

بالكلمات لا بالكلات وصاحبنا يتعهدنا بالعشى والغداة
ولا يستنجز منا العداة حتى اذا عاينا اطلال عانة قال
لنا الاعانة الاعانة فاحضرناه المعلوم والمكتوم واريناه
المعكوم والمختوم وقلنا له اقض ما انت قاض فما نجد
فينا غير راض فما استخفه سوى الخف ولا حلى بعينه غير العين
فاحتمل منهما وقره وزانا يسد فقره ثم خالسنا مخالسة
الطرار وانصلت منا انصلات الفرار فاوحشنا فراقه
وادهشنا اباقه ولم نزل ننشده بكل ناد ونستخبر عنه
كل مغدو وصاد الى ان قيل انه مذ دخل عانة ما زايل الحانة
فاغرانى خبث هذا القول بسبكه والانسلال فى الست
من سلكه فادلجت الى الدسكرة فى هيئة منكرة فاذا
الشيخ فى حلة ممصرة بين دنان ومعصرة وحوله سقاة تبهر
وشموع تزهر وآس وعبهر ومزمار ومزهر وهو تارة يستبزل
الدنان واخرى يستنطق العيدان ودفعة يستنشق
الريحان وطورا يغازل الغزلان فلما عثرت على لبسه
وتفاوت يومه من امسه قلت له اولى لك يا ملعون انسيت
يوم جيرون فضحك مستغربا ثم انشد مطربا

ركبت السفار وجبت القفار وعفت النفار لاجنى الفرح
وخضت السيول وروضت الخيول لجر ذيول الصبى والمرح
ومطت الوقار وبعت العقار لحسو العقار ورشف القدح
ولولا الطماح الى شرب راح لما كان باح فمى بالملح

ولا كان

ولا كان ساق ذهابي الرفاق لارض العراق بحملي السبح
فلا تغضبن ولا تصخبن ولا تعتبن فعذري وضح
ولا تعجبن لشيخ ابن بمغنى اغن ودن طفح
فان المدام تقوي العظام وتشفي السقام وتنفي الترح
واصفى السرور اذا ما الوقور اماط ستور الحيا واطرح
واحلى الغرام اذا المستهام ازال اكتتام الهوى وافتضح
فبح بهواك وبرد حشاك فزند اساك به قد قدح
وداو الكلوم وسل الهموم ببنت الكروم التي تقترح
وخص الغبوق بساق يسوق بلا المشوق اذا ما طمح
وشاد يشيد بصوت يميد جبال الحديد له ان صدح
وعاص النصيح الذي لا يبيح وصال المليح اذا ما سمح
وجل في المحال ولو بالمحال ودع ما يقال خذ ما صلح
وفارق اباك اذا ما اباك وبذ الشباك وصد من سنح
وصاف الخليل وناف البخيل واول الجميل ووال المنح
ولذ بالمتاب امام الذهاب فمن دق بابا كريما فتح

فقلت له بخ بخ لروايتك واف وتف لغوايتك
فبالله من اى الاعياص عيصك فقد اعضلني عويصك
فقال ما احب ان افصح عني ولكني ساكني
انا طرفة الزمن واعجوبة الامم وانا الحول الذى احتال فى العرب والعجم
غير انى ابن حاجة باضة الدهر وهضم وابو صبية بدو امثال لحم على وضم
واخو العيلة المعيل اذا احتال لم يلم

قال الراوي فعرفت حينئذ انه ابو زيد ذو الريب
والعيب ومسوّد وجه الشيب وساءني عظم تمرّده وقبح
تورّده فقلت له بلسان الانفة وادلال المعرفة الم يأن
لك يا شيخنا ان تقلع عن الخنا فتنفّخ وتنمّر وتنكّر
وفكّر ثم قال انها ليلة مراح لا تلاح وغبيرة شرب راح
لا كفاح فعد عمّا بدا الى ان نتلاقى غدا ففارقته فرقا
من عربدته لا تعلّقا بعدته وبتّ ليلتي لابسا حداد الندم
على نقلي خطى القدم الى ابنة الكرم لا ابنة الكرم وعاهدت الله
سبحانه الا احضر بعدها خانة نبّاذ ولو اعطيت ملك
بغداد والا اشهد معصرة الشراب ولو رددت على عصر الشباب
ثم انّا ارحلنا العيس وقت التغليس وخلّفنا الشيخين
ابا زيد وابليس

المقامة الثالثة عشر البغدادية

روى الحارث بن همام قال ندوت بضواحي الزوراء مع
مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم مبارٍ بغبار ولا يجري
معهم ممارٍ في مضمار فافضنا في حديث يفضح الازهار
الى ان نصفنا النهار فلما غاض درّ الافكار وصبت
النفوس الى الاوكار لمحنا عجوزا تقبل من البعد
وتحضر احضار الجرد وقد استتلت صبية انحف من المغازل
واضعف من الجوازل فما كذّبت اذ راتنا ان عرتنا حتى اذا
ما حضرتنا قالت حيّ الله المعارف وان لم يكن معارف

اعلموا يا مآل الآمل وثمال الارامل انّني من سروات القبائل
وسريّات العقائل لم يزل اهلي وبعلي يحلّون الصدر ويسيرون
القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما اردى الدهر الاعضاد
وفجع بالجوارح والاكباد وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر
وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد
الزند ووهنت اليمين وبانت المرافق ولم يبق لنا ثنية
ولا ناب فمذ اغبرّ العيش الاخضر وازورّ المحبوب الاصفر
اسودّ يومي الابيض وابيضّ فودي الاسود حتى رثا لي
العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر وتلوي من ترون عينه
فراره وترجمانه اصفراره قصوى بغية احدهم ثردة وقصارى
منيته بردة وكنت آليت الا ابذل الحرّ الا للحرّ ولو اني
متّ من الضر وقد ناجتني القرونة بان توجد عندكم المعونة
وآذنتني فراسة الحوباء بانكم ينابيع الحباء فنضّر الله
امرأ ابرّ قسمي وصدّق توسّمي ونظر اليّ بعين يقذيها
الجمود ويقذيها الجود قال فهمنا ببراعة عبارتها وملح
استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف الحامك
فقالت افجّر الصخر ولا فخر فقلنا ان جعلتنا من رواتك
لم نبخل بمواساتك فقالت لأرينّكم اولا شعاري ثم لأروينّكم
اشعاري فابرزت ردن درع دريس وبرزت برزة
عجوز درديس وانشأت تقول

اشكو الى الله اشتكاء المريض ... ريب الزمان المتعدّي البغيض

يا قوم إني من أناس غنوا دهرا ... وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع ... وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا إذا ما نجعة أعوزت ... في السنة الشهباء روضا أريض
تشب للسارين نيرانهم ... ويطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جار لهم ساغبا ... ولا لروع قال حال الجريض
فغيضت منهم صروف الردى ... بحار جود لم أخلها تغيض
وأودعت منهم بطون الثرى ... أسد التحامي وأساة المريض
فمحملي بعد المطايا المطا ... وموطني بعد اليفاع الحضيض
وأفرخي ما تأتلي تشتكي ... بؤسا له في كل يوم وميض
إذا دعا القانت في ليله ... مولاه نادوه بدمع يفيض
يا رازق النعاب في عشه ... وجابر العظم الكسير المهيض
أتح لنا اللهم من عرضه ... من دنس الذم نقي رحيض
يطفي نار الجوع عنا ولو ... بمذقة من حازر أو مخيض
فهل فتى يكشف ما نابهم ... ويغتنم الشكر الطويل العريض
فوالذي تعنو النواصي له ... يوم وجوه الجمع سود وبيض
لولاهم لم تبتذل صفحتي ... ولا تصديت لنظم القريض

قال الراوي فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتياح وارتاح لرفدها من لم يخله يرتاح فلما افعوعم جيبها تبرا وأولاها كل منا برا تولت يتلوها الأصاغر وفوها بالشكر فاغر فاشرأبت الجماعة بعد ممرها إلى سبرها لتبلو مواقع برها

فكفلت

فكفلت لهم باستنباط السر المرموز ونهضت أقفو أثر العجوز حتى انتهت إلى سوق مغتصة بالأنام مختصة بالزحام فانغمست في الغمار وأملست من الصبية الأغمار ثم عاجت بخلو بال إلى مسجد خال فأماطت الجلباب ونضت النقاب وأنا ألمحها من خصاص الباب وأرقب ما سيبدو من العجاب فلما انسرت أهبة الخفر رأيت محيا أبي زيد قد سفر فهممت بأن أهجم عليه لأعنفه على ما أجرى إليه فاسلنقى اسلنقاء المتمردين ثم رفع عقيرة المغردين واندفع ينشد

يا ليت شعري أدهري ... أحاط علما بقدري
وهل درى كنه غوري ... في الخدع أم ليس يدري
كم قد قمرت بنيه ... بحيلتي وبمكري
وكم برزت بعرف ... عليهم وبنكر
أصطاد قوما بوعظ ... وآخرين بشعر
وأستفز بخل ... عقلا وعقلا بخمر
وتارة أنا صخر ... وتارة أخت صخر
ولو سلكت سبيلا ... مألوفة طول عمري
لخاب قدحي وقدحي ... ودام عثري وعسري
فقل لمن لام هذا ... عذري فدونك عذري

قال الحارث بن همام فلما ظهرت على جلية أمره وبديع أمره وما زخرف في شعره من عذره علمت أن شيطانه المريد لا يسمع التفنيد ولا يفعل إلا ما يريد فثنيت إلى أصحابي عناني وأبثثتهم ما أثبته عياني فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محاربة العجائز

يحكى

المقامة الرابعة عشر المكية

حكى الحرث بن همام قال نهضت من مدينة السلام لحجة
الاسلام فلما قضيت بعون الله التفث واستبحت الطيب
والرفث صادف موسم الخيف معمعان الصيف فاستظهرت
للضرورة بما يقي حر الظهيرة فبينا انا تحت طراف مع رفقة
ظراف وقد حمي وطيس الحصباء واعشى الهجير عين الحرباء
اذ هجم علينا شيخ يتبعه فتى مترعرع فسلم الشيخ
تسليم اديب اريب وحاور محاورة قريب لا غريب فاعجبنا
بما بهر من سمطه وعجبنا من انبساطه قبل بسطه فقلنا له من
وكيف ولجت وما استاذنت فقال اما انا فعاف وطالب
اسعاف وسر ضري غير خاف النظر الى شفيع لي كاف واما
الاسباب الذي علق به وجه الارتياب فما هو بعجاب اذ ما
على الكرام من حجاب فسالناه انى اهتدى الينا ومن استدل
علينا فقال ان للكرم نشرا تنم نفحاته وترشد الى روضه
فوحاته فاستدللت بارج عرفكم على تبلج عرفكم وبشرني
تضوع رندكم بحسن المنقلب من عندكم فاستخبرناه حينئذ
عن لبانته لنتكفل باعانته فقال ان لي ثارًا ولفتاي
مطلبًا فقلنا لكلا المرامين سيقضى وكلاكما سوف يرضى
ولكن الكبر فقال اجل ومن دخا السبع الغبر ثم نهض
للمقال كالمنشط من العقال وانشد

اني امرؤ لي بعد الوجا والتعب | وشقة مشكلة يقصر عنها حسبي

وما هي حوذاله مطبوعة من ذهب | فحيلتي منسدة وحيرتي تلعب بي
ان رحلت راحلتي خفت دواعي العطب | وان تخلفت عن الرفقة ضاق مذهبي
فزفرتي في صعد وعبرتي في صبب | وانتم منتجع الراجي ومرمى الطلب
لهاكم منهلة ولا انهلال السحب | وجاركم في حرم ووفركم في حرب
ما لاذ مرتاع بكم فخاف ناب النوب | ولا استدر امل حياكم فخاب
فانعطفوا في قصتي واحتلوا منقلبي | فلو بلوتم عيشتي في مطعمي ومشربي
لساءكم ضري الذي اسلمني للكرب | ولو خبرتم حسبي ونسبي ومذهبي
وما حوت معرفتي من العلوم النخب | لما اعترتكم شبهة في ان دائي ادبي
فليت اني لم اكن ارضعت ثدي الادب | لقد دهاني شؤمه وعقني فيه ابي

فقلنا له اما انت فقد صرحت ابياتك بفاقتك
وعطب ناقتك وسنعطيك ما يوصلك الى بلدك فما مأربة
ولدك فقال له قم يا بني كما قام ابوك وفه بما في نفسك
لا فض فوك فنهض الفتى نهوض البطل للبراز وصلت

لسانا كالعضب الجراز وقال

يا سادة في المعالي لهم مبان مشيده
ومن اذا ناب خطب قاموا بدفع المكيده
ومن يهون عليهم بذل الكنوز العتيده
اريد منكم شواء وجوذقا وعصيده
فان علا فرقاق به توارى الشهيده
او لم يكن ذا ولا ذا فشبعة من ثريده
فان تعذر طرا فحجرة ونهيده
فاحضروا ما تيسر ولو شظا من قديده
وروجوه فنفسي لما يروج مريده
والزاد لا بد منه لرحلة لي بعيده
وانتم خير رهط تدعون عند الشديده
ايديكم كل يوم لها ايادٍ جديده
وراحكم واصلات شمل الصلات المفيده
وبغيتي في مطاوي ما تزودون زهيده
ولي نتائج فكر يفضحن كل قصيده
وفي اجر وعقبى تنفيس كربي حميده

قال الحارث بن همام فلما رأينا الشبل شبه الاسد اجتلينا الوالد وزودنا الولد فقابل الصنع بشكر نشر اردته واديا به ديته فلما عزمنا على الانطلاق وعقد الرحلة حبك النطاق قلت للشيخ هل ضاهت عدتنا عده

٦ قوب

او بقيت حاجة في نفس يعقوب فقال حاش لله وكلا بل جل معروفكم وجل فقلت له فدنا كما دنك وافدنا كما افدناك ابن الذويرة فقد ملكتنا فيك الحيرة فتنفس تنفس من اذكرا اوطانه واشد والشهيق يلعثم لسانه

مسروج دارس ولكن كيف السبيل اليها
وقد اناخ الاعادي بها واخنوا عليها
فوالذي سرت ابغي حط الذنوب لديها
ما راق طرفي شيء مذ غبت عن طرفيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع وآذنت مدامعه بالهموع فكره ان يستوكفها ولم يملك ان يكفكفها فقطع انشاده المستحلى واوجز في الوداع وولى

المقامة الخامسة عشر

الفرضية

اخبر الحارث بن همام قال ارقت ذات ليلة حالكة الجلباب هامية الرباب لفكر سرى بي [illegible] الاحباب فلم تزل الافكار تهيج همي وتجيل في [illegible] وتمنيت حينئذ لمضض ما عانيت ان ارزق سميرا من الفضلاء ليقصر طول ليلتي الليلاء فما انقضت منيتي ولا اغتمضت مقلتي حتى قرع الباب قارع له صوت خاشع فقلت في نفسي لعل غرس التمني قد اثمر وليل الحظ قد اقمر فنهضت اليه عجلان وقلت من الطارق الآن فقال غريب اجنه الليل وغشيه السيل ويبتغي الايواء لا غير واذا اسحر قدم

السنير فلما دلّ شعاعه على شمسه وتمّ عنوانه بسرّ طرسه
علمت ان مسامرته غنم ومساهرته نعم ففتحت الباب
بابتسام وقلت ادخلوا بسلام فدخل شخص قد حناه الدهر وصعّده
وبلّل القطر بردته فحيّا بلسان عضب وبيان عذب
ثم شكر على تلبية صوته واعتذر من الطروق في غير وقته
فدانيته بالمصباح المتقد وتأملته تأمل المنتقد فالفيته
شيخنا ابا زيد بلا ريب ولا رجم غيب فاحللته محل من اظفرني
بقصوى الطلب ونقلني من وقذ الكرب الى روح الطرب
ثم اخذت اشكو الاين واحدث في كيف واين فقال المغني
رتق فتق الغنى طريقي فظننته مستبطنا برح السغب متكاسلا
لهذا السبب فاحضرته ما تحضر الضيف المفاجي في الليل
الداجي فانقبض انقباض المحتشم واعرض اعراض البشم فسؤت
ظنا بامتناعه وحفظني خمول طباعه حتى كدت
اغلظ له في الكلام واتبعه بجمة الملام فتبين من لمحات
ناظري ما خامر خاطري فقال يا ضعيف الثقة باهل المقة
عدّ عما اخطرته ببالك واستمع الى لا ابالك فقلت هات
يا اخاه الترهات فقال اعلم اني بت البارحة حليف
افلاس ونجي وسواس فلما قضى الليل نحبه وغوّر الصبح
شهبه غدوت وقت الاشراق الى بعض الاسواق متصديا
لسنح او حرّ يسمح فلحظت بها تمرا قد حسن تصفيفه واحسن اليه
مصيفه فجمع على التحقيق صفاء الرحيق وقنوّ العقيق وقابلة

لباء

لباء قد برز كالابريز الاصفر والجلي في اللون المعصفر
فهو يثني على طاهيه بلسان تناهيه وتصوّب
رأي مشتريه ولو نقد حبة القلب فيه فاسرتني
الشهوة باشطانها واسلمتني العيمة الى سلطانها
فبقيت احير من ضبّ واذهل من صبّ لا وجد يوصلني
الى نيل المراد ولا التنحي الازدراد ولا قدم تطاوعني
على الذهاب مع حرقة الالتهاب لكن حدا في القرم و
سورته والسغب وفورته على ان انتجع على كل ارض واقنع
من الورد ببرض فلم ازل سحابة ذلك النهار ادلي
دلوي الى الانهار وهي لا ترجع ببلة ولا تجلب نقع غلة
الى ان صغت الشمس للغروب وضعفت النفس من اللغوب
ورحت بكبد حرّى انثنيت اقدم رجلا واؤخر اخرى
فبينا انا امشي واقعد واهبّ واركد اذ قابلني شيخ
يتأوّه تأوّه الثكلان وعيناه تهملان فما شغلني ما انا
فيه من داء الذيب والخوى المذيب عن تعاطي مداخلته
والطمع في مخاتلته فقلت له يا هذا ان لبكائك سرا وورا
ووراء لحرقك لشرا فاطلعني على رحاك واتخذني
من نصحائك فانك ستجد مني طبّا آسيا او عونا مواسيا
فقال والله ما تاوهي لعيش فات ولا من دهر آفات
بل لانقراض العلم ودروسه وافول اقماره وشموسه فقلت
واي حادثة نجمت وقضية استعجمت حتى هاست لك الاسف

على نفقة من سلف فأبرز رقعة من كمه وأقسم بأبيه وأمه
لقد أنزلها بأعلام المدارس فما أسأروا وأعني الأعلام
الدوارس واستنطق لها أحبار المحابر فخرسوا ولا خرس
سكان المقابر فقلت أرنيها لعلي أعني فيها فقال
ما أبعدت في المرام فرب رمية من غير رام ثم ناولنيها
فإذا المكتوب فيها

أيها العالم الفقيه الذي ... فاق ذكاء فما له من شبيه
أفتنا في قضية حار عنها ... كل قاض وحار كل فقيه
رجل مات عن أخ مسلم ... حر تقي من أمه وأبيه
وله زوجة لها أيها ... الحبر أخ خالص بلا تمويه
فحوت فرضها وحاز أخوها ... ما تبقى بالإرث دون أخيه
فاشفنا بالجواب عما سألنا ... فهو نص لا خلف يوجد فيه

فلما قرأت شعرها ولمحت سرها قلت له على الخبير بها سقطت
وعند ابن بجدتها حططت إلا أنني مضطرم الأحشاء
مضطر إلى العشاء فأكرم مثواي ثم استمع فتواي فقال
لقد أنصفت في الاشتراط وتجافيت عن الاشتطاط فصر معي
إلى مربعي لتطعم بما تبتغي وتنقلب كما ينبغي قال فصاحبته
إلى ذراه كما حكم الله فأدخلني بيتا أحرج من التابوت
وأوهن من بيت العنكبوت إلا أنه جبر ضيق ربعه بتوسعة
ذرعه فحكمني في القرى ومطايب ما يشترى فقلت أريد
أزهى راكب على أشهى مركوب وأنفع صاحب مع أخضر مصحوب

فأفكر

فأفكر ساعة طويلة ثم قال لعلك تعني بنت نخيلة مع
لبنة سخيلة فقلت إياهما عنيت ولأجلهما تعنيت فنهض
نشيطا ثم ربض مستشيطا وقال اعلم أصلحك الله أن
الصدق نباهة والكذب عاهة فلا يحملنك الجوع الذي
هو شعار الأنبياء وحلية الأولياء على أن تلحق بمن
مان وتتخلق بالذي يجانب الإيمان فقد تجوع الحرة ولا
تأكل بثدييها وتأبى الدنية ولو اضطرت البهائم إني
لست لك بزبون ولا أغبن على صفقة مغبون وها أنا
قد أنذرتك قبل أن ينهتك الستر وينعقد بيننا الوتر
فلا يبلغ تدبر الإنذار وحذار من المكاذبة حذار فقلت له
والذي حرم أكل الربا وأحل أكل اللبا ما نهت بزور
ولا دليتك بغرور وستخبر حقيقة الأمر وتحمد بذل اللبا
والتمر فهش هشاشة المصدوق وانطلق مغذا
إلى السوق فما كان بأسرع من أن أقبل بهما يدلج ووجهه
يقطب ويتلج فوضعهما لدي وصنع الممتن علي وقال
اضرب الجبين بالجبين وحط بلدة العيش فحسرت عن ساعد
النهم وحملت حملة الغبل الملتهم وهو يلحظني كما يلحظ الحنق
ويود من الغيظ لو اختنق حتى إذا التقمت النوعين وغادرتهما
أثرا بعد عين امردت حيرة في أظلال الأبيات وفكرة في
جواب الأبيات فما لبث أن قام وأحضر الدواة والأقلام
وقال قد ملأت الجراب فأمل الجواب وإلا فتهيأ أن تكلت

لاغترامِ ما اكلتُ فقلت له ما عندي الا التحقيق فاكتب الجوابَ

وبالله التوفيق

قل لمن يلغز المسائلَ انّي ... كاشفٌ سرّها الذي تخفيه
انّ ذاك الميتَ الذي قدّم الشرعُ اخاه لامّه على بن ابيه
رجلٌ زوّج ابنه عن رضاه ... بحماةٍ له ولا غرْوَ فيه
ثمّ مات ابنه وقد علقت منه ... فجاءت بابنٍ يسرّ ذويه
فهو ابن ابنه بغير مراءٍ ... واخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح ادنى الى الجدّ واولى بارثه من اخيه
فلذا حين مات اوجب للتّرْ ... كةِ ثمن التّراث يستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في الاصل اخو ها من امّها باقيه
وتخلّى الاخ الشقيق من الارث وقلنا يكفيك ان تبكيه
هاك منّي الفتيا التي يحتذيها ... كلّ قاضٍ يقضي وكلّ فقيه

فلمّا اثبت الجوابَ واستثبت منه الصوابَ قال لي
اهلك والليل فشمّر الذيل ونا ذالسّيل فقلت انّي
بدار غربةٍ وفي ايواءِ افضل قربةٍ لاسيّما وقد اغدق
جنحُ الظلام وسجع الرعد في الغمام فقال اعزب
عنّا فاك والله الى حيث شئتَ ولا يطمع في ان تبيتَ
فقلت فلم ذاك مع خلوّ ذراك قال لانّي اتّهمت النظرَ في التقاك
ما حضر حتّى لم تبق ولم تذر فرأيتك لا تنظر في مصلحتك لا تنزع عن
حفظ صحّتك ومن امعن فيما امعنتَ وتبطّن ما تبطّنتَ لم تخلص
من كظّةٍ مدنفةٍ او هيضةٍ متلفةٍ فدعني بالله كفافاً واخرج

عنّي ما دمت معافى فوالذي يحيي ويميت ما لك عندي
مبيتٌ فلمّا سمعت اليّته وبلوت مليّته خرجت من بيته بالرغم
وتزوّد الغمّ نخوّد في السّماء وتخبط في الظلماء وتنحي
الكلاب وتتقاذفني الابواب حتّى ساقني البك لطف القضاء
فشكراً لليد البيضاء فقلت له احبب بلقائك المتاح
الى قلبي المرتاح ثمّ اخذ يفتنّ في حكاياته وينشط مضحكاته
بمبكياته الى ان عطس انف الصباح وهتف داعي الفلاح
فتأهّب لاجابة الداعي ثمّ عطف الى وداعي فعقته عن الانبعاث
وقلت الضيافة ثلث فناشد وخرج ثمّ امّ المخرج وانشد

اذ عرّج

لا تزرْ من تحبّ في كلّ شهرٍ ... غير يومٍ ولا تزده عليه
فاجتلاء الهلال في الشهر يومٌ ... ثمّ لا تنظر العيون اليه

قال الحارث بن همّام فودّعته بقلبٍ دامي القرح ووددت
لو انّ ليلتي بطّته الصبح

المقامة السادسة عشر المغربيّة

حكى الحرث بن همّام قال شهدت صلوة المغرب
في بعض مساجد المغرب فلمّا اديتها بفضلها وشفعتها
بنفلها احدط في رفقةٍ قد انتبذوا ناحيةً وامتازوا
صفوةً صافيةً وهم يتعاطون كأس المناقبة ويقتدحون
زناد المناجشة فرغبت في محادثتهم لكلمةٍ تستفاد
وادبٍ تستزاد فسعيت اليهم سعي المتطفّل عليهم وقلت لهم

تقتبلون نزيلا يطلب جنى الاسمار لا جنى الثمار وتبغي
ملح الحوار لا ملح الجوار فحلوا الحبا وقالوا مرحبا
فلم اجلس الا لمحة بارق خاطف او نغبة طائر خائف حتى
غشينا جواب على عاتقه جراب فحيا بالكلمتين وحيا
المسجد بالتسليمتين ثم قال يا اولي الالباب وذوي
الفضل اللباب اما تعلمون ان انفس القربات تنفيس الكربات
وامتن اسباب النجاة مواساة ذوي الحاجات واني
ومن احلني ساحتكم واتاح لي استماحتكم لشريد محل
قاص وبريد صبية خماص فهل في الجماعة من يفثأ عني
حميا المجاعة فقالوا له يا هذا انك حضرت بعد العشاء
ولم يبق الا فضالات العشاء فان كنت بها قنوعا فما تجد
فينا منوعا فقال ان اخا الشدائد ليقنع بلفاظات الموائد
ونفاضات المزاود فامر كل منهم عبده ان يزوده
ما عنده فاعجب الصنع وشكر عليه وجلس يرقب ما يحمل
اليه وثبنا نحن الى استثارة ملح الادب وعيونه واستنباط
معينه من عيونه الى ان جلنا فيما لا يستحيل بالانعكاس
كقولك ساكب كاس فتداعينا الى ان نستفتح لذا الافكار
ونفترع منه الابكار الى ان ينظم البادي ثلث جمانات
في عقده ثم تتدرج الزيادات من بعده ويتبع ذو ميمنته
في نظمه ويتبع صاحب ميسرته على رغمه قال الراوي
وكنا قد انتظمنا عدة اصابع الكف وتألفنا ألفة اصحاب

الكهف

الكهف فابتدر لعظم محنتي صاحب ميمنتي وقال لم اخا مل وقال
مسيا منه كبر رجاء اجر ربك وقال الذي يليه من يرب
اذا بر نم وقال الآخر سكت كل من نم لك تكس وافضت
النوبة الي وقد عين نظم السمط السباعي علي فلم يزل
فكري يصوغ ويكسر ويثري ويغير وفي ضمن ذلك
استطعم فلا يجد من يطعم الى ان نكد النسيم وصحصح التكليم
فقلت لاصحابي لو حضر السروجي هذا المقام لشفى الداء
العقام فقالوا لو انزلت هذه باياس لامسك على ياس
وجعلنا نفيض في استصعابها واستغلاق بابها وذلك
الزور المعتري يلحظنا لحظ المزدري ويؤلف الدرر
ونحن لا ندري فلما عثر على افتضاحنا وتصوب صحصاحنا
قال يا قوم ان من العناء العظيم استيلاد العقيم والاستشفاء
بالسقيم وفوق كل ذي علم عليم ثم اقبل علي وقال سانوب
مناب الكفيك يا بابك فان شئت ان تنثر ولا تعثر فقل
مخاطبا لمن ذم البخل واكثر العذل لذ بكل مؤمل اذا لم وملك بذل
وان احببت ان تنظم فقل للذي يعظم

اس ارملا اذا عرا — وارع اذا المرء اسا
اسند اخا نباهة — ابن اخاء دنسا
اسل جناب غاشم — مشاغب ان جلسا
اسر اذا هب مرا — وارم به اذ رأسا
اسكن تقو فعسى — يسعف وقت نكسا

قال الراوي فلما سحرنا باياته وحسرنا بعد غاياته
مدحناه حتى استعفى ومنحناه الى ان استكفى
ثم شمّر ثيابه وازدفر جرابه ونهض ينشد

لله در عصابة صدق | المقال معا ولا
فاقوا الانام فضائلاً | مأثورة وفواضلا
جاورتهم فوجدت | سحبانا لديهم باقلا
وحللت فيهم سائلا | فلقيت وادا سائلا
اقسمت لو كان الكرام | حيا لكانوا وابلا

ثم خطا فندر تحين وعاد مستعيذا من الحين وقال يا عزة
من عدم الآل وكنز من سلب المال ان الغاسق قد وقب ووجه
المحجة قد انتقب وبيني وبين كني ليل دامس وطريق طامس فهل
من مصباح يؤمنني العثار ويهديني الى الآثار قال فلما جيء
بالملتمس وجلي الوجوه ضوء القبس رأيت صاحبنا ابو زيد
ابو زيد فقلت لاصحابي هذا الذي سرت الى آية اذا انطق اصاب
وان استمطر صاب فالمعوا الحوه الاعناق واخذوا به الاحداق
وسألوه في ان تسامرهم ليلته على ان يجبروا عيلته فقال
حباً لما احببتم ورحباً بكم اذ رحبتم غير ان اقتني قصدتكم
واطفالي يتضورون من الجوع ويدعون لي بوشك الرجوع
وان استراثوني جاءهم الطيش ولم يصف لهم العيش فدعوني
لاذهب فاسد مخمصتهم واسيغ غصتهم ثم انقلب اليكم على
الاثر متأهباً للسمر الى السحر فقلنا لاحد الغلمة اتبعه الى

فيته

بيته ليكون اوثب لغتته فانطلق مضطبناً جرابه و
مخشخشاً اثابه وابطأ بطأً جاوز حده ثم عاد الغلام
وحده فقلنا ما عندك من الحديث عن الخبيث قال اخذ بي
في طرق متشعبة وسبل متشعبة الى ان افضينا الى دويرة خربة
فقال ها هنا مناخي ووكر افراخي ثم افتتح بابه واخلج
منه جرابه وقال لعمري لقد خففت عني واستوجبت الحسنى
مني فهاك نصيحة هي من نفائس النصائح ومغارس المصالح
وانشد

اذا ما حويت جنى نخلة | فلا تقربنها الى قابل
واما سقطت على بيدر | فحوصل من السنبل الحاصل
ولا تلبثن اذا ما لقطت | فتنشب في كفة الحابل
ولا توغلن اذا ما سبحت | فان السلامة في الساحل
وخاطب بهات وجاوب بسوف | وبع آجلا منك بالعاجل
ولا تكثرن على صاحب | فما مل قط سوى الواصل

ثم قال احذ بها في مأمورك واقتد بها في امورك
وبادر الى صحبك في كلاءة ربك ثم اذا بلغتهم فابلغهم
تحيتي واتل عليهم وصيتي وقل لهم عني ان السهر في الخرافات
لمن اعظم الآفات فلست اللغي احتراسي ولا اجلب الهوس
الى راسي قال الراوي فلما وقفنا من نجوى شعره
على نكره ومكره تلاومنا على تركه والاغترار بافكه ثم تفرقنا
بوجوه باسرة وصفقة خاسرة

قهقرا اذا رجع على عقبه جنبه لا ينظر الى الجهة يمشي اليها
سميت هذه المقامة بالقهقرية لان فيها
رسالة يمكن قرائتها من اواخرها الى اوائلها

المقامة السابعة عشر

حدث الحارث بن همام قال لحظت في بعض مطارح
السير ومطامح العين فتية عليهم سيما الحجى وطلاوة
نجوم الدجى وهم في مماراة مشتدة الهبوب ومباراة
مستطيرة الالهوب فهزني لقصدهم هوى المحاضرة
واستجلاب جنى المناظرة فلما التحقت بحطهم وانتظمت
في سمطهم قالوا الانت ممن يبلى في الهيجاء ويلقى دلوه في
الدلاء فقلت بل انا من نظارة الحرب لا من ابناء الطعن
والضرب فاضربوا عن تحاجي وافاضوا في التحاجي وكان
في حبوة حلقتهم والكليل رفقتهم شيخ قد برته الهموم
ولوحته السموم حتى عاد اخل من قلم واحل من حلم الا انه
كان يتحدث العجاب اذا اجاب ويبتسم سحبان كلما ابان
فاعجبت بما اوتي من الاصابة والتبريز على تلك العصابة
ومازال يفصح كل معنى ويعمي في كل مرمى الى ان خلت
الجعاب ونفد السؤال والجواب فلما رأى انفضاض القوم
واضطرارهم الى الصوم عرض بالمطارحة واستأذن
في المفاتحة فقالوا احسنت اومن لنا بذا فقال اتعرفون رسالة
ارضها سماؤها وصبحها ماؤها نسجت على منوالين وتجلت
في لونين وصلت الى جهتين وبدت ذات وجهين ان
بزغت من مشرقها فيا هيك بروتقها وان طلعت
من مغربها فيا لعجبها قال فكان القوم رموا بالصمات

عليهم كلمة الانصات فما نبس منهم انسان ولا فاه لاحدهم
لسان فحين رآهم بكما كالانعام وصموتا كالاصنام
قال لهم قد احللتكم اجل العدة وارخيت لكم طول
المدة ثم ها هنا مجمع الشمل وموقف الفصل فان سمحت
خواطركم مدحنا وان صلدت زنادكم قدحنا فقالوا
له والله ما لنا في لجة هذا البحر مسبح ولا في ساحله
مسرح فارح افكارنا من الكد وهني العطية بالنقد
بالنقد واتخذنا اخوانا يتنبون اذا وثبت ويتثبتون
متى استثبت فاطرق ساعة وقال سمعا لكم وطاعة
فاستملوا مني وانقلوا عني الانسان صنيعة الاحسان
ورب الجميل فعل الندب وشيمة الحر ذخيرة الحمد وكسب
الشكر استثمار السعادة وعنوان الكرم تباشير البشر
واستعمال المداراة يوجب المصافاة وعقد المحبة
يوجب النصح وصدق الحديث حلية اللسان وفصاحة
المنطق سحر الالباب وشرك الهوى آفة النفوس ومسالك
الخلائق سنن الخلائق وسوء الطبع يباين الورع والتزام
الحرامة زمام السلامة وتطلب المثالب بئس المعايب
وتتبع العثرات يمحق المودات وخلوص النية خلاصة
العطية وتهنئة النوال ثمن السؤال وتكلف الكلف
يستهل الخلف وتيقن المعونة يخفي المؤونة وفضل
الصدر بسعة الصدر وزينة الزعاة مقت السعاة

وجزاء المدائح بث المنائح ومهر الوسائل تشفيع
المسائل ومجلبة الغوائل استغراق الغاية وتجاوز
الجد يكل الحد وتعدي الادب يحبط القرب وتناسي
الحقوق ينشئ العقوق وتحاشي الريب يرفع الرتب
وارتفاع الاخطار باقتحام الاخطار وتنوه الاقدار
بمواتاة الاقدار وشرف الاعمال في تقصير الامال واطالة
الفكرة تنقح الحكمة ورأس الرياسة تهذيب السياسة
ومع اللجاجة تلغى الحاجة وعند الاوجال تتفاضل الرجال
وبتفاضل الهمم تتفاوت القيم وبتزيد التعزز يهن
التدبير وبخلل الاحوال تتبين الاهوال وبموجب
الصبر ثمرة النصر واستحقاق الاحماد بحسب الاجتهاد
ووجوب الملاحظة كفاء المحافظة وصفو الموالي
بتعهد الموالي وتحلي المروات بحفظ الامانات واختبار
الاخوان بتخفيف الاحزان ودفع الاعداء بحفظ الاوداء
وامتحان العقلاء بمقارنة الجهلاء وتبصر العواقب يؤمن
المعاطب واتقاء الشنعة ينشر السمعة وشح الجفاء
ينافي الوفاء وجوهر الاحرار عند الاسرار ثم قال هذه
مائة لفظة تحتوي على ادب وعظة فمن ساقها هذا المساق
فلا مراء ولا شقاق ومن رام عكس قالبها فليردها على عقبها
فليقل الاسرار عند الاحرار وجوهر الوفاء ينافي الجفاء
وتقبح السمعة بنشر الشنعة ثم على هذا المحب فليسحبها

يرهبها

يرهبها حتى تكون خاتمة فقرها واخرة دررها ورب
الالحان صنعة الانسان قال الراوي فلما صدع
برسالته الفريدة وملوحته المفيدة علمنا كيف
يتفاضل الانشاء وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
فاعتلق كل منا بذيله وفلذ له فلذة من نيله فأبى
قبول فلذتي وقال لست ارزأ تلامذتي فقلت له
لكن ابا زيد على تحوب سخنتك بصبوب ماء وجنتك قال
انا هو على تحولي وتحولي وتقشف مخولي فاخذت
في تقريعه على تشريقه وتغريبه فحوقل واسترجع ثم
من قلب موجع

سل الزمان على غضبه ... ليروعني واحد عربه
واستل من حقي كراه ... مراغمًا واسال غربه
واجالني في الافق اطوي ... شرقه واجوب غربه
فبكل جو طلعة في ... كل يوم لي وغربه
وكذي المغرب شخصه ... متغرب ونواه غربه

ثم ولى يجر عطفيه ويخطر بيديه ونحن بين ملتفت
اليه ومتهافت عليه ثم لم يلبث ان حللنا الحبا وتفرقنا
ايادي سبا

المقامة الثامنة عشرة السنجارية

حكى الحرث بن همام قال قفلت ذات مرة من الشام
الى مدينة السلام في ركب من بني نمير اولي خير وميرة

ومعنا ابو زيد السروجي عقلة العجلان وسلوة
الكسلان واعجوبة الزمان والمشار اليه بالبنان في البيان
فصادفنا نزولنا سنجاران اولم احد التجار فدعا الى
مأدبته الجفلى من اهل الحضارة والفلا حتى سرت
دعوته القافلة وجمع فيها بين الفريضة والنافلة
فلما اجبنا مناديه وحللنا ناديه احضر من اطعمة اليدين
ما حلا في الفم وحلا بالعين ثم قدم جاما كانما جمد من الهواء
او جمع من الهباء او صيغ من نور الفضاء او قشر من الدرة
وقد اودع لطايف النعيم وضمخ بالطيب العميم وسيق اليه
شرب من تسنيم وسفر عن مرأى وسيم وارج نسيم فلما
اضطرمت بمحضره الشهوات وقربت الى مخبره اللهوات
وتشارفت ان تشن على سربه الغارات وتتنادى عنده
نهبه بالبشارات نشز ابو زيد كالمجنون وتباعد عنه
تباعد الضب من النون فراودناه على ان يعود وان لا يكون
كقدار في ثمود فقال والذي ينشر الاموات من الرجام
لا عدت دون رفع الجام فلم نجد بدا من تألفه وابراز خلفه
فاشلناه والعقول معه شايلة والدموع عليه سايلة فلما فاء
الى مجثمه وخلص من مأثمه سألناه لم قام ولاي معنى
استرفع الجام فقال الزجاج نمام واني اليت منذ اعوام
الا يضمني ونماما مقام فقلنا وما سبب يمينك الصغرى
واليتك الحرى فقال انه كان لي جار لسانه يتقرب وقلبه

عقرب

عقرب ولفظه شهدة ينقع وخبئه سم منقع فملت
لمحاورته الى مجاورته واغتررت بمكاشرته في معاشرته
واستهوتني خضرة دمنته لمنادمته واغرتني خدعة سمته
بمناسمته فمازجته وعندي انه جار مكاشر فبان انه عقاب
كاسر وآنسته على انه حب موانس فوضح انه حباب
موالس ومالحته ولا اعلم انه عند نقده ممن يفرح بفقده
وعاقرته ولم ادر انه بعد قره ممن يطرب لمفره وكانت
عندي جارية لا توجد لها في الكمال مجارية ان سفرت خجل
النيران وصليت القلوب بالنيران وان بسمت ازرت بالجمان
وبيع المرجان بالمجان وان رنت هيجت البلابل
وحققت سحر بابل وان نطقت عقلت لب العاقل واستنزلت
العصم من المعاقل وان قرأت شفت المفؤود واحيت
الموؤود وخلتها اوتيت من مزامير آل داود وان غنت
ظل معبد لها عبدا وقيل سحقا لاسحق وبعدا وان
زمرت اصحى زنام عندها زنيما بعد ان كان لجيله
زعيما وبالاطراب رغيما وان رقصت امالت العمايم عن
الروس وانستك رقص الحبب في الكؤوس وكنت ادري
معها حرم النعم واحلي تمليها جيد النعم واحجب مرآها عن الشمس
والقمر واذود ذكراها عن شرايع السمر وانا مع ذلك اشح
من ان تسري برياها ريح او يكهن بها سطيح او يشيم عليها
برق مليح فاتفق لوشك الحظ المنحوس ونكد الطالع

المنحوس ان انطقني بوصفها حميّا المدام عند الجار
النمام ثم ثاب الفهم بعد ان صرد السهم فاحببت
الحبال والذبال وصنيعه ما اودع ذلك الغزال
بيد انني عاهدته على علم ما لفظته وان تحفظ السر
ولو احفظته فزعم انه يخزن الاسرار كما يخزن اللئيم الدينار
وانه لا يهتك الاستار ولو عرض ان يلج النار
فما غبر على ذلك الزمان الا اليوم او يومان حتى بدا لامير
تلك المدرة والية هادي المقدرة ان يقصد باب
قبيلة مجددا عرض حيله ومشتطا عارض سيله فاراد
ان يصحبه تحفة تلايم هواه ليقدمها بين يدي نجواه
وجعل يبذل الجعايل لرواده ويبغي المراغب لمن
يظفره بمراده فاسف ذلك لجار الختار الى بذوله وعصى
في ادراع العار عذل عذوله فاتى الوالي ناشرا
اذنيه وانبأه ما كنت اسررته اليه فما راعني الا انسياب
صاعقته الي وانثيال حفدته علي يسومني اشاره
بالدرة اليتيمة على ان احكم عليه في القيمة فغشيني من اليم
ما غشي فرعون وجنوده من اليم ولم ازل ادافع عنها
ولا يغني الدفاع واستشفع اليه ولا يجدي الاستشفاع
وكلما رأى مني ازدياد الاغتصاص وارتياد المناص
تحرق وتضرم وحرق على الارم ونفسي مع ذلك لا تسمح
بمفارقة بدري ولا بان انزع قلبي من صدري حتى آل الوعيد

ايقاعا

ايقاعا والتفريع قراعا فقادني الاشفاق من الحين
الى ان قضيته سواد العين بصفرة العين ولم يحظ
الواشي بغير الاثم والشين فعاهدت الله تعالى مذ ذلك العهد
ان لا احاضر نماما من بعد والزجاج مخصوص بهذه الطباع
الذميمة وبه يضرب المثل في النميمة وقد جرى عليه شل يميني
ولذلكم السبب لم تمتد اليه يميني وقال

فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته | على ان حرمتم بي اقتطاف القطائف
فقد بان عذري في منيعي وانني | سارتق فتقي من تليدي وطارف
على ان ما زودتكم من فكاهة | الذ من الحلو الذي كل عارف

قال الحارث بن همام فقبلنا اعتذاره وقلنا له قدما وقدت
النميمة خير البشر حتى انتشر عن حمالة الحطب ما انتشر ثم
سألناه عما احدث جاره القتات ودخله المفتات فقد
ان ارتشى له بنيل السعاية وجذم حبل الرعاية فقال اخذ
في الاستخدام والاستكانة والاستشفاع الي بذي المكانة
وكنت حرجت على نفسي ان يستريحه انسي او يرجع الى مسكني
فلم يكن له مني سوى الرد والاصرار على الصد وهو لا يكت من
اللجة ولا ينيب من وقاحة الوجه بل يلظ بالوسائل ويلح في
المسائل فما يقصد في من ابرامه ولا ابعد عليه نيل مرامه الا
ابيات نفثت بها الصدر الموتور والخاطر المستور فانها
كانت مدحرة لشيطانه ومسحجة في اوطانه وعند
انتشارها بت طلاق الحبور ودعا بالويل والثبور وشن

من نشر وصلي المقبور كما يئس الكفار من اصحاب القبور
فناشدناه ان ينشدنا اياها وينشقنا رياها فقال
اجل خلق الانسان من عجل ثم انشد لا يزدهيه خجل ولا يثنيه
وجل

ونديم محضته صدق ودي — اذ توهمته صديقا حميما
خلته قبل ان يجرب الفا — ذا ذمام فبان جلفا ذميما
ثم اوليته قطيعة قال — حين الفيته صديدا حميما
وتخيرته كليما فامسى — منه قلبي بما جناه كليما
وتظنيته معينا رحيما — فتبينته لعينا رجيما
وترائيته مريدا فخلي عنه — سيبكي له مريدا لئيما
وتوسمت ان يهب نسيما فا — بى ان يهب الا سموما
بت من لسعة الذي اعجز — الراقي سليما وبات مني سليما
وغدا امره غداة افترقنا — مستقيما والجسم مني سقيما
لم يكن زايغا خبيا ولكن — كان بالبت رايعا لي خصيما
قلت لما بلوته ليته كان — عديما ولم يكن لي نديما
بغض الصبح حين نما الى — قلبي لان الصباح يلقي نموما
ودعا لي هوى الليل اذ — كان سواد الدجى رقيبا كتوما
وكفى من يشي ولو فاه بالصدق — اثاما فيما اتاه ولوما

قال فلما سمع رب المنزل قريضه وسجعه واستملح بقريظه
وسبعه بواه مهاد كرامته وصدره على تكرمته ثم احضر
عشر صحاف من الغرب فيها حلواء القند والضرب وقال

لا تستوي

لا تستوي اصحاب النار واصحاب الجنة ولا يسبح ان
البرني كذي الظنة وهذه الآنية تنزل منزلة
الابرار في صون الاسرار فلا تولها الابعاد ولا تلحق
بهو ذا الابعاد ثم امر خادمه بنقلها الى مثواه ليحكم
فيها بهواه فاقبل علينا ابو زيد وقال اقراء والسورة
الفتح وابشروا ابا نذمال القدح فقد جبر الله كلكم
وسني الكلم وجمع في ظل الحلواء شملكم وعجل ان
تزهوا شيئا وهو خير لكم ولما هممنا بالانصراف مال الى
استهداء الصحاف فقال للآدب ان من دلائل الظرف
سماحة المهدي بالظرف فقال كلاهما والعلام فاحذف
الكلام فانهض بسلام فوثب في الجواب وشكره شكر الروض
للسحاب ثم افتادنا ابو زيد الى جوابه وحكمنا في حلوائه وجعل
يقلب الاواني بيده ويعض عددها على عدده ثم قال لست
ادري اشكر ذلك النمام ام اكفر وانسى فعلته التي فعلها
ام اذكر فانه وان كان اسلف الجريمة وغنم النميمة فمن غنيمة
انهلت هذه الذبيحة وبسيفه انجازت هذه الغنيمة وقد خطر
ببالي ان ارجع الى اطفالي واقنع بما تسنى لي ولا اتعب
نفسي ولا اجمالي وانا اودعكم وداع محافظ واستودعكم خير
حافظ ثم استوى على راحلته راجعا في حافرته ولاويا الى زافرته
فغادرنا بعد ان وجدت عنده ورايناه انه كدست غاب
صدره او لسل افل بدره

المقامة التاسعة عشر النصيبية

حكى الحرث بن همام قال اجلى العراق ذات العويم لاختلاف
انواء الغيم وتحدث الركبان بريف نصيبين وطيبة
اهلها المحصبين فاقتعدت مهريا واعتقلت سمهريا وسرت
تلفظني ارض الى ارض ويجذبني رفع من خفض حتى بلغتها
نقضا على نقض فلما القت بعصاها الحصيب وضربت في قرعاها
بنصيب نويت ان القي بها جراني واتخذ اهلها جيراني
الى ان تحيي السنة الجماد ويتعهد ارض قومي العهاد
فوالله ما اكتحلت مقلتي بنومها ولا تمخضت ليلتي عن يومها
حتى الفيت ابا زيد السروجي يجول في ارجاء نصيبين ويخبط
بها خبط المصابين والمصيبين وهو ينشر من فيه الدرر
ويحلب بكفيه الدرر فوجدت جهادي قد جاز مغنما
وقدحي الفذ قد صار توأما ولم ازل اتبع ظله اينما انبعث
والتقط لفظه كلما نفث الى ان عراه مرض امتد مداه
وعرقته مداه حتى كاد يسلبه ثوب المحيا ويسلمه
الى لبي يحيى فوجدت الفوت بلقاه وانقطاع سقياه
ما يجده المبتعد عن مراحه والمرضع عند فطامه ثم ارجف
بان رهنه قد غلق ومخلب الحمام به قد علق فقلق صحبه
لاراجيف المرجفين وانثالوا الى عقوته موجفين حيارى
يميد بهم نجوهم كانهم ارتضعوا الخندريسا
نالوا الغروب وعطوا الجيوب وصكوا الخدود وشجوا الرؤسا

يودون لو سالمته المنون وغالت نفائسهم والنفوسا
قال الراوي فكنت ممن التف باصحابه واغتدى الى بابه فلما انتهينا
الى فنائه ونفضنا بنا لاستنباء انبائه برز الينا فتاه
مغبرة سحنتاه فاستطلعناه طلع الشيخ في شكاته وكنه
قوى حركاته فقال قد كان في قبضة المرضة وعركة الوعكة
الى ان شخص الدنف واستشف التلف ثم من الله تعالى
بتقوية ذمائه فافاق من اغمائه فارجعوا ادراجكم وانضوا
انزعاجكم فكان قد غدا وراح وساقاكم الراح فاعظمنا بشراه
واقترحنا ان نراه فدخل مؤذنا بنا ثم خرج آذنا لنا فلقينا منه
لقى ولسانا طلقا وجلسنا محدقين الى اساريره فقلب طرفه
في الجماعة ثم قال احتملوها بنت الساعة وانشد

عافاني الله وشكرا له ... من علة كادت تعفيني
ومن يبت بالبرء على انه ... لا بد من حتف سيبريني
ما يتنابني ولكنه ... الى تقضي الاكل ينسيني
ان حم لم يغن حميم ولا ... حمى كليب منه يحميني
وما ابالي اذ دنا يومه ... ام اخر الحين الى حين
فانني نحن في حيوة ارى ... فيها البلايا ثم تبليني

قال فدعونا له بامتداد الاجل وارتداد الوجل ثم تداعينا
الى القيام لاتقاء الابرام فقال كلا بل البثوا اباضع
يومكم عندي لتشفوا بالمفاكهة وجدي فان مناجاتكم قوت
نفسي ومغناطيس انسي فتحرينا مرضاته وتحامينا معاصاته

واقبلنا على الحديث نمخض زبده ونلغي زبده الى ان جاء
وقت المقيل وكلت الالسن من القال والقيل وكان
يوما حامي الوديقة يانع الحديقة فقال ان النعاس
قد امال الاعناق وراود الاماق وهو خصم الد وخطب
لا يرد فصلوا حبله بالقيلولة واقتدوا فيه بالآثار
المنقولة قال الراوي فاتبعنا ما قال وقلنا وقال فضرب الله
على الاذان وافرغ السنة في الاجفان حتى خرجنا من حكم الوجود
وصرفنا بالهجود عن السجود فلما استيقظنا الا والحر قد باخ
واليوم قد شاخ فتيكرنا الصلوة الجماعة وادينا
ما حل من الدين ثم تخيخنا من للارتحال الى ملتقى الرحال
فالتفت ابو زيد الى شبله وكان على شاكلته وشكله وقال اني
لا اخال ابا ثمرة قد اضرم في احشائهم الجمرة واستدع ابا جامع
فانه يشرى كل جامع وارد فه بابي نعيم الصابر على كل ضيم
ثم عزز بابي حبيب الى كل لبيب المقلب بين احراق وتعذيب
واهب بابي نغف فحبذا هو من الف وهلم بابي عون فما مثله
من عون ولو استحضرت بابي جميل المحتمل اتي بجميل وسخي
هل بابي القرى المذكرة بكسرى ولا تتناس ام جابر فكم لها من
ذاكر وناد ام الفرج ثم اقبل بها ولا حرج واختم بابي رزين
فهو سلوة كل حزين وان تعزز بابي العلاء اسمك من النجلاء
واياك واستدناء المرخفين قبل استقلال حمول البين واذا
برح القوم عن المرابع وصافحوا باليابس فاعطف عليهم انا السرو

وانه

وانه عنوان السنة وقال فحققنا ابنه لطايف رموزه بلطافة
تمييزه فطاف علينا بالطيبات والطيب الى ان اذنت
الشمس بالمغيب فلما اجمعنا على التوديع قلنا له الم تر الى
هذا اليوم البديع كيف يد اصبحه قمطريرا وامسيه مستنيرا
فسجد حتى اطال ثم رفع رأسه وقال

لا تايسن عند النوب	من فرجة تجلو الكرب
فلكم سموم هبت	ثم جرى بسيما وانقلب
وسحاب كروه تنشا	فاضمحل وما سكب
ودخان خطب خيف منه	فما استبان له لهب
ولطالما طلع الاسى	وعلى تقفيته هرب
فاصبر اذا ما ناب روع	فالزمان ابو العجب
ونزج من روح الاله	لطايفا لا تحتسب

قال فاستملينا ابياته الغر واثنينا لله تعالى الشكر
وودعناه مسرورين ببره معمورين بسره تفسير
ماتضمن هذه المقامة من الفاظ لغوية وكنى
طفيلية وكنايات صوفية
قوله ذات العويم يعني الزمان المتقادم ومثله ذات
الزمين والسمهرية الرماح وفي تسميتها بذلك قولان
احدهما انها سميت بذلك لصلابتها من قولهم اسمهر الشيء
اذا اشتد وقيل انها منسوبة الى سمهر زوج ردينة وكانا
جميعا يقومان الرماح وقوله ضرب الله على الاذان اي انامنا

ومنه قوله تعالى فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا
اى انمناهم وقيل في تفسيره منعناهم السمع وقوله اكرعنا
لصلوة العجماوين اى غسلنا اكارعنا وهو كناية
عن الوضوء والعجماوين صلوة الظهر والعصر سميتا بذلك
لاخفاء القراءة فيهما ومنه الحديث صلوة النهار عجماء
وقوله هلمّ اى قل لهم هلمّ وهي بمعنى هات وبمعنى اقبل والافصح
ان يوحّد لفظها مع المذكر والمؤنث والاثنين والجمع وبه نطق
القرآن في قوله والقائلين لاخوانهم هلمّ الينا ومن العرب
من يقول للمذكر الواحد هلمّ وللاثنين هلمّا وللجمع هلمّوا وللمؤنثة
الواحدة هلمّي وللاثنين هلمّا وللجمع هلممن وقوله حيّ هل اى
عجّل فقال حيّ هل بفلان بتسكين اللام وفتحها وتنوينها
وباثبات النون معها ومنه قول ابن مسعود رحمه الله في عمر
اذا ذكر الصالحون فحيّ هلا بعمر وفي حيّ هل لغات اخر
اضربنا عن ذكرها اذ ليس هذا موضع استيفاء شرحها فهذا
تفسير الالفاظ اللغوية

فابو يحيى كنية الموت وابو عمرة كنية الجوع ويكنى
ايضا ابا مالك وابو جامع الخوان وابو نعيم الخبز الحوارى
وابو حبيب الجدى وابو ثقيف الخل وابو عون الملح وابو جميل
البقل وام القرى الحجاج وام جابر الهريسة وام الفرج
الجوذابة وابو زرين الخبيص وابو العلاء الفالوذ وابو
الغسول والمرجان الطست والابريق وابو الستر والتنور

المقامة

المقامة العشرون
القرامية

حكى الحرث بن همام قال يممت ميافارقين مع رفقة
موافقين لا يمارون في المناجاة ولا يدرون ما طعم
المداجاة فكنت بهم كمن لم يرم عن وجاره ولا ظعن
عن الفه وجاره فلما اخنا بها مطايا التسيار وانتقلنا
عن الاكوار الى الاوكار تواصينا بتذكار الصحبة وتناهينا
عن المقاطعة في الغربة واتخذنا ناديا نغشاه طرفي النهار
ونتهادى فيه طرف الاخبار فبينا نحن به في بعض الايام
وقد انتظمنا في سلك الالتئام وقف علينا ذو مقول
جريّ وجرس جهوري فحيّا تحية نفاث في العقد قناص
للاسد والنقد ثم قال عنم سود قصار الاجل

عندي يا قوم حديث عجيب ... فيه اعتبار للاريب الاديب
رايت في ريعان عمري اخا باس ... له حدّ الحسام القضيب
يقدم في المعرك اقدام من ... يوقن بالفتك ولا يسترب
فيفرج الضيق بكراته حتى ... يرى ما كان ضنكا رحيب
ما بارز الاقران الا انثنى عن ... موقف الطعن برمح خضيب
ولا سما يفتح مستغلقا ... مستغلق الالباب بسعاهيب
الا وتوى حين يسمو له ... نصر من الله وفتح قريب
هذا وكم من ليلة باتها ... يميس في برد الشباب القشيب
يرتشف العيد ويرشفنه ... ويهو كالكحل المعد الحبيب
فلم يزل يبتزه دهره ما ... فيه من بطش وعود صليب

حتى اصارته الليالي لقى — يعافه من كان منه قريب
قد اعجز الراقي تخليص ما به — من اله آه واعيى الطبيب
وصارم البيض وصار منه — من بعد ما كان المجاب المجيب
واض كالمنكوس في خلقه من — يعش يلق دواهي المشيب
وما هو اليوم مسجى فمن — يرغب في تكفين ميت غريب

ثم اعلن بالنحيب وبكى بكاء المحب على الحبيب والمارقات دمعته وانفثات لوعته قال يا نجعة الرواد وقدوة الاجواد والله ما نطقت ببهتان ولا اخبرتكم الا عن عيان ولو كان في عصاي شير ولغنيمتي مطير لاستأثرت بما دعوتكم اليه ولما وقفت موقف الدال عليه ولكن كيف الطيران بلا جناح وهل على من لا يجد من جناح قال الراوي فطفق القوم يأتمرون فيما يأمرون ويتحافتون فيما يأتون فتوهم انهم على حرفه بحرمان او مطابقة بتهان فنفرط منه ان قال يا يلامع القاع ويرامع القاع ما هذا الارتياء الذي يا باه الحياء حتى كانكم كلفتم مشقة لا شقة او استوهبتم بلدة لا بردة وهززتم لكسوة البيت لا لتكفين ميت اف لمن لا تبض صفاته ولا ترشح حصاته فلما بصرت الجماعة بذلاقته ومرارة مذاقته رفاه كل منهم بسلبه واحتمل طله خوف سبه قال الحرث بن همام وكان هذا الرجل واقفا خلفي ومحتجبا بظهري عن طرفي فلما ارضاه القوم بسيبهم وحوسب على التأتي بهم حكحكت خاتمي من خنصري ولفت اليه بصري فاذا هو شيخنا السروجي بلا فرية ولا مرية فايقنت انها اكذوبة

يكذبها

يكذبها واحبولة نصبها الا اني طويته على غره وصنت شغاه عن فرة نخصيته بالخاتم وقلت ارصده لنفقة المأتم فقال وابائك فما اضرم شعلتك واكرم فعلتك ثم انطلق يسعى قدما ويتهرول هرولة قدما فنزعت الى عرفان ميته وامتحان دعوى حميته فتقرعت ظنبوبي والهبت الهوب حتى ادركته على غلوة واجتليته في خلوة فاخذت بجمع اردانه وعقته عن سنن ميدانه وقلت له والله ما لك مني ملجا ولا منجاء او تريني ميتك المسجى فكشف عن سراويله واشار الى غرموله فقلت له قاتلك الله فما اعبثك بالنهي واخيلك على اللهي ثم عدت الى اصحابي عود الرائد الذي لا يكذب اهله ولا يبرقش قوله واخبرتهم بالذي رايت وما وريت ولا واريت فقهقهوا من كيت وكيت ولعنوا ذلك الميت

المقامة الحادية والعشرون الرازية

حدث الحرث بن همام قال عنيت مذ احكمت تدبيري وعرفت قبيلي من دبيري بان اصغي الى العظات والغي الكلم المحفظات لاتحلى بمحاسن الاخلاق واتخلى مما يسم بالاخلاق وما زلت اخذ نفسي بهذا الادب واخمد به جمرة الغضب حتى صار التطبع فيه طباعا والتكلف له لي هو مطاعا فلما حللت بالري وقد حللت حبى الغي وعرفت الحي من اللي رايت بها ذات بكرة زمرة اثر زمرة وهم منتشرون انتشار الجراد ومستنون استنان الجياد ومتواصفون واعظا

يقصدونه ويحلون بن سمعون دونه فلم يتكأدني الاستماع
المواعظ واختبار الواعظ ان اتى اللاعظ واحتمل الضاغط
فاصبحت اصحاب المطواعة وانخرطت في سلك الجماعة حتى
افضينا الى ناد جمع الامير والمأمور والحشرة والنبيه والمغمور
وفي وسط هالته ووسط اهلته شيخ قد تقوس وتقعنس
وتقلنس وتطلس وهو يصدع بوعظ يشفي الصدور و
يلين الصخور فسمعته يقول وقد افتتنت به العقول يا ابن
آدم ما اغراك بما يغرك واضراك بما يضرك والهجك
بما يطغيك وابهجك بمن يطريك تعنى بما يعنيك وتهمل
ما يعنيك وتنزع في قوس تعديك وتريد الحرص يرديك
ولا بالكفاف تقتنع ولا من الحرام تمتنع ولا للعظات تستمع ولا
بالوعيد ترتدع دابك ان تنقلب مع الاهواء وتخبط خبط العشواء
وهمك ان تداب في الاثراء وتجمع التراث للوارث يعجبك
التكاثر بما لديك ولا تذكر ما بين يديك وتسعى ابدا لغاريك
ولا تبالي الك ام عليك اتظن ان ستترك سدى والا تحاسب
غدا ام تحسب ان الموت يقبل الرشا او يميز بين الاسد
والرشا كلا والله لن يدفع المنون مال ولا بنون ولا ينفع
اهل القبور سوى العمل المبرور فطوبى لمن سمع ووعى وحقق
ما ادعى ونهى النفس عن الهوى وعلم ان الفائز من ارعوى
وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم انشد
وجل بصوت زجل طرب

لعمرك

لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى ... اذا سكن المثرى الثرى وثوى به
فجد في مراضي الله بالمال راضيا ... بما تقتني من اجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فانه ... بمخلبه الاشغي يغول ونابه
ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره ... فكم خامل اخنى عليه ونابه
وعاص هوى النفس الذي ما اطاعه ... اخو ضلة الا هوى من عقابه
وحافظ على تقوى الاله وخوفه ... لتنجو مما يتقى من عقابه
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه ... بدمع يضاهي الوبل حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه ... وروعة ملقاه ومطعم صابه
وان قصارى مسكن الحي حفرة ... سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواها لعبد ساءه فعله ... وابدى التلافي قبل اغلاق بابه

قال فطفق القوم بين عبرة يذرونها وتوبة يظهرونها
حتى كادت الشمس تزول والفريضة تعول فلما خشعت الاصوات
والتأم الانصات وسكنت العبرات والعبارات استصرخ
مستصرخ بالامير الحاضر وجعل يجار اليه من عامله الجائر والامير
صاغ الى خصمه لاه عن كشف ظلمه فلما آيس من روحه
استنهض الواعظ لنصحه فنهض نهضة الشمير وانشد متعرضا
بالامير

عجبا لراج ان ينال ولاية ... حتى اذا ما نال بغيته بغى
يشجي ويلجم في المظالم والغا ... في وردها طورا وطور المبتغى
ما ان يبالي حين يتبع الهوى ... فيها اصلح دينه او اوتغا
يا ويحه لو كان يوقن انه ما ... حالة الا تحول اذا طغى

يتغير

او لو تبين ما نداه من صعق · سمعا الى افك الوشاة لما سعى

فانفت لمن اضحى الزمام بكفه · وتغاض ان القى الرعاية او رعى

وارع المرار اذا دعاك لرغبة · وزد الاجاج اذا اجمال السبعا

واحمل اذاه وان امضك مسه · واسال غرب الدمع منك وافرعا

فليضحكنك الدهر منه اذا نبا · عنه وشب لكيده ونار الوغى

ولينزلن به الشمات اذا بدا · متخليا من شغله متفرغا

ولتاوين له اذا ما خده اضحى · على ترب الهوان ممرغا

هذا له ولسوف يوقف موقفا · فيه يرى رب الفصاحة الثغا

وليحشرن اذل من فقع الفلا · وتحاسبن على النقيصة والشغا

ويواخذن بما جنى ومن اجتبى · ويطالبن بما احتسى وبما ارتغى

ويناقشن على الدقائق مثل ما · قد كان يفعل بالورى بل البغا

حتى يعض على الولاية كفه · ويود لو لم يسغ منها ما بغا

ثم قال ايها المتوشح بالولاية المترشح للرعاية دع الادلال بدولتك والاغترار بصولتك فان الدولة ريح والقدرة برق خلب ان ابعد الرعاة من سعدت به رعيته واشقاهم في الدارين من شانت رعايته فلا تكن ممن يبذر الاخرة ويلغيها ويحرث العاجلة ويبتغيها ويظلم الرعية ويوذيها واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها فوالله ما يغفل الديان ولا يهمل الانسان بل سيوضع لك الميزان وكما تدين تدان قال فوجم القاضي لما سمع واستنقع لونه وانتقع وجعل يتافف من الامرة ويزدرق الزفرة بالزفرة ثم عهد الى الشاكي فاشكاه والى المشكو فانجاه

والطف

والطف الواعظ وحياه وعزم عليه ان يغشاه فانقلب عنه المظلوم منصورا والظالم محصورا وجعل الواعظ يتهادى بين رفقته ويتباهى بفوز صفقته واعتقبته خطوا متقاصرا واريه لمحا باصرا فلما استشف ما اخفيه وفطن لتقلب وجهي فيه قال خير دليليك من ارشد ثم اقترب مني وانشد

انا الذي تعرفه يا حارث · حدث ملوك فكه منافث

اطرب ما لا تطرب المثالث · طورا اخو جد وطورا عابث

ما غيرتني بعدك الحوادث · ولا التحى عودي خطب كارث

ولا فري نابي حيد فارث · بل مخلبي بكل صيد صابث

وكل سرج فيه ذيبي عائث · حتى كاني للانام وارث

قال الحرث بن همام فقلت تالله انك لابو زيد ولو قمت تقد ولا عمرو بن عبيد فهش هشاشة الكريم اذا اتم وقال اسمع يا ابن ام

عليك بالصدق ولو انه · احرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضى الله فاغنى الورى · من اسخط المولى وارضى العبيد

ثم انه ودع اخوانه وانطلق يسحب ارادنه فطلبناه من بعد بارى واستنشرنا خبره في مدارج الطرق فما فينا من عرف قراره ولا دري اي الجراد عاره

المقامة الثانية والعشرون الفراتية

حكى الحرث بن همام قال اويت في بعض الفترات الى سقي الفرات فلقيت بها كتابا ابرع من بني الفرات واعذب اخلاقا من الماء

الفرات فاطّلعت بهم لتهذيبهم لا لذهبهم وكاثرتهم لآدابهم
لا لمآدبهم فجالست منهم اضراب القعقاع بن شور ووصلت بهم
الى الكوز بعد الحور حتى انهم اشركونى فى المرتع والمربع واحلونى
محل الانملة من الاصبع واتخذونى ابن انسهم عند الولاية والعزل
وحاذن سمرهم فى الجد والهزل فاتفق ان ندبوا فى بعض الاوقات
لاستقراء الرزداقات فاختاروا من الجوارى المنشآت جارية
حالكة الشيات يحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وتنساب
فى الحباب كالحباب اللجينة ثم دعونى الى المرافقة واستدعونى للمرافقة
فلما توركنا على الطية الدهماء وتبطنا الولية الماشية على الماء
الفينا بها شيخا عليه سحق سربال وسب بال فعافت الجماعة
محضره وعنفت من احضره وهمت بابرازه من السفينة لولا ما تاب
اليه من السكينة فلما لج منا استثقال ظله واستبراد ظله تنحنح
للمنافثة فصمت وجدك بعد ما عطش فما شئت فاخذ ينفقه
فيما آلت حاله اليه وينتظر نصرة المبنى عليه وجعلنا نخوض فى
شجون من جد وشجون الى ان اعرض ذكر الكاتبين وفضلهما
وتبيان افضلهما فقال قايل ان كتبة الانشاء انبل الكتاب
ومال مايل الى تفضيل الحساب واحتدم الحجاج وامتد اللجاج حتى
اذا لم يبق للجدال مطرح ولا للمراء مبرح قال يا قوم لقد اكثر
تم اللغط واكثرتم الصواب والغلط وان جلية الحكم عندى فارتضوا
بنقدى ولا تستفتوا احدا بعدى اعلموا ان صناعة الانشاء ارفع
وصناعة الحساب انفع وقلم المكاتبة خاطب وقلم المحاسبة حاطب واساطير

البلاغات تنسخ لتدرس ودساتير الحسبانات تنسخ وتدرس
والمنشئ جهينة الاخبار وحقيبة الاسرار ونجى العظماء
وكبير الندماء وقلمه لسان الدولة وفارس الجولة ولقمان
الحكمة وترجمان الهمة وهو البشير والنذير والشفيع والسفير
به تستخلص الصياصى وتملك النواصى ويقتاد العاصى ويستدنى
القاصى وصاحبه برى من التبعات آمن من كيد السعاة مقرظ
بين الجماعات غير معرض لنظم الجماعات فلما انتهى فى الفصل
الى هذا الفصل لحظ من لمحات القوم انه ازدرع حبا وبغضا
وارضى بعضا واحفظ بعضا فعقب كلامه بان قال الا ان صناعة
الحساب موضوعة على التحقيق وصناعة الانشاء مبنية على
التلفيق وقلم الحاسب ضابط وقلم المنشئ خابط وبين اتاوة
توظيف المعاملات وتلاوة طوامير السجلات بون لا يدركه
قياس ولا يعتوره التباس اذ الاتاوة تملأ الاكياس والتلاوة
تفرغ الراس وخراج الاوارج يغنى الناظر واستخراج المدارج
يعنى الناظر ثم ان الحسبة حفظة الاموال وحملة الاثقال
والنقلة الاثبات والسفرة الثقات واعلام الانصاف
والانتصاف والشهود المقانع فى الاختلاف ومنهم المستوفى
الذى هو يد السلطان وقطب الديوان وقسطاس الاعمال
والمهيمن على العمال واليه المآب فى السلم والهرج وعليه المدار
فى الدخل والخرج وبه مناط الضر والنفع وفى يده رباط الاعطاء
والمنع ولولا قلم الحساب لاودت ثمرة الاكتساب ولاتصل التغابن

الى يوم الحساب ولكان نظام المعاملات محلولا وجرح
الظلامات مطلولا وجيد التناصف معلولا وسيف التظالم
مسلولا على ان يراع الانشاء متقوّل ويراع الحساب متأوّل
والمحاسب مناقش والمنشئ ابو براقش ولكليهما حمة حين
يرقى الى ان يلقى واحباب فيما ينشى حتى يغشى ويرشى
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم قال الحرث
بن همام فلما امتع الاسماع بما راق وراع استنبأناه فاشرأب
وابى الانتساب لو وجد مثابا لانساب فحصلت
من لبسه على غمة حتى ادكرت بعداته فقلت والذى
سخر الفلك الدوار والفلك السيار انى لاجد ريح ابى
زيد وان كنت اعهده ذا رواء وايد فتبسم ضاحكا
من قولى وقال انا هو على استحالة حالى وحولى فقلت
لاصحابى هذا الذى لا تفرى فريه ولا تبارى عبقريه فحظوه
منه الود وبذلوا له الوجد فرغب عن الالفه ولم يرغب
فى التحفة وقال اما بعدان تحصحص حقى لاجل سجيتى وكشف
بالى لاخلاق سرّيا فما ارآكم الا بالعين السخينة ولا لكم
منا الا الصحبة السخفية ثم انشد

اسمع اخى وصية من ناصح	ما شاب محض الود منه بغشه
لا تعجلن بقضية مبتوتة فى	مدح من لم تبله او خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلى	وصفيه فى حالى رضاه وبطشه
ويبين خلب برقه من صدقه	للشائمين ووبله من طشه
فهناك ان تر ما يشين فواره	كرما وان تر ما يزين فافشه
ومن استحق الارتقاء فرقه	ومن استحط فحطه فى حشه
واعلم بان التبر فى عرق الثرى	خاف الى ان يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها	من حكه لا من ملاحة نقشه
ومن الغباوة ان تعظم جاهلا	لصقال ملبسه ورونق رقشه
او ان تهين مهذبا فى نفسه	لدروس بزته ورثة فرشه
فلكم اخى طمرين هيب لفضله	ومفوف البردين عيب لفحشه
واذا الفتى لم يغش عارا لم	تكن اسماله الا مراقى عرشه
ما ان يضر العضب كون قرابه	خلقا ولا البازى حقارة عشه

ثم ما عتم ان استوقف الملاح وصعد من السفينة وساح
فندم كل منا فيما افرط فى ذاته واغضى جفنه على قذاته
وتعاهدنا على الا نحتقر شخصا لرثاثة برده ولا نزدرى
سيفا مخبوا فى غمده

حكى الحرث بن همام قال نبا بى مالف الوطن فى شرخ الزمن لخطب
خشيته وخوف غشيته ففارقت كاس الكرى ونصصت ركاب السرى
وجبت فى سيرى وعورا لم تدمها الخفاف ولا اهتدت اليه
القطا حتى وردت حمى الخلافة والحرم العاصم من المخافة
فسررت بخلع الروع واستشعاره وقرّبت
لباس الامن وشعاره وقصرت همى على لذة اجتنيها
وملحة اجتليها فبرزت يوما الى الحريم لاروض طرفى فى اجيل

في طرقه طرفي فاذا فرسان متتالون ورجال منثالون
وشيخ طويل الباع قصير الطيلسان قد لبّب فتى جديد
الشباب خلق الجلباب فركضت اثر النظارة حتى
وافينا من باب الامارة وهناك صاحب المعونة متربعا
في دسته ومروعا بسمته فقال الشيخ اعز الله الوالي
وجعل كعبه العالي اني كفلت هذا الغلام فطيما وربيته
يتيما ثم لم آله تعليما فلما مهر وبهر جرد سيف العدوان
شهر ولم اخله يلتوي علي ويتقح جبين يرتوي
مسني ويكتفح فقال له الغلام علام عثرت مني حتى
تنشر هذا الخزي عني فوالله ما سترت وجه برك
ولا شققت عصى امرك ولا الغيت تلاوة شكرك فقال
له الشيخ ويلك واي ريب اخزى من ريبك وهل عيب
افحش من عيبك وقد ادعيت سحري واستلحقته و
شعري والسرقة واستراق الشعر عند الشعراء افظع
من سرقة البيضاء والصفراء وغيرتهم على بنات الافكار
كغيرتهم على البنات الابكار فقال الوالي للشيخ وهل حين
سرق سلخ او مسخ ام نسخ فقال والذي جعل الشعر ديوان
العرب وترجمان الادب ما احدث سوى ان بتر شرحه
واغار على ثلثي سرحه فقال له انشد ابياتك برمتها
ليتضح ما اجتازه من جملتها فانشد

يا خاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى ... وقرارة الاكدار

دار متى ما اضحكت في يومها ابكت غدا ... بعدا لها من دار
واذا اظل سحابها لم ينتقع منه صدى ... لجهامه الغرار
غاراتها ما تنقضي واسيرها لا يفتدى ... بجلائل الاخطار
كم مزدهى بغرورها حتى بدا متمردا ... متجاوز المقدار
قلبت له ظهر المجن واولغت فيه المدى ... وترت لاخذ الثار
فاربأ بعمرك ان يمر مضيعا فيها سدى ... من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى ... ورفاهة الاصدار
وارقب اذا ما سالمت من كيدها حرب العدى ... وتوثب الغدار
واعلم بان خطوبها تفجا ولو طال المدى ... وونت سرى الاقدار

فقال الوالي ثم ماذا اصنع هذا قال اقدم للؤمه في الجراءة
على ابياتي الستة الاجزاء فحذف منها جزئين ونقص من
اوزانها وزنين حتى صار الرزء فيها رزين قال بين
ما اخذ ومن اين فلذ قال اوعني سمعك واخل للتفهم
عنك ذرعك حتى تتبين كيف اصلت علي وتقدر قدر اجرامه
ثم انشد وانفاسه تتقعد

يا خاطب الدنيا الدنية ... انها شرك الردى
دار متى ما اضحكت ... في يومها ابكت غدا
واذا اظل سحابها ... لم ينتقع منه صدى
غاراتها ما تنقضي ... واسيرها ما يفتدى
كم مزدهى بغرورها ... حتى بدا متمردا
قلبت له ظهر المجن ... والغت فيه المدى

فاربا بعمرك ان تمر مضيعا فيها سدى
واقطع علايق حبها وطلابها تلق الهدى
فارقب اذا ما سالمت من كيدها حرب العدى
واعلم بان خطوبها تفجا وان طال المدى

فالتفت الوالي الى الغلام وقال تبا لك من خريج مارق وتلميذ سارق فقال الفتى برئ من الآدب وبنيه وحقت بمن يناويه ويقوض مبانيه ان كانت ابياته نمت الى علمي قبل ان الفت نظمي وانما اتفق توارد الخواطر كما يقع الحافر على الحافر قال فكان الوالي جوز تصديق زعمه وندم على بادرة ذمه وظل يفكر فيما يكشف له عن الحقايق ويميز الفايق من المايق فلم ير الا اخذهما بالمناضلة ولزهما في قرن المساجلة فقال لهما ان اردتما افتضاح العاطل وانتضاح الحق من الباطل فترسلا في النظم وتبارزا وتجاولا في حلبة الاجازة وتجاريا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فقالا له بلسان واحد وجواب متوارد قد رضينا بسبرك فمرنا بامرك فقال اني مولع من انواع البلاغة بالتجنيس واراه لها كالرييس فانظما الان عشرة ابيات تلحمان بها بوشيه وترصعانها بحليه وضمناها شرح حالي مع الف بديع الصفة المى الشفة مليح التثني كثير التجني مغرى بتناسي العهد واطالة الصد واخلاف الوعد وانا له كالعبد قال فبرز الشيخ مجليا وتلاه الفتى مصليا

وتجاريا

وتجاريا بيتا فبيتا على هذا النسق الى ان كمل نظم الابيات واتسق وهي

واحوى حوى رقي برقة لفظه وغادرني الف السهاد بغدره
تصدى لقتلي بالصدود وانني لفي اسره مذ حاز قلبي باسره
اصدق منه الزور خوف ازوراره وارضى استماع الهجر خيفة هجره
واستعذب التعذيب منه وكلما اجد عذابي جد بي حب بشره
تناسى ذمامي والتناسي مذمة واحفظ قلبي وهو حافظ سره
واعجب ما فيه التباهي بعجبه واكبره عن ان افوه بكبره
له مني المدح الذي طاب نشره ولي منه طي الود من بعد نشره
ولو كان عدلا ما تجنى وقد جنى علي وغيري يجتني رشف ثغره
ولولا تثنيه ثنيت اعنتي بدارا الى من اجتلي نور بدره
واني على تصريف امري وامره ارى المر حلوا في انقيادي لامره

فلما انشداها الوالي مترسلين بهت لذكائهما المتعادلين وقال اشهد بالله انكما فرقدا سماء وكزندين في وعاء وان هذا الحدث لينفق مما اتاه الله ويستغني بوجده عمن سواه فتب ايها الشيخ من اتهامه وتب الى اكرامه فقال الشيخ هيهات اين نراجعه مقتي او تعلق به ثقتي وقد بلوت كفرانه للصنيع ومنيت منه بالعقوق الشنيع فاعترضه الغني وقال يا هذا ان اللجاج شوم والخرق لوم وتحقيق الظنة اثم واعنات البري ظلم وهبني اقترفت جريرة واجترحت كبيرة اما تذكر اذ انشدتني لنفسك في ابان انسك

وقد

سامح اخاك اذا خلط … منه الاصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه ان … زاغ يوما او قسط
واحفظ صنيعك عنده … شكر الصنيعة ام غمط
واطعه ان عاصى وهن ان … عز وادن اذا شحط
واقن الوفاء ولو اخلّ … بما اشترطت وما شرط
واعلم بانك ان طلبت … مهذبا رمت الشطط
من ذا الذي ما ساء قط … ومن له الحسنى فقط
او ما ترى المحبوب و … المكروه لززا في نمط
كالشوك يبدو في الغصو … ن مع الجنى الملتقط
ولذاذة العمر الطويل … يشوبها نغص الشمط
ولو انتقدت بني الزمان … وجدت اكثرهم سقط

قال فجعل الشيخ ينضنض نضنضة الصل ويحملق حملقة البازي المطل ثم قال والذي زين السماء بالشهب وانزل الماء من السحب ما رغبت عن الاصطلاح الا لتوقي الافتضاح وان هذا الفتى اعتاد ان مونته واراعي شؤونه وقد كان الدهر يسح فلم اكن اشح فاما الآن فالوقت عبوس والخت منحوس حتى ان بيتي هذه عارة وبيتي لا يطور به فارة قال فرق لهما قلب القاضي واوى لهما من غير الليالي وصا الى اختصاصهما بالاسعاف وامر النظارة بالانصراف قال الراوي وكنت متشوقا الى مراى الشيخ لعلي اعلم علمه اذا عاينت وسمه ولم يكن الزحام يسفر عنه ولا يفرج لي

فادنوا

فادنوا منه فلما تقوضت الصفوف واجفل الوقوف توسمته فاذا هو ابو زيد والفتى فتاه فحينئذ عرفت مغزاه فيما اتاه وكدت انقض عليه لاستوقفه فرجح لي بايماض طرفه واستوقفني بايماء كفه فلزمت موقفي واخرت منصرفي فقال له الوالي ما اراك الا تابى سبب مقامك فابتدر الشيخ وقال انه ابني وصاحب ملبوسي فسمح عند هذا القول بتانيسي ورخص في جلوسي ثم افاض عليهما خلعتين ووصلهما بنصاب من العين واستعهدهما ان يتعاشرا بالمعروف الى اظلال اليوم المخوف فنهضا من ناديه مستبشرين بشكر اياديه وتبعتهما لاعرف مثواهما واتزود من نجواهما فلما اجزنا حمى الوالي وافضينا الى الفضاء الخالي ادركنا احد جلاوزته مهيبا بنا الى حضرته فقلت لابي زيد ما اظنه استحضرنا الا ليستخبر فماذا اقول وفي اي واد اجول فقال ابين له غباوة قلبه وتلعابي بلبه ليعلم ان ريحه لاقت اعصارا وجدوله صادف تيارا فقلت اخاف ان يتقد غضبه فيلفحك لهبه او يستشيط طيشه فيسري اليك بطشه فقال اني ارحل الآن الى الرها ولاتني يلتقي سهيل والسها فلما حضرت الوالي وقد خلا مجلسه والخلاء تعتبه اخذ يصف ابا زيد وفضله ويذم الدهر له ثم قال نشدتك الله الست الذي اعاره الدست فقلت لا والذي اجلسك في هذا الدست ما انا بصاحب ذال الدست بل انت الذي تم عليه الدست

فازورت مقلتاه، واحمرت وجنتاه، ثم قال والله ما اعجزني
قط فصيح مريب، ولا تكشيف معيب، ولكن ما سمعت بابن شيخنا
ولبس بعد ما التقلس فهذا اتم له ان لبس فبم يكنى قلت بابي زيد
فقال انه بابي كيد اليق منه بابي زيد اقتدى ابن سكع
ذلك الكلع فقلت اشفق منك لتعدي طوره فظعن عن بغداد
من فوره فقال لا قرب الله له نوى ولا كلاه اين ثوى
فما زاولت اشد من نكره ولا ذقت امر من مكره ولولا حرمة
ادبه لاوغلت في طلبه الى ان يقع فاوقع به واني لاكره
ان تشيع فعلته في مدينة السلم فافتضح بين الانام وتحبط
مكانتي عند الامام واصير ضحكة الخاص والعام فعاهدني
على ان لا تعوه بما اعتمد ما دمت حلا بهذا البلد قال الحرث
ابن همام فعاهدته معاهدة من لا يتاول ووفيت له كما
وفى السموءل

المقامة الرابعة والعشرون القطيعية

حكى الحرث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع في ابان
الربيع فتية وجوههم ابلج من انواره واخلاقهم ابهج من
ازهاره والفاظهم ارق من نسيم اسحاره فاجتليت
منهم ما يزري على الربيع الزاهر ويغني عن رنات المزاهر
وكنا تقاسمنا على حفظ الوداد وحظر الاستبداد والا
ينفرد احدنا بالتذاذ ولا يستاثر ولو برذاذ فاجمعنا
في يوم سما دجنه ونمى حسنه وحكم بالاصطباح مزنه على

نلتهي بالخروج الى بعض المروج لنسرح النواظر في النواضر
ونصقل الخواطر بشيم المواطر فبرزنا ونحن كالشهور عدة
وكندماني جذيمة مودة الى حديقة اخذت زخرفها وازينت
وتنوعت ازاهرها وتلونت ومعنا الكميت الشموس و
السقاة الشموس والشادي الذي يطرب السامع ويلهيه
ويقرب كل سمع ما يشتهيه فلما اطمان بنا الجلوس ودارت
علينا الكؤوس وغل علينا ذو طمر عليه طمر فتجهمناه تجهم
الغيد الشيب ووجدنا صفو يومنا قد شيب الا انه سلم
تسليم اولي الفهم وجلس يفض لطايم النثر والنظم ونحن
ننزوي من انبساطه وننبري لطي بساطه الى ان غنى شادينا
المغرب ومغردنا المطرب الام سعاد لا تصلين حبلي ولا
تاوين لي مما الاقي صبرت عليك حتى عيل صبري وكادت
تبلغ الروح التراقي وها انا قد عزمت على انصراف
اساقي فيه خلي ما ياقي فان وصلا الذ به فوصل وان
صرما فصرم كالطلاق قال فاستفهمنا العابث بالمثاني
لم نصب الوصل الاول ورفع الثاني فاقسم بتربة ابويه لقد
نطق بما اختاره سيبويه فتشعبت حينئذ اراء الجمع
في تجويز النصب والرفع فقالت فرقة رفعهما هو الصواب
وقالت طائفة لا يجوز فيهما الا الانتصاب واستبهم على
اخرين الجواب واستعر بينهم الاصطخاب وذلك الوافد يبدي
ابتسام ذي معرفة وان لم يفه ببنت شفة حتى اذا سكنت

الزماجر وصمت المزجور والزاجر قال يا قوم انا انبئكم
بتأويله وأميز صحيح القول من عليله انه يجوز رفع
الوصلين ونصبهما والمغايرة في الاعراب بينهما وذلكم
بحسب اختلاف الاضمار والتقدير المحذوف في هذا المضمار
قال مفرط من الجماعة افراط في مماراته والخراط الى مباراته
فقال اما اذ دعوتم نزال وتلببتم للنضال فما كلمة
هي ان شئتم حرف محبوب او اسم لما فيه حرف حلوب واي
اسم يتردد بين فرد حازم وجمع ملازم واية هاء اذا التحقت
اماطت الثقل واطلقت المعتقل واين تدخل السين فتعزل
العامل من غير ان تجامل وما منصوب ابدا على الظرف
لا يخفضه سوى حرف واي مضاف اخل من عرى الاضافة
بعروة واختلف حكمه بين ساعة وغدوة واي عامل نائبه
ارحب منه وكرا واعظم مكرا واكثر لله تعالى ذكرا وفي
اي موطن تلبس الذكران براقع النسوان وتبرز ربات
الحجال بعمائم الرجال واين يجب حفظ المراتب على المضروب
والضارب وما اسم لا يفهم الا باستضافة كلمتين او الاقتصار
منه على حرفين وفي وضعه الاول التزام وفي الثاني الزام وما
وصف اذا اردف بالنون نقص صاحبه في العيون وقوم
بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون فهذه ثنتا
عشرة مسئلة وفق عددكم وزنة لددكم ولو زدتم زدنا
زدنا وان عدتم عدنا قال المخبر بهذه الحكاية فورد علينا

من احاجيه

احاجيه التي بالت لما انهالت ما حارت لها الافكار
وحالت فلما اعجزنا العوم في بحره واستسلمت تمائمنا
لسحره عدلنا من استقال الرؤية له الى استنزال
الرواية عنه ومن بغي التبرم به الى ابتغاء التقلم منه
فقال والذي نزل النحو في الكلام منزلة الملح في الطعام
وحجب مطالبه عن بصائر الطغام لا انلتكم مراما
ولا شفيت لكم غراما او تخولني كل يد وتخصني كل منكم
بيد فلم يبق في الجماعة الا من اذعن لحكمه ونبذ اليه
خباة كمه فلما حصل تحت وكائه اضرم شعلة ذكائه
فكشف حينئذ من اسرار الغازه وبدائع اعجازه ما جلا به
صدا الاذهان وجلى مطلعه بنور البرهان قال الراوي
فهتنا حين فهمنا وعجبنا اذا اجبنا وندمنا على ما غرمنا
فاخذنا نعتذر اليه اعتذار الاكياس ونعرض عليه
ارتضاع الكاس فقال مارب لا حفاوة ومشرب لم يبق
له عندي حلاوة ثم شمخ بانفه صلفا ونأى بجانبه انفا
وانشد

نهاني الشيب عما فيه اصلاحي ... فكيف اجمع بين الراح والراح
وهل يجوز اصطباحي من معتقة ... وقد انار مشيب الراس اصباحي
آليت لا خامرتني الخمر ما علقت ... روحي بجسمي والفاظي بافصاحي
ولا اكتست لي بكاسات السلاف يد ... ولا اجلت قداحي بين اقداحي
ولا صرفت الى صرف مشعشعة ... همي ولا رحت مرتاحا الى راح

ولا انتظمت على مشمولة ابداً شملي ... ولا اخترت ندماناً سوى الصاحي
مجا المشيب مراحي حين خطّ على ... رأسي فابغض به من كاتب ماحي
ولاح يلحي على جري العنان الى ... ملهى فسحقاً له من لائح لاحي
ولو لهوت وفودي شايب لخبا ... بين المصابيح من غشّان مصباحي
قوم سجاياهم توقير ضيفهم و ... الشيخ ضيف له التوقير يا صاح

ثم انه انساب انسياب الايم واجفل اجفال الغيم فعلمت انه سروج وبدر الادب الذي يجاب بقطع البروج وكان قصارى التحرق لبعده

تقضية ما اودع هذه المقامة والتفرق من بعده من النكت الوعظية والاحاجي

اما صدر البيت الاخير من الاغنية الذي هو فان فصيل الكرية فوصل فانه نظير قولهم المرء مجزي بعمله ان خيراً فخير وان شراً فشر وهذه المسئلة اودعها سيبويه كتابه وجوّز في اعرابها اربعة اوجه احدها وهو اجودها ان تنصب خيراً الاول وترفع الثاني وتنصب شراً الاول وترفع الثاني فيكون تقديره ان كان عمله خيراً فجزاؤه خير وان كان عمله شراً فجزاؤه شر فينتصب الاول على انه خبر كان ويرتفع الثاني على انه خبر مبتدا محذوف وقد حذفت في هذا الوجه كان واسمها لدلالة الفاء التي هي جواب الشرط عليه لانه كثيراً ما يقع بعدها والوجه الثاني ان تنصبهما جميعاً ويكون تقدير الكلام ان كان عمله خيراً فهو يجزى خيراً وان كان عمله شراً فهو يجزى شراً فينتصب الاول على انه خبر كان وينتصب الثاني انتصاب المفعول به والوجه الثالث ان ترفعهما جميعاً ويكون تقدير الكلام ان كان في عمله

خير

خير فجزاؤه خير ويرتفع خير الاول على انه اسم كان ويرتفع خير الثاني على ما بين في شرح الوجه الاول وقد يجوز ان يرتفع خير الاول على انه فاعل كان ويجعل كان المقدرة ها هنا هي التامة التي هي بمعنى حدث ووقع ولا تحتاج الى خبر كقوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ويكون التقدير في المسئلة ان كان خير فجزاؤه خير والوجه الرابع وهو اضعفها ان ترفع الاول على ما تقدم شرحه في الوجه الثالث وينتصب الثاني على ما سبق ذكره في الوجه الثاني ويكون التقدير ان كان في عمله خير فهو يجزى خيراً وعلى حسب هذا التفسير والمقدرات المحذوفات فيه يجري اعراب البيت الذي عني به وما ينتظم في هذا السلك قولهم المرء مقتول بما قتل به ان سيفاً فسيف وان خنجراً فخنجر واما الكلمة التي هي حرف محبوب واسم لما فيه حرف حلوب فهي نعم ان اردت بها تصديق الاخبار والعدة عند السؤال فهي حرف وان عنيت بها الابل فهي اسم والنعم تذكر وتؤنث وتطلق على الابل وعلى كل ماشية فيها ابل وفي الابل الحرف وهي الناقة الضامرة سميت حرفاً تشبيهاً لها بحرف السيف وقيل انها الضخمة تشبيهاً لها بحرف الجبل واما الاسم المتردد بين فرد جازم وجمع ملازم فهو سراويل قال بعضهم هو واحد وجمعه سراويلات فعلى هذا القول هو فرد وكني عن ضمة الجمع بانه جازم وقال آخرون هو جمع وواحده سروال مثل شملال وشماليل

فهو على هذا القول جمع ومعنى قوله ملازم اي لا ينصرف
وانما لم ينصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه الف بعدها
حرف مشدد او حرفان او ثلثة لثقله وتميزه دون غيره
من الجموع بان لا نظير له في الاسماء الآحاد وقد كنى في هذه
الاحجية عما لا ينصرف بالملازم واما الهاء التي اذا الحقت
اماطت الثقل واطلقت المعتقل فهو الهاء اللاحقة بالجمع
المقدم ذكره كقولك صيارفة وصياقلة فينصرف هذا الجمع
عند التحاق الهاء به لانها قد اصارته الى مثال الآحاد نحو
فاهية وكراهية فخف لهذا السبب وصرف لهذه العلة
وقد كنى احجية في عما لا ينصرف بالمعتقل كما كنى في التي قبلها
عما لا ينصرف بالملازم واما السين التي تعزل العامل من غير
تحامل فهي اذا دخلت على الفعل المستقبل وفصلت منه وبين
ان التي كانت قبل دخولها من ادوات النصب فيرتفع
حينئذ الفعل وتنتقل ان عن كونها الناصبة للفعل الى
ان تصير المخففة من الثقيلة وذلك كقوله سبحانه علم ان سيكون
منكم مرضى وتقديره علم انه يكون واما المنصوب على الظرف
الذي لا تخفضه سوى حرف فهو عند ولا تجره غير من حاشية
وقول العامة ذهبت الى عنده لحن واما المضاف الذي
اخل من عرى الاضافة بعروة واختلف حكمه بين نساء وغدوة
فهو لدن ولدن من الاسماء اللازمة للاضافة وكل ما يأتي
بعدها مجرور بها الا غدوة فان العرب نصبتها بلدن لكثرة

استعمالهم

استعمالهم اياها في الكلام ثم نونتها ايضا لتبيين بذلك
انها منصوبة الا انها من نوع المجرورات التي لا تنصرف
وعند بعض النحويين ان لدن بمعنى عند والصحيح ان بينهما
فرقا لطيفا وهو ان عند يشتمل معناها على ما هو في ملكك
ومكنتك مما دنا منك وبعد عنك ولدن تختص معناها
بما حضرك وقرب منك واما العامل الذي يتصل آخره باوله
ويعمل معكوسه مثل عمله فهو يا ومعكوسها اي وكلتاهما
من حروف النداء وعملهما في الاسم المنادى سيان وان كانت
يا اجول في الكلام واكثر في الاستعمال وقد اختار بعضهم
ان ينادى باي القريب فقط كالهمزة واما العامل الذي
نائبه ارحب منه وكرا واعظم مكرا واكثر لله تعالى ذكرا فهو
باء القسم وهذه الباء هي اصل حروف القسم بدلالة استعمالها
مع ظهور فعل القسم في قولك اقسم بالله ولدخولها ايضا
على المضمر كقولك بك لافعلن ثم ابدلت الواو منها في القسم
لانهما جميعا من حروف الشفة ثم لتناسب معنييهما لان الواو
تفيد الجمع والباء تفيد الالصاق والمعنيان متقاربان
ثم صارت الواو المبدلة من الباء ادور في الكلام واعلق
بالاقسام ولهذا الامر الغز بانها اكثر لله تعالى ذكرا ثم
ان الواو اكثر موطنا من الباء لان الباء لا تدخل الا على
الاسم ولا تعمل غير الجر والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف
وتجر تارة بالقسم وتارة باضمار رب وتنتظم ايضا مع نواصب

الفعل وادوات العطف فلهذا وصفها برحب الوكر
وعظم المكر واما الموطن الذي تلبس فيه الذكران براقع
النسوان وتبرز فيه ربات الحجال بعمائم الرجال فهو اول
مراتب العدد المضاف وذلك ما بين الثلاثة الى العشرة
وقد يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها كقوله سبحانه
سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما والهاء في غير
هذا الموطن من خصايص المؤنث كقولك قائم وقائمة وعالم
وعالمة وقد رايت كيف انعكس في هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث
حتى انفلت كل منهما في ضد قالبه وبرز في بزة صاحبه واما
الموضع الذي تجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب
فهو حيث تشتبه الفاعل والمفعول لتعذر ظهور علامة الاعراب
فيهما او في احدهما وذلك اذا كانا مقصورين مثل عيسى وموسى
او من اسماء الاشارة نحو ذلك وهذا فيجب حينئذ لازالة
اللبس اقرار كل واحد منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما
بتقدمه والمفعول بتأخره واما الاسم الذي لا يفهم الا باستضافة
كلمتين او الاقتصار منه على حرفين فهو مهما وفيها قولان
احدهما انها مركبة من مه التي بمعنى اكفف ومن ما والقول
الثاني وهو الصحيح ان الاصل فيها ما فزيدت عليها ما اخرى
كما زيدت على ان فصار لفظها ماما فثقل عليهم توالي كلمتين
بلفظ واحد فابدلوا من الالف الاولى هاء فصار مهما ومهما
من ادوات الشرط والجزاء ومتى نطقت بها لم يتم الكلام ولا عقل

المعنى

المعنى الا بايراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل
افعل ويكون حينئذ ملزما للفعل وان اقتصرت منها
على حرفين وهما مه التي بمعنى اكفف فهم المعنى وكنت ملزما
من خاطبته ان يكف   واما الوصف الذي اذا اردف
بالنون نقص صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج
من الزبون وتعرض للهون فهو ضيف اذا الحقته النون
استحال الى ضيفن وهو الذي يتبع الضيف ويتنزل في النقد
منزلة الزيف

المقامة الخامسة والعشرون

حكى الحرث بن همام قال شتوت بالكرج لدين اقتضيه وارب
فبلوت من شتائها الكالح وصرها النافح ما عرفني
جهد البلاء وعكفني على الاصطلاء فلم اكن ازايل و
جاري ومستوقدي الا لضرورة ادفع اليها او اقامة
جماعة احافظ عليها فاضطررت في يوم جود منهمر و
دجن مكفهر الى ان برزت من كني لمهم عنا لي
فاذا شيخ عاري الجلدة بادي الجردة وقد اعتم بريطة
واستثفر بفويطة وحواليه جمع كثيف الحواشي وهو ينشد
ولا يحاشي

يا قوم لا ينبئكم عن فقري   اصدق من عريي اوان القر
فاعتبروا بما بدا من ضري   باطن حالي وخفي امري
وحاذروا انقلاب سلم الدهر   فانني كنت نبيه القدر

اوى الى وفر وحد يفري   يفيد صفري ويبيد سمري
وتشتكي كومي غداة قري   مجرّد الدهر سيوف الغدر
وشنّ غارات الرزايا الغبر   ولم يزل يسحتني ويبري
حتى عفت داري وغاض دري   وبار شعري في الورى وسعري
وصرت نضو فاقة وعسر   عاري المطا مجرّداً من قري
كأنني المغزل في التعري   لا دفء لي في الصنّ والصنبر
غير التضحّي واصطلاء الجمر   فهل خصيم ذو رداء غمر
يسترني بمطرف او طمر   صلاب وجه الله لا لشكري

ثم قال يا ارباب الثراء الرافلين في الفراء من أوتي خيراً فلينفق ومن استطاع ان يرفق فليرفق فان الدنيا غدور والدهر عثور والمكنة زورة طيف والفرصة مزنة صيف واني والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته واعددت الاهب له قبل موافاته وها انا اليوم يا سادتي ساعدي وسادتي وجلدتي بردتي وحفنتي جفنتي فليعتبر العاقل بحالي وليبادر صرف الليالي فان السعيد من اتعظ بسواه واستعد لمسراه فقيل له قد جلوت علينا ادبك فاجل لنا نسبك فقال تبّاً لمفتخر بعظم نخر انما الفخر بالتقى والادب المنتقى ثم انشد

لعمرك ما الانسان الا ابن يومه   على ما تجلّى يومه لا ابن امه
وما الفخر بالعظم الرميم وانما   فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

ثم انه جلس محقوقفاً واحرنجم مقفقفاً وقال اللهم يا من غمر

بنواله

بنواله وامر بنواله صلّ على محمد وآله واعنّي على البرد واتح لي حرّاً يؤثر من خصاصة ويواسي ولو بقصاصة قال الراوي فلما جلي عن النفس العصامية والملح الاصمعية جعلت عني تجهمه ومرامي لحظي ترجمه حتى استثبت انه ابو زيد وان تعريه احبولة صيد وكمح هو ان عرفني قد ادركه ولم يأمن ان يهتكه فقال اقسم بالسمر والقمر والزهر والزهر انه لن يسترني اليوم الا من طاب خيمه واشرب ماء المروة اديمه فعقلت ما عناه وان خفي على القوم معناه وساءني ما يعانيه من الرعدة واقشعرار الجلدة فعمدت لفروة هي بالنهار رياشي وفي الليل فراشي فنضوتها عني وقلت له اقبلها مني فما كذب ان افتراها وسع عيني تراها ثم انشد

لله من البسني فروة   اضحت من الرعدة لي جنّة
البسنيها واقياً مهجتي   وقي شرّ الانس والجنّة
ستكسب اليوم ثنائي وفي   غد سيكسى سندس الجنّة

قال فلما فتن قلوب الجماعة بافتنانه في البراعة القوا عليه من الفراء المغشّاة والجباب الموشّاة ما آده ثقله ولم يكد يقلّه فانطلق مستبشراً بالفرج مستخفّاً لاهل الكرج وتبعته الى حيث ارتفعت التقية وبدت السمانقية فقلت له لشدّ ما قرسك البرد فلا تتعرّ من بعد فقال فقال ويك ليس من العدل شرعة العذل فلا تعجل بلوم

هو ظلم ولا تقف ما ليس لك به علم فوالذي نوّر الشيبة
وطيّب تربة طيبة لولم القرّ لرجعت بالخيبة وصفر العيبة
ثم نزع الى الفرار وتبرقع بالتقهقر وقال اما تعلم ان
شنشنتي الانتقال من صيد الى صيد والانعطاف من
عمرو الى زيد واراك قد عقتني وعقّقتني وافتني اضعاف
ما افدتني فاعفني عافاك الله من لغوك واسدد دوني
باب جدّك ولهوك فجبذته جبذ التلعابة وجعجعت
للدعابة وقلت له والله لولم اوارك واعض على عوارك
لما وصلت الى صلته ولا انقلبت اكسى من بصلة فجازني
عن اجنح اليك وسرّي لك وعليك بان تسمح لي ببرد الفروة
او يعرّفني كافات الشتوة فنظر اليّ نظرة المتعجب وازمهرّ
ازمهرار المتغضب ثم قال اما ذو الفروة فابعد من روامس
الدابر والميت الغابر واما كافات الشتوة فسبحان من
طبع على ذهنك واوهى وعاء حزنك حتى انسيت ما
انشدتك بالبلد لابن سكرة

جاء الشتاء وعندي من حوائجه … سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كنّ وكيس وكانون وكاس طلا … بعد الكباب وكسّ ناعم وكسا

ثم قال الجواب ليشفي خير من جلباب يدفي فاكتف بما حكت
وانكفى ففارقته وقد ذهبت فروتي لشقوتي وحصلت
على الرعدة طول شتوتي

المقامة السادسة والعشرون

حدث الحرث

حدث الحرث بن همام قال حللت سوق الاهواز لابسا
حلة الاعواز فبت فيها مدة اكابد شدة وازجي اياما
مسودة الى ان رأيت المقام من عوادي الانتقام
فرمقتها بعين القالي وفارقتها الطلل البالي وظعنت
عن وشلها كميش الازار راكضا الى المياه الغزار
حتى اذا سرت منها مرحلتين وبعدت شرى ليلتين
ترائت لي خيمة مضروبة ونار مشبوبة فقلت ايتهما العلى
انقع صدى او اجد على النار هدى فلما انتهيت الى
ظل الخيمة رأيت غلمة روقة وشارة مرموقة و
شيخ عليه بزة سنية ولديه فاكهة جنية فحييته ثم
تحاميته فضحك الي واحسن الرد علي وقال الا تخلس الى
من ترتوق فاكهته وتتشوق مفاكهته فجلست لاغتنام
محاضرته لا لالتهام ما بحضرته فحين سفر عن ادابه وكشر عن
انيابه عرفت انه ابو زيد بحسن ملحه وقبح قلحه فتعارفنا
حينئذ وحفت بي فرحتان ساعتئذ ولم ادر بايهما
انا اصفى فرحا واوفى مرحا اباسفاره من دجنة اسفاره
ام بخصب رحاله بعد امحاله وتاقت نفسي الى ان افض
ختم سره والبطن داعية يسره فقلت له من اين
ايابك والى ابن انسيابك وبم امتلأت عيابك فقال
اما المقدم فمن طوس واما المقصد فالى السوس واما الجدة
التي اصبتها فمن رسالة اقتضبتها فسألته ان يفرشني جلته

وسيرد على رسالة فقال دون مرامك حرث العبوس
او تصحبني الى السوس فصاحبته اليها قهرا وعكفت
بها عليه شهرا وهو يعللني بكاسات التعليل ويجري في
اعنة التاميل حتى اذا خرج صدري وعيل صبري
قلت له انه لم يبق لك علة ولا لي تعلة وفي غد انزجر
غراب البين وارحل عنك بخفي حنين فقال حاش لله
ان اخلفك او اخالفك وما ارجات ان احدثك
الا لانبئك وان اكنت قد استربت بعدتي واغراك
ظن السوء بما عدتي فاصخ لقصص سيرتي الممتدة
واضفها الى اخبار الفرج بعد الشدة فقلت هات
فما اطول طيلك واهول حيلك فقال اعلم ان الدهر
العبوس القاني الى طوس وانا يومئذ فقير وفير لا فتيل
لي ولا نقير فالجاني صفر اليدين الى التعلق بالدين
فادنت لسوء الاتفاق ممن هو عز الاخلاق وتوهمت
تسني النفاق فتوسعت في الانفاق فما انفقت حتى
بهظني دين لزمني حقه ولازمني مستحقه فحرت في امري
واطلعت غريمي على عسري فلم يصدق املاقي ولا ارعوى
عن ارهاقي بل جد في التقاضي ولج في اقتيادي
الى القاضي وكلما خضعت له في الكلام واستنزلته
رفق الكرام ورغبته في ان ينظرني بما بسره او ينظرني
الى ميسرة قال لا تطمع في الانظار واختبار النظار

فوحقك

فوحقك ما ترى مسالك الخلاص او ترى في سبائك الخلاص
فلما رايت احتدا داده وان لا مناص لي من يده
شاغبته ثم وابيته ليرافعني الى والي الجرايم لا الى الحاكم
في المظالم لما كان بلغني من افضال الوالي وفضله
وتشدد القاضي وبخله فلما حضرنا باب امير طوس الفيت
ان لا باس ولا بوس فاستدعيت له دواة وبيضا وانشات
اليه رسالة رقطاء وهي اخلاق سيدنا تحب وبعقوته
يلب وقربه تحف ونايه تلف وخلته نسب وقطيعته
نصب وغربه ذلق وشهبه تاتلق وطلقته زان وقويم
نهجه بان وذهنه قلب حول ونعته شرق وغرب
سيد قلب سبوق مبر فطن مغرب عزوف عيوف
مخلف متلف اغر فريد نابه فاضل ذكي ابي وف
مفلق ان ابان طب ان اناب هياج وجل حطب عوف
مناظم شرفه تاتلف وشوبوب حبابه يكف ونايل يديه
فاض وشح قلبه غاض وخلف سخايه يحتلب وذهب
يحترب من لفت لغه فلج وغلب وتاج بابه جلب خلف
كف عن هضم ريب وبرى من دنس غيب وقرن
لبانه بعز ونكب عن مذهب كز لبس بوثاب عنه
نهزة شر بل يعف عفة بر
فلذا الحب وبحق عفافه شغفا به قلب به خلاب
اخلاقه غر ترف وفوقه فوق اذا ناضلته غلاب

شجح يحش و ذو تلاف اذ هفا خل فليس بحقه برباب
لا باخل بل باذل خرق اذا يعتبر بز لا بلبه باب
ان عض ازل فل غرب عضاضه بمنابه فانجت منه باب
وجديد يمن كب وفطن وقرب وشتقلن ان اذعن
لقريع زمن وجابر زمن مذ رضع ثدي لبانة خص
بافاضة نحتانه تغشى وفرج وظافر فابهج وفا فر
فازعج وفاء بحق ابلج اتغب من سبلى وقرظ
اذ هز وبلى وتوج بصفاته بحبت عفاته
فلا خلا ذا بهجة يمته ظل خصبه
فانه بر بمن آنس ضوء شهبه
زان غرا يا طرفه يلبس خوف ربه
فعليهن بتيدنا فوزه بمفاخر تاثلت وجلت وفوته
وثمت وبلابم قرب حضرته بغوث رقه بحظ من حظوته
فانه تكيد ندب وشرية جذب وجريح نوب اثرت
وناظم قلايد تشرت اذا اجلتن بحطته فلا توجد قايلهم
فس ثم باقل فان حبر قلت جبر ثمت وخلت رياضا
قد نمت بهذا ثم تشرته برص وقوته قوص وفلقه
عشق وجلبابه خلق وقد فلق لتوغر غريم غاشم يستحه
بحق لازم فان من ستدنا بكفه بهبات كفه توشح
بمجد فاق وباء باجر فكى من وثاق لا خلت سجايا خلقه
ترفد شايم برقه بمن ربت ازلى حتى ابدي قال فلما

استشف

٦١

استشف الامير لالتهما ولمح البدع المودع فيها
اوعز في الحال بقضاء ديني وفصل ما بين خصمي وبيني
ثم استخلصني لمكاثرته واختصني باثرته فلبثت بضع
سنين انعم في ضيافته وارتع في ريف رافته
حتى اذا عمرتني مواهبه واطال ذيلي ذهبه تلطفت
في الحال على ما ترى من حسن الحال قال فقلت له فشكر المنن
اتاح لك لقيان السمح الكريم وانقذك من ضغطة
الغريم فقال الحمد لله على سعادة الجد والخلوص
من الخصم الالد ثم قال انما احب اليك ان احدثك
من العطاء ام اتحفك بالرسالة الرقطاء فقلت
املاء الرسالة احب الي فقال وهو وحقك اخف
على فان نحلة ما يلج في الاذان اهون من نحلة ما يخرج من
الاردان ثم كاثر الف السخاء وجمع لي بين الرسالة
والحذيا فغرت منه بالحسنيين وفصلت عنه بغنيمين وابت
الى وطني قرير العين بما حوت من الرسالة والعين

البدويه

حكى الحرث بن همام قال ملت في ريق زماني الذي غبر الى
مجاورة اهل الوبر لاخذ اخذ نفوسهم الابية والسنتهم
العربية فشمرت تشمير من لا يالو جهدا وجعلت
اضرب في الارض غورا ونجدا الى ان افنيت هجمة من
الراغية وثلة من الثاغية ثم اويت الى عرب ارداف

اقتالٍ ابناءِ اقوالٍ فاوطنوني امنع جنابٍ وفلّوا
عني حدّ كلّ نابٍ تحاماتًا وتبني عندهم هم ولا قرع
صفاتي سهمهم الى ان اضللت في ليلةٍ ميرة البدر
لقحةً عزيزة الدرّ فلم اطب نفسًا بالفها طلها والقاء
حبلها على غاربها فبذرت فرسًا محضارًا واعتقلت
لدنًا خطّارًا وسرت ليلتي جمعًا اجوب البيداء واقرى
كلّ غبراءٍ وصحراءٍ الى ان نشر الصبح راياته وحيعل الداعي
الى صلاته فنزلت عن متن الركوبة لاداء المكتوبة ثمّ
حللت في صهوتها وفرت عن شحوتها وسرت لا ارى
اثرًا الا قفوته ولا نشزًا الا علوته ولا واديًا الا جزعته
ولا راكبًا الا استطلعته وجدي مع ذلك يذهب هدرًا
ولا يجد وزده صدرًا الى ان حانت صكّة عمي ولفح
هجير يذيب اغيلان عرقي وكان يومًا اطول من ظلّ
القناة واحرّ من دمع المقلات فايقنت انني
ان لم استكنّ من الوقدة واستجمّ بالرقدة اذ تفني
اللغوب وعلقت بي شعوب فعجت الى سرحة كثيفة الاغصان
وريقة الافنان لاغور تحتها الى المغيربان فوالله
ما استروح نفسي ولا استراح فرسي حتى نظرت الى
سانح في هيئة سائح وهو منتجع نجعي ويشتد الى نقعي
فكرهت انفياحه الى مناحي واستعذت بالله من شرّ
كلّ مفاجئ ثم ترجّيت ان يتصدّى منشدًا او يتبدّى مرشدًا

فلمّا

فلمّا اقترب مرشدي وكاد يحلّ بساحتي الفيته شيخنا
السروجي متّشحًا بجرانه ومضطبنًا اهبة تجوابه فانسني
اذ ورد وانسني ما شرد ثمّ استوضحته من اين اثره
وكيف عجره وبجره فانشد مديهًا ولم يقس ايهًا

قل لمستطلع دخيلة امري | لك عندي كرامة وعزازه
انا ما بين جوب ارض فارض | وسرى في مفازة فمفازه
زادي الصيد والمطيّة نعلي | وجهازي التجواب والعكّازه
فاذا ما هبطت مصرًا فداري | غرفة الخان والنديم خزازه
ليس لي ما اساء ان فات | او احزن ان حاول الزمان ابتزازه
غير اني ابيت خلوًا من الهمّ | ونفسي عن الاسى منحازه
ارقد الليل ملء جفني وقلبي | بارد من حرارة وحزازه
لا ابالي من اي كاس تفوّقت | ولا ما حلاوة من مزازه
لا ولي استجيه ان اجعل الذلّ | مجازًا الى تسنّي اجازه
واذا مطلب كسا حلّة العار | فبعدًا للمن يروم نجازه
ومتى اهتزّ للدناءة نكس | عاف طبعي طباعه واهتزازه
فالمنايا ولا الدنايا وخير | من ركوب الخنا ركوب الجنازه

ثمّ انه رفع الى طرفه وقال لامرٍ ما جدع قصير انفه فاخبرته
خبر ناقتي الناجية وما عانيته في يومي والبارحة فقال
الى ما فات والطماح الى ما طاح ولا تاس على ما ذهب
ولو انه وادٍ من ذهب ولا تستمل من مال عن ربعك واحترم
نار تبار ربعك ولو كان بن بوحك وشقيق روحك ثمّ

فقال هل لك في ان تقيل وتتحامى القال والقيل فان
الابدان انضاء لغب والهاجرة ذات لهب ولن يصقل
الخواطر وينشط الفاتر كقائلة الهواجر وخصوصاً
في شهري ناجر فقلت ذلك اليك وما اريد ان اشق
عليك فافترش الترب واضطجع واظهر ان قد هجع و
تقيلت على ان احرس ولا انعس فاخذتني السنة لما
رنقت الاسنة فلم افق الا والليل قد تولج والنجم قد
تبلج ولا السروجي ولا المسرج فبت بليلة نابغية
واحزان يعقوبية اساور الوجوم واساهر النجوم
افكر تارة في رحلتي واخرى في رجعتي الى ان وضح عند
افترار ثغر الضوء في وجه الجو ركب يخد في الدو فالمعت اليه
بثوبي ورجوت ان يعرج الى صوبي فلم يعبا بالماعي
ولا اوى لالتياعي بل سار على هيئته واصماني بهم امانته
فاوفضت اليه لاستردفه واحتمل تغطرفه فلما ادركته
بعد الاين واحتلت فيه مسرح العين وجدت ناقتي
مطيته وضالتي لقطته فما كذبت ان ادريته عن
سنامها وجاذبته طرف زمامها وقلت انا صاحبها
ومضلها ولي رسلها ونسلها فلا تكن كاشعب فتنقلب
وتتعب فاخذ يلدغ وينضنض ويتنفخ ولا يستحي وبينما هو
ينزو ويلين ويستاسد ويستكين غشينا ابو زيد
لابساً جلد النمر وباجماً بجوم السيل المنهمر فخفت والله

ان يكون

ان يكون يومه كامسه ويدره مثل شمسه فالحق بالقاطنين
واصير خبراً بعد عين فلم ار الآن اذ ذكرته العهود
المنسية والفعلة الامسية وناشدته الله وافي اليوم
لتلافي ام لمافيه اتلافي فقال معاذ الله ان اجهز
على مكلومي او اصل حروري بسمومي بل وافيتك
لا خبر كنه حالك فاكون يمين شمالك فلكن عند و
حاشي وانجاب استيحاشي واطلعته طلع اللقحة وتبرقع صاحبي
بالقحة فنظر اليه نظر الموتور الى الفريسة ثم اشرع قبله
الرمح واقسم بمن انار الصبح لئن لم ينج نجاء الذباب
ويرض من الغنيمة بالاياب ليوردن سنانه وريده وليفجعن
به وليده ووديده فنبذ زمام الناقة وحاص وافلت
وله حصاص فقال لي ابو زيد تسلمها وتسنمها فانها احدى
الحسنيين وويل اهون من ويلين قال الحرث بن همام
فحرت بين لوم ابي زيد وشكره ووزن نفعه وضره فكانه
توجس بذات صدري او تكهن ما خامر سري فقابلني بوجه طليق
وانشد بلسان ذليق

يا اخي الحامل ضيمي — دون اخواني وقومي
ان يكن ساءك امسي — فلقد سرك يومي
فاغتفر ذاك لهذا — واطرح شكري ولومي

ثم قال اني اتيق وانت مبق فخف نتفق ثم ولى يقري
اديم الارض ويركض طرفه ايما ركض فما عدوت ان اقتعدت

ركبته

مطيتي وعدت لطيتي حتى وصلت الى حلتي بعد التنا والتي

قوله ريق ربانها يعني اوله ورايقه وقد يشدد فيقال ريّق
وقوله آخر اخذ نفوسهم يعني اقتلهم يقال منه آخر
اخذه واخذه بكسر الهمزة وفتحها والمعجمة بحق الماية من
الابل والثلة القطيع من الغنم والراغية الابل والثاغية
الشاة ومنه قولهم ماله ثاغية ولا راغية اي لا ناقة ولا شاة
ومنه قولهم ارداف اقيال اي يخلفون الملوك
اذا غابوا وقوله ابناء اقوال اي فصحاء ويقال للمنطيق
انه ابن اقوال وقوله فتد ترث فرسا محضارا التدتر
الوثوب على ظهر الفرس والمحضار والمحضير الشديد العدو
ماخوذ من الحضر وهو العدو وقوله اقرى كل شجراء
ومرداء الاقراء تتبع الارض والشجراء ذات الشجر والمرداء
الخالية من النبات ومنه اشتقاق الامرد لخلو وجهه
من الشعر وقوله حيعل الداعي الى صلوته يعني به قول المؤذن
حي على الصلوة حي على الفلاح والمصدر منه الحيعلة
ومثله من المصادر الهيللة والحمدلة والحولقة والبسملة
والحسبلة والسبحلة والجعلفة فالهيللة حكاية قول لا اله
الا الله والحمدلة حكاية قول الحمد لله والحوقلة حكاية قول
لا حول ولا قوة الا بالله والبسملة حكاية قول بسم الله والحسبلة

حكاية

حكاية قول حسبنا الله والسبحلة حكاية قول سبحان الله
والجعلفة حكاية قول جعلت فداك وقوله فنزلت عن
متن ازكوبته يعني المركوبة يقال ناقة ركوب وركوبة
وحلوب وحلوبة وقد قرئ فمنها ركوبتهم والصهوة
مقعد الفارس والشحوة الخطوة والجزع قطع الوادي
عرضا وقوله صكة عمي يعني قائم الظهيرة وقد اختلف
في اصله فقيل كان عمي رجلا مغوارا فغزا قوما عند قائم
الظهيرة وصكهم صكة شديدة فصار مثلا لكل
من جاء مثل ذلك الوقت وقيل المراد به الظبي لانه يسدد
في الهواجر فيصطك بما يستقبله كاصطكاك الاعمى
ثم صغر الاعمى بتصغير الترخيم فقيل عمي كما صغر الاسود
والازهر فقالوا اسويد وزهير وقوله وكان يوما اطول
من ظل القناة يوصف اليوم الطويل بظل القناة كما يوصف
اليوم القصير بابهام القطاة والعرب تزعم ان ظل الرمح
اطول ظل ومنه قول الشاعر

ويوم كظل الرمح قصر طوله   دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقوله اجرى من دمع المقلات هي التي لا تعيش لها ولد
فدمعها ابدا جار للحزن لانه يقال ان دمعة الحزن حارة
ودمعة السرور باردة ولهذا قيل للمدعو اقر الله
عينك ماخوذ من القرة والقرة البرد وقيل للمدعو
عليه اسخن الله عينه ماخوذ من السخنة وهي الحرارة وقيل

زرق

ان اقرار العين ماخوذ من القرار ومكانه دعا له ان
ما يقر عينه حتى لا يطمح الى غيره وكانت الجاهلية تزعم
ان المقلات اذا وطئت على قتيل شريف عاش ولدها
والى هذا اشار بشر بن ابي خازم في قوله
تظل مقاليت النساء يطأنه   يقلن الا يلقى على المرء مئزر
وقوله علقت بي شعوب يعني المنية ولا تدخل هذا الاسم اداة
التعريف مثل دجلة وعرفة وقوله اغوّر تحتها الى المغيربان
التغوير النزول للقايلة كما ان التعريس النزول آخر
الليل للتهويم او الاستراحة والمغيربان تصغير المغرب
وكان قياس تصغيره المغيرب الا ان العرب الحقت في آخره
الفا ونونا على طريق الشذوذ وقوله مصطبنا اهبة
بجوانه الاضطغان ان يحمل الشيء تحت حضنه والاضطبان
ان يجعله تحت ضبنه واول مراتب الحمل الابط ثم يليه الضبن
وهو اسفل الابط ثم الحضن وهو عند الجنب والتجواب
مصدر جاب وجميع المصادر التي جاءت على تفعال
بفتح التاء الا قولهم تبيان وتلقاء لا غير وقوله عجري
وبجري يريد به جميع امري الظاهر والباطن واصل العجر
العقد الناتية في العصب والبجر العقد الناتية في البطن
وقوله ولم يقل ايها اي لم يامرني بالكف يقال للمستزاد
ايه وللمستكف ايها وقوله لامر ما جدع قصير انفه قصير
هذا هو مولى جذيمة الابرش وكان جدع انفه بيده وحين

قتلت

قتلت الزباء مولاه ثم اتاها وادعى لها ان عمرو بن عدي
ابن اخت جذيمة هو الذي جدع انفه اتهاما له انه غش
خاله جذيمة اذ اشار عليه بقصدها فحظي عندها قصير
بهذا القول حتى جهزته مرارا الى العراق فكان ياتيها بالطرف
منه الى ان استصحب في آخر نوبة الرجال في الصناديق و
توصل الى قتلها والاخذ بثار مولاه منها وقصته مشهورة
وقوله ولو كان بن نوحك يعني به ولد الصلب اشارة
الى انه يولد في باحة الدار وهي عرصتها وجمعها بوح وقيل
ان البوح من اسماء الذكر وقوله في شهري ناجر هما شهر الحر
وقيل حزيران وتموز وانكر ابو بكر بن دريد هذا القول
وقال هما طلوع النجمين وقوله بت بليلة نابغية يومي
به الى قول النابغة
فبت كاني ساورتني ضئيلة من   الرقش في انيابها السم ناقع
وقوله المعت اليه بثوبي يعني اشرت يقال منه المع ولمع
بمعنى واحد وقوله تلدغ وتضئ هذا مثل يضرب لمن تظلم
ويشكو يقال ضاءت العقرب وتضئ ضئيا وضيا بفتح
الضاد وكسرها اذا صوتت وكذلك الفرخ وما احسن
قول ابن الرومي في هذا المعنى
تشكى المحب وتشكو وهي ظالمة   كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان
وقوله نزوا ويلين هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذل ويقال
ايضا ان صلا الجدي نزوا وهو صغير فاذا كبر لان وقوله

لا ابنا جلد النمر هذا المثل يضرب للمتقح الجري لان النمر
اجرأ سبع واقله احتمالاً للضيم ومن هذا الاشتقاق
قولهم تنمر اي صار مثل النمر قوله فالحق بالقارظين الاصل
في القارظ انه الذي يجني القرظ وهو النبات المدبوغ
به والقارظان المشار اليهما احدهما من عنزة والاخر
من النمر بن قاسط وكانا خرجا يجتنيان القرظ فلم يرجعا
ولا عرف لهما خبر فضربت بهما المثل لكل غائب لا يرجى
ايابه واليهما اشار ابو ذؤيب في قوله

وحتى يؤوب القارظان كلاهما ... وينشر في القتلى كليب لوائل

وقوله حروري سمومي الحرور الريح الحارة ليلاً والسموم
الريح الحارة نهاراً وقد يقام احدهما مقام الاخر مجازاً
وقوله ليث العرينة يعني مأوى السبع يقال فيه عريس وعريسة
باثبات الهاء وحذفها كما يقال غاب وغابة وعرين و
عرينة فاما الغيل والخيس فلم يلحقوا بهما الهاء وقوله افلت
وله حصاص هذا المثل يضرب لمن نجا بهلكة اشفا عليها
بعد ان كاد يهوي فيها والحصاص العدو وقيل انه الضراط
فكانه لروعه يعدو ويضرط وقوله وبل اهون من وبلين
هذا المثل يضرب تسلية لمن ناله بعض المكروه ومثله قول
الشاعر

حنانيك بعض الشر اهون من بعض

وقوله انا تيق وانت ميق فكيف نتفق هذا المثل يضرب
للمنافقين

للمتنافيين في الخلق لان التيق هو الممتلئ غيظاً
ماخوذ من قولهم اتأقت الاناء اذا ملأته والميق هو
الباكي فكان التيق ينزع الى الشر لغيظه والميق
يضيق ذرعاً باحتماله ومثله قول الاخر انا كلف وانت
صلف فكيف نأتلف وقوله لطيتي يعني لقصدي ووجهتي
وقد يقال فيه طية بالتخفيف وقوله بعد اللتيا والتي
اللتيا تصغير التي وهو على غير قياس التصغير المطرد
لان القياس ان يضم اول الاسم اذا صغر وقد اقر هذا الاسم
على فتحته الاصلية عند تصغيره الا ان العرب عوضت
من ضم اوله بان زادت الفاً في آخره واجرت اسماء
الاشارة عند تصغيرها على حكمه فقالت في تصغير الذي
والتي اللذيا واللتيا وفي تصغير ذا وذاك ذيا وذياك
وقد اختلف في معنى قولهم بعد اللتيا والتي فقيل هما
من اسماء الداهية وقيل المراد به بعد صغير المكروه وكبيره

السمر

اخبر الحرث بن همام قال استبضعت في بعض اسفاري
القند وقصدت به سمرقند وكنت يومئذ قويم
الشطاط جموم النشاط ارمي عن قوس المراح الى غرض الافراح
واستقري بماء الشباب على ملامح السراب فوافيتها
بكرة عروبة بعدما كابدت الصعوبة فسعيت وما ونيت
الى ان حصلت البيت فلما نفضت اليه قندي وملكت قول
المرتع

السفاتجة قطعة مال التي يبعث بالتجارة والاستبضاع جعلته بضاعة لنفسي

اعتدال القامة

جمع فرح

مشتبها

قعرت

عشية عجلت الى الحمام على الاثر فامطت عني وعثاء
السفر واخذت في غسل الجمعة بالاثر ثم بادرت في هيئة
الخاشع الى المسجد الجامع لالحق بمن يقترب من الامام ويقرب
افضل الانعام فتخطفت بان جلست في الحلبة وتحيزت
المركز لاستماع الخطبة ولم يزل الناس يدخلون في دين الله
افواجا ويردون فرادى وازواجا حتى اذا اكتظ الجامع
بحفله وانتظم نثار الشخص وظله برز الخطيب في اهبته متهاديا
خلف عصبته فارتقى في منبر الدعوة الى ان مثل بالذروة
فسلم مشيرا باليمين ثم جلس حتى ختم نظم التاذين ثم قام
وقال الحمد لله الممدوح الاسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء
المدعو لحسم اللاواء مالك الامم ومصور الرمم واهل السماح
والكرم ومهلك عاد وارم ادرك كل سر علمه ووسع كل
مصر حلمه وعم كل عالم طوله وهد كل مارد حوله احمده حمد
موحد مسلم وادعوه دعاء مؤمل مسلم وهو الله لا اله الا هو
الواحد الاحد العادل الصمد لا ولد له ولا والد ولا ردء
معه ولا مساعد ارسل محمدا للاسلام ممهدا وللملة موطدا
ولدلائل الرسل مؤكدا وللاسود والاحمر مسددا وصل
الارحام وعلم الاحكام ووسم الحلال والحرام ورسم الاحلال
والاحرام كرم الله محله وكمل السلام والصلوة له ورحم آله
الكرام واهله الرحماء ما همر ركام وهدر حمام وسرح سوام
وسطا حسام اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء واكدحوا لمعادكم

كدح

كدح الاصحاء واردعوا اهواءكم ردع الاعداء واعدوا
للرحلة اعداد السعداء وادرعوا حلل الورع وداووا
حلل الورع وداووا علل الطمع وسووا اود العمل وعاصوا
وساوس الامل وصوروا لاوهامكم حؤول الاحوال وحلول
الاهوال ومساورة الاعلال ومصارمة المال والآل
وادكروا الحمام وسكرة مصرعه والرمس وهول مطلعه
واللحد ووحدة مودعه والملك وروعة سؤاله ومطلعه
والمحوا الدهر ولؤم كره وسوء محاله ومكره كم طمس معلما
وامر مطعما وطحطح عرمرما ودمر ملكا مكرما همه
سك المسامع وسح المدامع واكداء المطامع وارداء
المسمع والسامع عم حكمه الملوك والرعاع والمسود والمطاع
والمحسود والحساد والاساود والاساد ما مول الامال
وعكس الامال ولا وصل الآصال وكلم الاوصال ولاهم
الا وسأ ولؤم وآسى ولا اصح الا ولد الداء وروع
الا ود الله اعد رعاكم الله الام مداومة اللهو وموصلة
السهو وطول الاصرار وحمل الاصار واطراح كلام الحكماء
ومعاصاة الاله السماء اما الهرم حصادكم والمدر مهادكم
اما الحمام مدرككم والصراط مسلككم اما الساعة موعدكم و
الساهرة موردكم اما اهوال الطامة لكم مرصدة اما دار
العصاة الحطمة الموصدة حارسهم مالك وردهم حالك
وطعامهم السموم وهواؤهم السموم لا مال اسعدهم ولا

ولد ولا عدد حماهم ولا عدد الا رحم الله امرا ملك
هواه وام مسالك هداه واحكم طاعة مولاه وكدّ
لروح ماواه وعمل ما دام العمر مطاوعا والدهر موادعا
والصحة كاملة والسلامة حاصلة والا دهمه عدم المرام و
حصر الكلام والمام الالام وحموم الحمام وهمود الحواس
ومراس الارماس اها لها حسرة المامها موكد وامدها سرمد و
ممارسها مكمد ما له لهمه ولا لدمه راحم ولا عراه عاصم الهمكم الله
احمد الالهام وردّاكم رداء الاكرام واحلكم دار السلام واسلكم
الرحمة لكم ولاهل ملة الاسلام وهو اسمح الكرام والمسلم والسلام قال
الحرث بن همام فلما رايت الخطبة نخبة بلا سقط وعروسا
بغير نقط دعاني الاعجاب بنظمها العجيب الى توسم استجلاء
وجه الخطيب مخجلت اتوسمه جدا واقلب الطرف فيه محدا
الى ان وضح لي بصدق العلامات انه ابو زيد ذو المقامات
ولم يكن بد من الصمت في ذلك الوقت فامسكت حتى تحلل
من الفرض وحل الانتشار في الارض ثم واجهت تلقاه
وابتدرت لقاه فلما لحظني خف في القيام واحفى في
الاكرام ثم استصحبني الى داره واودعني خصائص اسراره
وحين انتشر جناح الظلام وحان ميقات المنام
احضر اباريق المدام مكعومة بالفدام فقلت اتحوها امام
النوم وانت امام القوم فقال مه انا بالنهار خطيب
وبالليل اطيب فقلت والله ما ادري اأعجب من تسليك

عن ناسك

عن ناسك ومسقط راسك ام من خطابتك مع ادناسك
ومدار كاسك فاشاح بوجهه عني ثم قال اسمع مني

لا تبك الفا نأى ولا دارا ... ودر مع الدهر كيف ما دارا
واتخذ الناس كلهم سكنا ... ومثل الارض كلها دارا
واصبر على خلق من تعاشره ... وداره فاللبيب من دارا
ولا تضع فرصة السرور فما ... تدري ايوما تعيش ام دارا
واعلم بان المنون جائلة ... وقد ادارت على الورى دارا
واقسمت لا تزال قانصة ... ما كر عصر المحيا وما دارا
فكيف يرجى النجاة من شرك ... لم ينج منه كسرى ولا دارا

قال فلما اعتورتنا الكووس وطربت النفوس جرّ عني
اليمين الغموس على ان احفظ عليه الناموس فاتبعت
مرامه ورعيت ذمامه ونزلته في الملا بمنزلة الفضيل
وسدلت الذيل على مخازي الليل ولم يزل ذلك دابه
ودابي الى ان تنهنها ابابي فودعته وهو مصر على التدليس
ومغر حسو الخندريس

الواسطية

حكى الحرث بن همام قال الجاني حكم دهر قاسط الى
ان انتجع ارض واسط فقصدتها وانا لا اعرف بها سكنا
ولا املك فيها مسكنا ولما حللتها حلول الحوت بالبيدا
والشعرة البيضا في اللمة السودا قادني الخط الناقص
والجد الناكص الى خان ينزله شذاذ الآفاق واخلاط

الرفاق وهو لطرافة مكانه ونظافة مكانه يرغب العزب
في ايطانه وينسيه هوى اوطانه فاستفردت منه بحجرة
ولم اناقش في اجرة فما كان الا كلمح طرف او خط حرف
حتى سمعت جارية تقول لتربها في البيت
نم يا بني لا قعد جدك ولا قام ضدك واستصحب ذا الوجه
البدري واللون الدري والاصل النقي الذي قبض ونشر
وسجن وشهر وسقي وفطم وادخل النار بعد ما لطم ثم اركض
الى السفرق ركض المشوق فقايضه اللاقح الملقح المفر
المصلح المكمه المفرح المعنى المروح ذا الزفير المحرق
والجبين المشرق واللفظ المقنع والنيل الممتع الذي
اذا طرق رعد وبرق وباح بالحرق ونفث في الخرق قال فلما
قرت شقشقة الهادر ولم يبق الا صدر الصادر برز
فتى يهيس وما معه انيس فرأيتها عضلة يلعب بالعقول
وتعزى بالدخول في الفضول فانطلقت في اثر الغلام لاخبر فحوى
الكلام فلم يزل تسعى العقاريب وتتفقد نضائد الحوانيت
حتى انتهى عند الرواح الى حجارة القراح فناولها
رغيفا وتناول منها حجرا لطيفا فعجبت من فطانة المرسل
والمرسل وعلمت انها سرقة وان لم اسئل وما كذبت
ان بادرت الى الخان منطلق العنان لانظر كنه فهمي وهل
فرطن في التكهن سهمي فاذا انا في الفراسة فارس وابو زيد
بو صعيد الخان جالس فتهادينا بشرى الالتقاء وتعارضنا

تحية الاصدقاء ثم قال ما الذي نابك حتى زايلت جنابك
فقلت دهر ماض وجود فاض فقال والذي انزل المطر من
الغمام واخرج الثمر من الاكمام لقد فسد الزمان وعم العدوان
وعدم المعوان والله المستعان فكيف افلت وعلى اي
وصفيك اجفلت فقلت اتخذت الليل قميصا وادلجت
فيه خميصا فاطرق ينكت في الارض ويفكر في ارتياد
القرض والغرض ثم اهتز هزة من انشبه قبض او بدت
له فرص فقال قد علق بقلبي ان تصاهر من يا سواج جناحك
ويريش جناحك فقلت وكيف اجمع بين غل وقل ومن
الذي يرغب في ضل بن ضل فقال انا المشير والبك
والوكيل لك وعليك مع ان دين القوم جبر الكسير وفك
الاسير واحترام العشير واستنصاح المستشير الا انهم لو خطب
اليهم ابرهيم بن ادهم او جبلة بن الايهم لما زوجوه الا على
خمسمائة درهم اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم
ازواجه وعقده انكحة بناته على انك لن تطالب بصداق
ولا تلجأ الى طلاق ثم اني ساخطب في موقف عقدك
ومجمع حشدك خطبة لم يفتق رتق سمع ولا خطب بمثلها
في جمع قال الحرث بن همام فازدهاني بوصف الخطبة المتلوة
دون الخطبة المجلوة حتى قلت له قد وكلت اليك هذا
الخطب فدبره تدبير من طب لمن حب فنهض مهرولا وتولى
ثم عاد متهللا وقال ابشر باعتاب الدهر واحتلاب

الدر فقد ولبث العقد واكفات النقد وكان
قد ثم أخذ في مواعدة أهل الحارة وإعداد حلواء الخوان
فلما مدّ الليل أطنابه وأغلق كل ذي باب بابه أذّن
في الجماعة ألا احضروا في هذه الساعة فلم يبق فيهم إلا من لبّى
صوته وحضر بيته فلما اصطفوا لديه واجتمع الشاهد و
المشهود عليه جعل يرفع الاصطرلاب ويضعه و
يلحظ التقويم ويدعه إلى أن نعس القوم وغشي النوم فقلت
له يا هذا ضع الفأس في الرأس وخلّص الناس فنظر نظرةً
في النجوم ثم انتشط من عقلة الوجوم وأقسم بالطور والكتاب
المسطور ليكشفنّ سرّ هذا الأمر المستور ولينشرنّ
ذكره إلى يوم النشور ثم إنه جثا على ركبته واستدعى
الأسماع لخطبته وقال الحمد لله الملك المحمود المالك
الودود مصوّر كل مولود ومآل كل مطرود ساطح المهاد
وموطّد الأطواد ومرسل الأمطار ومسهّل الأوطار
عالم الأسرار ومدركها ومدمّر الأملاك ومهلكها ومكوّر الدهور
ومكرّرها ومورد الأمور ومصدرها عمّ سماحه وكمل وهطل
ركامه وهمل وطاوع السؤل والأمل وأوسع المرمل والأرمل
أحمده حمداً ممدود المدى وأوحّده كما وحّده الأوّاه
وهو الله لا إله للأمم سواه ولا صادع لما عدله وسوّاه أرسل
محمداً علماً للإسلام وإماماً للحكّام ومسدّداً للرعاع ومعطّل
أحكام ودّ وسواع علّم وأعلم وحكم وأحكم وأصّل الأصول

ومهّد

ومهّد وأكّد الوعود وأوعد وصله الله بالإكرام
وأودع روحه دار السلام ورحم آله وأهله الكرام ما لمع آل
وملع رال وطلع هلال وسُمع إهلال اعملوا رعاكم الله أصلح
الأعمال واسلكوا مسالك الحلال واطّرحوا الحرام ودعوه
واسمعوا أمر الله وعوه وصلوا الأرحام وراعوها
وعاصوا الأهواء واردعوها وصاهروا لُحم الصلاح
والورع وصارموا رهط اللهو والطمع ومصاهركم أطهر
الأحرار مولداً وأسراهم سؤدداً وأحلاهم مورداً وأصحّهم
موعداً وها هو قد أمّكم وحلّ حرمكم مملكاً عروسكم المكرّمة وماهراً
لها كما مهر الرسول أمّ سلمة وهو أكرم صهر أودع الأولاد
وملّك ما أراد وما سها مملّكه ولا وهم ولا وُكس ملاحمه ولا وُصم
أسأل الله لكم إحماد وصاله ودوام إسعاده وألهم كلّاً
إصلاح حاله والإعداد لمعاده وله الحمد السرمد والمدح
لنبيّه محمد قال فلما فرغ من خطبته البديعة النظام العريّة من
الإعجام عقد العقد على الخمس المئين وقال لي بالرفاء والبنين
ثم أحضر الحلواء التي كان أعدّها وأبدى الآبدة عندها فأقبلت
إقبال الجماعة عليها وكدت أهوي بيدي إليها فزجرني عن المؤاكلة
وأنهضني للمناولة فوالله ما كان بأسرع من تصافح الأجفان
حتى خرّ القوم للأذقان فلما رأيتهم كأعجاز نخل خاوية أو صرعى
بنت خابية علمت أنها إحدى الكبر وأمّ العبر فقلت له يا عديّ
نفسه وعُبيد فلسه أعددت للقوم حلواء أم بلواء فقال لم أعد

لم أجاوز

خبيص النبخ في صحاف الخلنج فقلت اقسم بمن اطلع ازهرا
ودهري بهاالسارين طرا لقد جئت شيئا نكرا وابقيت
لك في المحرمات ذكرا ثم حرك فكره في صيور امره وخيفة
من عدوى عدوه حتى طارت نفسي شعاعا وارعدت
فرائصي ارتياعا فلما رأى استطارة فرقي واستشاطة
قلقي قال ما هذا الفكر الممض والروع المومض فان يكن
فكرك في اجلي فانا الان ارتع واطغر واجوب
هذه البقعة منذ كذا اقفر وكم مثلها فارقتها وهي تقيعر
وان تكن نظرة النفك وحوزا من جلبك فتنا وفضالة
الخبيص وطب نفسا عن القميص حتى تامن المستعدي والمعدي
ويتمهد لك المقام بعدي والا فالمفر المفر قبل ان تسحب
وتجر ثم عمد لاستخراج ما في البيوت من الاكياس والتخوت
وجعل يتخلص خالصة كل مخزون ونخبة كل مذروع وموزون
حتى غادر ما القاه نجحه كعظم استخرج مخه فلما هم بما اصطفاه
وترزم وشمر عن ذراعه وتحزم اقبل على اقبال من لبس
الصفاقة وخلع الصداقة وقال هل لك في المصاحبة الى البطيحة
لازوجك اخرى مليحة فاقسمت له بالذي جعله مباركا اينما كان
ولم يجعله ممن خان ان خان انه لاقبل لي بضرتين ومعاشرة
ضرتين ثم قلت له قول المتطبع بطباعة الكايل له بصاعه
قد كفتني الاولى فخرا فاطلب آخر للاخرى فتبسم ضاحكا من كلامي و
دلف لالتزامي فلويت عنه عذاري وابديت له ازوراري فلما بصر

بانقباضي

بانقباضي وتجنّي له اعراضي انشد

يا صارفا عني المودة — والزمان له صروف
ومعنفي في فضح من — جاورت تعنيف العسوف
لا تلحني فيما آتيت — فانني بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم — ارهم يراعون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم — لما سبكتهم زيوف
ما فيهم الا مخيف ان — يمكن او مخوف
لا بالصفي ولا الوفي — ولا الحفي ولا العطوف
فوثبت فيهم وثبة الذئب — الضري على الخروف
وتركتهم صرعى كانهم — سقوا كاس الحتوف
وتحكمت فيما اقتنوه — يدي رغم الانوف
ثم انثنيت ومغنمي حلو — المجاني والقطوف
ولعل لما حلفت بكلوم — الحتف خلفي يطوف
ووترت ارباب الارائك — والدرانك والشفوف
ولكم بلغت بحيلتي ما — ليس يبلغ بالسيوف
ووقعت في هول تراع — الاسد فيه من الوقوف
ولكم سفكت وكم فتكت — وكم هتكت حمى انوف
وكم ارتكضت مواثبي — في الذنوب وكم خفوف
لكنني اعددت حسن — الظن بالمولى الرؤوف

قال فلما انتهى الى هذا البيت لج في الاستعبار والتلفظ بالاستغفار
حتى استمال رحمتي بقلبه المنخرق ورجوت له ما يرجى

للمعترف المعترف ثم انه غيض معه المنهل وتأبط جرابه
وانسل وقال لابنه احق الباقي واتّه الواقي قال المخبر
بهذه الحكاية فلما رأيت انشياب الحية والحية وانتها
الداء الى الكية علمت ان تربثي بعدهما بالخان مجلبة
للهوان فضممت رحلي وجمعت للرحلة ذيلي وبت ليلتي
اسري الى الطيب واحتسبه انه على الخطيب

حكى الحرث بن همام قال ارتحلت من مدينة المنصور الى بلدة
صور فلما حصلت بها ذا رفعة وخفض ومالك رفع وخفض تقت
الى مصر توقان المريض الى الاساة والكريم الى المواساة
فرفضت علايق الاستقامة ونفضت عوايق الاقامة
وامتطيت ظهر النعامة واجفلت نحوها اجفال
النعامة فلما دخلتها بعد معاناة الاين ومداناة الحين
كلفت بها كلف النشوان بالاصطباح والحيران بتنفس
الصباح فبينا انا يوما بها اطوف وتحتي فرس قطوف
اذ رأيت على جرد من الخيل عصبة كمصابيح الليل فسألت
لارتياد النزهة عن العصبة والوجهة فقيل اما القوم فشهود
واما المقصد فاملاك مشهود فحدتني مبعثة النشاط على
ان سرت مع الفراط لافوز بحلواء اللقاط واحوز حلوا
السماط فافضينا بعد مكابدة العناء الى دار رفيعة
البناء وسيعة الفناء تشهد لبانيها بالثراء والسناء فلما ترجلنا

عن صهوات

عن صهوات الخيول وقدمنا الاقدام للدخول رأيت
دهليزها مجللا باطمار مخرقة ومكللا بمخارف معلقة
وهناك شخص على قطيفة فوق دكة لطيفة فرابني
عنوان الصحيفة ومرأى هذه الطريقة ودعاني التطير
بتلك المناحس الى ان عمدت لذلك الجالس فعزمت عليه
بمصرف الاقدار ليعرفني من رب هذه الدار فقال ما لها
مالك معين ولا صاحب مبين وانما هي مصطبة المقيفين
والمدريين ووليجة المتقيفين والمتلوزين فقلت لنفسي
انا لله على ضلة المسعى ومحال المرعى وهممت في الحال بالرجعى
لكني استهجنت العود من فور والقهقرى دون غور
فولجت الدار متجرعا الغصص كما يلج العصفور القفص فاذا
فيها ارائك منقوشة وطنافس مفروشة ونمارق مصفوفة
وسجوف مرصوفة وقد اقبل الاملاك يميس في بردية ويتهادى
بين حفدتيه فحين جلس كانه ابن ماء السماء نادى مناد من قبل
الاحماء وحرمة ساسان استاذ الاستاذين وقدوة الشحاذين لا عقد
هذا العقد المبجل في هذا اليوم الاغر المحجل الا الذي جال وجاب
وشب في الكدية وشاب فاعجب رهط القهر ما اشار اليه
وادنوا الى احضار المنصوص عليه فبرز حينئذ شيخ قد امال
الملوان قامته ونور الفتيان ثغامته فتباشرت الجماعة
باقباله وتبادرت الى استقباله فلما جلس على زربيته وسكنت
الضوضاء لهيبته ازدلف الى مسنده ومسح سبلته بيده وقال

الحمد لله المبتدئ بالافضال المبتدع للنوال المتقرب اليه
بالسؤال المؤمل لتحقيق الآمال الذي شرع الزكوة في الاموال
وزجر عن نهر السؤال وندب الى مواساة المضطر وامر باطعام
القانع والمعتر ووصف عباده المقربين في كتابه المبين
فقال وهو اصدق القائلين والذين في اموالهم حق معلوم
للسائل والمحروم احمده على ما رزق من طعمة هنية واعوذ
من استماع دعوة بلا نية واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له اله يجزي المتصدقين والمتصدقات ويمحق الربوا
ويربي الصدقات واشهد ان محمدا عبده الرحيم ورسوله
الكريم ابتعثه لينسخ الظلمة بالضياء وينتصف للفقراء من
الاغنياء فرفق صلى الله عليه بالمسكين وخفض جناحه
للمستكين وفرض الحقوق في اموال المثرين وبين ما يجب للمقلين
على المكثرين صلى الله عليه صلوة تحظيه بالزلفة وعلى صحبه
اهل الصفة   اما بعد قال الله تعالى شرع النكاح لتتحققوا
وسن التناسل لكي تتضاعفوا فقال سبحانه لتعرفوا يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا
وهذا ابو الدراج ولاج بن خراج ذو الوجه الوقاح والافك
الصراح والهرير والصياح والابرام والالحاح يخطب
سليطة اهلها وشريطة بعلها قبس بنت ابي العنبس لما بلغه
من التجافيها بالحافها واسرافها في اسفافها وانكماشها وانتعاشها
عند هراشها وقد بذل لها من الصداق شلاقا وعكازا وصفاقا

وكرازا

وكرازا فانكحوه انكاح مثله وصلوا حبلكم بحبله وان
خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله اقول قولي
هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم واسئله ان يكثر في المصاطب
نسلكم ويحرس من المعاطب شملكم فلما فرغ الشيخ من خطبته
وابرم للختن عقد خطبته تساقط من النثار ما استغرق
حد الاكثار واغرى الشحيح بالايثار ثم نهض الشيخ يسحب
ذلاذله ويقدم اراذله قال الحرث بن همام فتبعت
لا تطرع جة القوم واكمل بهجة اليوم فعاج بهم الى سماط
زينته طهاته وتناصفت في الحسن جهاته فحين ربع كل
شخص في ربضته وطفق يرتع في روضته انسللت من الصف
وفررت من الزحف فحانت من الشيخ لفتة الي ونظره
هجم بها طرفه علي وقال الى اين يا برم هلا عاشرت معاشرة
من فيه كرم فقلت والذي خلقها طباقا وطبقها اشراقا
لا ذقت لماقا ولا لبثت رفاقا او تخبرني اين مذهب صباك
ومن اين مهب صباك فتنفس الصعداء مرارا وارسل البكاء
مدرارا حتى اذا استنزف الدمع استنصت الجمع وقال

اسمع

مسقط الرأس سروج	وبها كنت اموج
بلدة توجد فيها	كل شيء ويروج
وردها من سلسبيل	وصحاريها مروج
وبنوها ومغانيهم	نجوم وبروج

حبذا نفحة ريّاها ومرآها البهيج ... وازاهير رباها حين تجتاب الثلوج

من يراها قال مهلا هي جنة الدنيا سروج ... ولمن يرحل عنها زفرات ونشيج

مثل ما لاقيت مذ اخرجني عنها العلوج ... عبرة تهمي وتصحو كلما قرت تهيج

وهموم كل يوم خطبها خطب مريج ... ومساع في الترجي قاصرات الخطو عوج

ليت يومي حم لما حم لي منها الخروج

قال فلما بين بلده ووعيت ما انشده علمت انه ابو زيد وان كان الهرم قد اوثقه بقيد فبادرت الى مصافحته واغتنمت مواكلته من صحفته وظلت مدة مقامي بمصر اعشو الى شواظه واحشو صدفتي من درر الفاظه الى ان نعب بيننا غراب البين ففارقته مفارقة الجفن للعين

حدث الحرث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب وريعان العيش اللباب اقلي الاكتنان بالغاب واهوى الاندلاق من القراب لعلمي ان السفر ينفج السفر وينتج الظفر ومغادرة الوطن تعقر الفطن وتحقر من قطن فاجلت قداح الاستخارة واقتدحت زناد الاستشارة ثم استخرجت جاباً اثبت من الحجارة واصعدت الى ساحل الشام للتجارة فلما خيمت بالرملة والقيت بها عصا الرحلة صادفت ركابا تعد للسرى ورجالا تشد الى ام القرى فعصفت بي ريح الغرام واهتاج لي شوق الى البيت الحرام فزممت ناقتي ونبذت علقي وعلاقتي وقلت للائمي اقصر فانني ... ساختار المقام على المقام

وانفق ما جمعت بارض جمع ... واسلو بالحطيم عن الحطام

ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل لهم في السير جرية السيل والى الخير جري الخيل فلم نزل بين ادلاج وتاويب وايجاف وتقريب الى ان حبتنا ايدي المطايا باكر رحلة في ايصالنا الى الجحفة فحللناها متاهبين للاحرام متباشرين بادراك المرام فلم يكن الا ان انخنا الركائب وحططنا الحقائب حتى طلع من بين الهضاب شيخ ضاحي الاهاب وهو ينادي يا اهل ذا النادي هلم الى ما ينجي يوم التنادي فانخرط اليه الحجيج وانصلتوا واحتفوا به وانصتوا فلما راى تاثفهم حوله واستطعامهم قوله تسنم احدى الاكام ثم تنحنح مستفتحا للكلام وقال يا معشر الحجاج النسلين من الفجاج اتعقلون ما تواجهون والى من تتوجهون ام تدرون على ما ذا تقدمون وعلام تقدمون اتخالون ان الحج هو اختيار الرواحل وقطع المراحل واتخاذ المحامل وايقار الزوامل ام تظنون ان النسك هو نضو الاردان وانضاء الابدان ومفارقة الولدان والتنائي عن البلدان كلا والله بل هو اجتناب الخطيئة قبل اجتلاب المطية واخلاص النية في قصد تلك البنية وامحاض الطاعة عند وجدان الاستطاعة واصلاح المعاملات امام اعمال اليعملات فوالذي شرع المناسك للناسك وارشد السالك في الليل الحالك ما ينقى الاغتلاع بالذنوب من

الانغماس في الذنوب ولا تعدل تعرية الاجسام بتعبية
الاحرام ولا تغني لبسة الاحرام عن المتلبس بالحرام ولا ينفع
الاضطباع بالازار مع الاضطلاع بالاوزار ولا
يجدي التقرب بالحلق مع التورط في ظلم الخلق ولا يرحض
التنسك بالتقصير درن التمسك بالتقصير ولا يسعد بعرفة
غير اهل المعرفة ولا يزكو بالخيف من يرغب في الحيف ولا يشهد
المقام الا من استقام ولا يحظى بقبول الحجة من زاغ عن المحجة
فرحم الله امرأ صفا قبل مسعاه الى الصفا وورد شريعة
الرضى قبل شروعه على الاضا ونزع عن تلبيسه قبل نزع
ملبوسه وفاض بمعروفه قبل الافاضة من تعريفه ثم رفع
عقيرته بصوت اسمع الصم وكاد يزعزع الجبال الشم

وانشد

ما الحج سيرك تأويبا وادلاجا ... ولا اغتباقك اجمالا واحداجا
الحج ان تقصد البيت الحرام على ... تجريدك الحج لا تقضي به حاجا
وتمتطي كاهل الانصاف متخذا ... دع الهوى هاديا والحق منهاجا
وان تواسي بما اوتيت مقدرة ... من مد كفا الى جدواك محتاجا
فهذه ان حوتها حجة كملت ... وان خلا الحج منها كان اخراجا
حسب المرائين غبنا انهم غرسوا ... وما جنوا ولقوا كدا وازعاجا
وانهم حرموا اجرا ومحمدة ... والحموا عرضهم من عابه هاجا
اخي ابغ بما تبديه من قرب ... وجه المهيمن ولاجا وخراجا
فليس يخفى على الرحمن خاف ان ... اخلص العبد في الطاعات او داجا

وبادر الموت

وبادر الموت بالحسنى تقدمها ... فما ينهنه داعي الموت ان فاجا
واقن التواضع خلقا لا تزايله ... عنك الليالي ولو البستك التاجا
ولا تشم كل خال لاح بارقه ... ولو ترا اهتون السكب ثجاجا
ما كل داع باهل ان يصاخ له ... كم قد اصم تنعي بعض من ناجا
وما اللبيب سوى من بات مقتنعا ... ببلغة تدرج الايام ادراجا
فكل كثر الى قل مغبته ... وكل نار الى لين وان هاجا

قال الراوي فلما القح عقم الافهام بسحر الكلام استروحت
ريح ابي زيد وبادرت الارتياح اليه اي ميد فتمكثت حتى
استوعب نث حكمته والخرز من الكمة ثم ولفت اليه لاتصفح
صفحات محياه واستشف جوهر حلاه فاذا هو لقطتي
التي انشدها وناظم القلايد التي انشدها فعانقته عناق
اللام للالف ونزلته منزلة البرء عند الدنف وسألته ان
يرافقني فابى او يزاملني فنبا وقال آليت في حجتي هذه
الا استحقب ولا اعتقب ولا اكتسب ولا انتسب ولا ارتفق
ولا ارافق ولا اوافق من ينافق ثم ذهب يهرول ويغادي
او لو قال فلم ازل اقربه نظري واوده يمشي على ناظري
حتى توقل احد الاطواد ووقف للحجيج بالمرصاد فحين شارف
تضاغى الركبان في الكثبان وقرع بالبنان على البنان

واندفع ينشد

ليس من زار راكبا مثل ساع على قدم
لا ولا خادم اطاع كعاص من الخدم

كيف يا قوم يستوي سابق ومن هدم
يستقم المغترون غدًا ما ثم الندم
ويقول الذي تقرب طوبى لمن عدم
ويك يا نفس قد حصلت عند ذي القدم
وارتدى زخرف الحيوة فوجدانه عدم
واذكري مصرع الحمام اذا خطبه صدم
واندبي فعلك القبيح وتحي له بدم
وادبغيه بتوبة قبل ان يحكم الادم
فعسى الله ان يقيك السقر الذي احتدم
يوم لا عثرة تقال ولا ينفع الندم

ثم انه اغمد عضب لسانه والتكلو لسانه فما زلت في كل مورد نردده ومعرس نتوسده اتفقده فافتقده واستخبر من يتشده فلا يخبره حتى خلت ان الجن اختطفته او الارض اقتطفته فما كابدت في الغربة كهذه الكربة ولا مُنيت في سفرة بمثلها من زفرة

حكى الحرث بن همام قال اجمعت حين قضيت مناسك الحج واقمت وظائف العج والثج ان اقصد طيبة مع رفقة من شيبة لازور قبر المصطفى واخرج من قبيل من حج وجفا فارجف بان المسالك شاغرة وعرب الحرمين متشاجرة فحرت بين اشفاق يثبطني واشواق تنشطني الى ان القي في روعي الاستسلام وتغليب زيارة قبره عليه السلام فاعتقلت

العقدة

العقدة واعددت العدة وسرت والرفقة لا تلوي على عرجة ولا تنثني في تأويب ولا دلجة حتى وافينا حرب وقد ابوا من حرب فازمعنا ان نقضي ظل اليوم في حلة القوم وبينا نحن نتخير المناخ ونرود الورد النقاخ اذ رايناهم يركضون كانهم الى نصب يوفضون فرابنا ايتالهم وسالنا ما بالهم فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب فاتهم اعجبهم لهذا الشب فقلت لرفقتي الا نشهد مجمع الحي لتبين الرشد من الغي فقالوا لقد اسمعت اذ دعوت ونصحت وما الوت ثم نهضنا نتبع الهادي ونؤم النادي حتى اطللنا عليه واشرفنا الفقيه المنهود اليه فالفيته ابا زيد ذا الشقر والبقر والفواقر والفقر وقد اعتم القفدا واشتمل الصماء وقعد القرفصا واعيان الحي به محتفون واخلاطهم عليه ملتفون وهو يقول سلوني عن المعضلات واستوضحوا مني المشكلات فوالذي فطر السماء وعلم ادم الاسماء اني لفقيه العرب العرباء واعلم من تحت الجرباء فصمد له فتى فتيق اللسان جري الجنان وقال اني حضرت مقرا الذئب حتى انتخلت منهم مائة فتيا فان كنت ممن ترغب عن بنات غير ويرغب منا في مير فاسمع واجب لتقت بل بما يجب قال الله اكبر سيبين المخبر وينكشف المضمر فاصدع بما تؤمر

قال ما تقول | فيمن توضأ ثم لمس ظهر نعله
قال ينتقض وضوؤه بفعله | النعل الزوجة القاه على هيئة المتكأ

قال فإن توضأ ثم التحاه البرد — قال يجدد الوضوء من نعد البرد
قال أيجوز الوضوء بما يقذفه الثعبان — قال وهل أنظف منه للعربان
قال أيمسح المتوضئ أنثييه — قال قد ندب إليه ولم يوجب عليه
قال أيستباح ماء الضرير — قال نعم ويجتنب ماء البصير
قال أيحل الطوف في الربيع — قال يكره ذلك للمحدث الشنيع
قال أيجب الغسل على من أمنى — قال لا ولو ثنى امنى نزل المنى
قال أيجب على الجنب غسل فروته — قال أجل وغسل إبرته
قال فإن أخل بغسل فأسه — قال هو كما لو أغفل غسل رأسه
قال ما هو قول فمن تيمم ثم رأى ركيا — قال يبطل تيممه فليتوضأ
قال أيجوز أن يسجد الرجل في العذرة — قال نعم وليجانب القذرة
قال فهل له السجود على الخلف — قال لا ولا على أحد الأطراف
قال فإن سجد على شماله — قال لا بأس بفعاله
قال فهل يجوز السجود على الكراع — قال نعم دون الذراع
قال أيصلي على رأس الكلب — قال نعم كنا ير الهضب
قال ما تقول فيمن صلى وعانته بارزة — قال صلوته جائزة
قال فإن صلى وعليه صوم — قال يعيده ولو صلى مائة يوم
قال فإن حمل جروا وصلى — قال هو كما لو حمل باقلى
قال أتصح صلوة حامل القروة — قال لا ولو صلى فوق المروة
قال فإن قطر على ثوب المصلي نجو — قال يمضي في صلوته ولا غرو
قال أيجوز أن يأتم الرجال بمقنع — قال نعم وبمدرع
قال فإن أمهم من في يده وقف — قال تفسد ولو أنهم ألف

قال فإن

قال فإن أمهم من فخذه بادية — قال صلوته وصلوتهم ماضية
قال فإن أمهم الثور الأجم — قال صل وخلاك ذم
قال أتدخل الفقر في صلوة الشاهد — قال لا والغائب الشاهد
قال أيجوز للمعذور أن يفطر في شهر رمضان — قال ما رخص فيه إلا للصبيان
قال فهل للمعرس أن يأكل فيه — قال نعم بجلع فيه
قال فإن أفطر فيه العراة — قال لا ينكر عليهم الولاة
قال فإن أكل الصائم بعد ما أصبح — قال هو أحوط له وأصلح
قال فإن عمد لأن أكل كيلا — قال يشتم للقضاء ذيلا
قال فإن أكل قبل أن تتوارى البيضاء — قال يلزمه واتعد القضاء
قال فإن استثار الصائم الكيد — قال أفطر ومن أجل الصيد
قال فهل له أن يفطر بالجاح العلاج — قال نعم لا بطاهي المطابخ
قال فإن ضحكت المرأة في صومها — قال يبطل صوم يومها
قال فإن ظهر الجدري على ضرتها — قال يفطر إن أذن بضرتها
قال ما يجب في مائة مصباح — قال حقتان يا صاح
قال فإن ملك عشر خناجر — قال تخرج شاتين ولا تشاجر
قال فإن سمح لك عن جمجمته — قال يا بشرى له يوم قيامته
قال أيستحق جملة الأوزار من الزكوة — قال نعم إذا كانوا غزاة
قال أيجوز للحاج أن يعتمر — قال لا ولا أن يختمر
قال فهل له أن يقتل الشجاع — قال نعم كما يقتل السباع
قال فإن قتل زمارة في الحرم — قال عليه بدنة من النعم
قال فإن رمى ساق حر وجدله — قال يخرج شاة بدله

قال فان قتل ام عوف عند الاحرام — قال تتصدق بقبضة من طعام
قال ايجب على الحجاج استصحاب القارب — قال نعم ليشوقهم الى المشارب
قال ما تقول في الحرام بعد السبت — قال قد حل في ذلك الوقت
قال ما تقول في بيع الحميت — قال حرام كبيع الميت
قال ايجوز بيع الخل بلحم الجمل — قال لا ولا بلحم الحمل
قال ايحل بيع الهدية — قال ولا بيع السبية
قال ما تقول في بيع العقيقة — قال محظور على الحقيقة
قال ايجوز بيع الداعي على الراعي — قال لا ولا على الساعي
قال ايباع الصقر بالتمر — قال لا ومالك الامر
قال ايشتري المسلم سلب الملاك — قال نعم ويورث عنه اذا مات
قال ايجوز ذبح الشافع — قال ما لجوازه من دافع
قال ما تقول في ميتة الكافر — قال حل للمقيم والمسافر
قال ايجوز ان يضحي بالجول — قال هو اجدر بالقبول
قال فهل يضحي بالطالق — قال نعم ويقرى منها الطارق
قال فان ضحى قبل ظهور الغزالة — قال شاته لحم لا محالة
قال ايحل الكسب بالطرق — قال هو كالقمار لا فرق
قال ايسلم القارئ على القاعد — قال محظور فيما بين الاباعد
قال اينام العقل تحت الرقيع — قال احب نومه في البقيع
قال ايمنع الذمي من قتل العجوز — قال بلا معارضة في العجوز لا الجوز
قال ايجوز ان يتنفل الرجل عن عماره — قال اما جوز لجامل ولا بنية
قال ما تقول في التهود — قال هو مفتاح التزهد

قال ما تقول

قال ما تقول في ضب البلية — قال اعظم به من خطيئة
قال ايحل ضرب السفير — قال نعم والجلد على المستشير
قال ايباع الاريوق على بني الاصفر — قال يكره كبيع المصحف
قال ايجوز ان يبيع الرجل صفيفه — قال لا ولكن ليبيع صفيقه
قال فان اشترى عبدا فبان بانه جراح — قال ما في رده من جناح
قال اتثبت الشفعة للشريك في الصحراء — قال لا ولا للشريك في الفضاء
قال ايحل ان يحمي ما البئر والخلا — قال ان كانا في الفلا فلا
قال ايعزر الرجل اباه — قال تقعله البر ولا يأباه
قال ما تقول فيمن افقر اخاه — قال حبذا ما توخاه
قال فان اعرى ولده — قال نافس ما اعتقده
قال فان اصلى مملوكه النار — قال لا اثم عليه ولا عار
قال ايجوز للمرأة ان تصرم بعلها — قال ما حظر احد فعلها
قال فهل يؤدب المرء على الحجل — قال اجل
قال ما تقول فيمن تحت ابطه اخيه — قال آثم ولو اذن له فيه
قال ايحجر الحاكم على صاحب الثغور — قال نعم ليأمن غائلة الجوز
قال فهل له ان يضرب على يد اليتيم — قال نعم الى ان يستقيم
قال فهل يجوز ان يسجد له رغبا — قال لا ولو كان له رضا
قال فمتى يبيع بدن السفينة — قال حين يبرئ له الخطاف
قال فهل يجوز ان يبتاع له حشا — قال نعم اذا لم يكن له مغشى
قال ايجوز ان يكون الحاكم ظالما — قال نعم اذا كان عالما
قال ايستقضي من ليست له بصيرة — قال نعم اذا حسنت منه السيرة

قال فان تعرى من العقل قال ذاك عنوان الفضل
قال فان كان له رهو جبار قال لا انكار ولا اكبار
قال ايجوز ان يكون الشاهد مريبا قال نعم اذا كان اريبا
قال فان بان انه لاط قال هو كما لو خاط
قال فان عثر على انه غل قال ترد شهادته ولا تقبل
قال فان وضح انه مابون قال هو وصف له زائن
قال ما تجب على عابد الحق قال يحلف باله الخلق
قال ما تقول فيمن فقأ عين بلبل عامدا قال يعفى عنه قولا واحدا
قال فان خرج قطاة امراة فماتت قال النفس بالنفس اذا فاتت
قال فان القت الحامل جنينا من ضربه قال ليكفر بالاعتاق عن ذنبه
قال ما يجوز على المخفي في الشرع قال القطع لاقامة الردع
قال فان سرق ثنيا من ذهب قال لا قطع كما لو غصب
قال ما على المراة البرق قال لا حرج عليها ولا فرق
قال اينعقد نكاح لم تشهده القواري قال لا والخالق البواري

قال ما تقول في عروس بانت بليلة حرة ثم ردت في حافرتها
بسحرة قال يجب لها نصف الصداق ولا يلزمها عدة الطلاق
يقال بانت العروس بليلة حرة اذا امتنعت على زوجها
فان اقتضها قيل بانت بليلة شيباء والرد في الحافرة
يعني الرجوع في الطريق الاول وكني به عن طلاقها ورد ما
فقال له لله درك من بحر لا ينضغضغه الماتح وحبر
لا يبلغ مدحه المادح ثم اطرق اطراق الحيي وارم ارمام العي

فقال

فقال له ابو زيد ايه يا مفتي فاني ستة والى ستة فقال له
لم يبق في كنانتي مرماة ولا بعد اشراق صبحك مماراة
فبالله اشتى ابن ارض انت فما احسن ما ابنت فانشد
بلسان ذلق وصوت صهصلق

انا في العالم مثله ولاهل العلم قبله — غير اني كل يوم بين تعريس ورحله
والغريب الدار لو حل بطوبى لم تطب له

ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن يهدي ويهدى فاجعلهم ممن يهتدي
ويهتدي فساق اليه القوم ذودا مع قينة وسالوه ان يزودهم
القينة بعد القينة فنهض يتبعهم العود ويزجي الاتة والذود
قال الحرث بن همام فاعترضته وقلت له عهدي بك سفيها
فمتى صرت فقيها فظل هنيهة يتحول ثم انشا يقول

لبست لكل زمان لبوسا — ولابست صرفيه نعمى وبوسا
وعاشرت كل جليس بما — يلائمه لاروق الجليسا
فعند الرواة ادير الكلام — وبين السقاة ادير الكؤوسا
وطورا ابو عظى بسيل الدموع — وطورا بلهوي اسر النفوسا
واقري المسامع اما نطقت — بيانا يقود الحرون الشموسا
وان شئت راعف كفي اليراع — فساقط درا يحلي الطروسا
وكم مشكلات حكين السها — خفاء فصرن بكشفي شموسا
وكم ملح لي خلبن العقول — واسارن في كل قلب رسيسا
وعذراء فهت بها فانثنى — عليها الثناء طليقا حبيسا
على انني من زماني خصصت — بكيد ولا كيد فرعون موسى

تحرك لي كل يوم وغى احا ... من لظاها وطيسا وطيبا

ويطرقني بالخطوب التي ... تدين القوى وتشين الرووسا

ويدني الي البعيد البغيض ... ويسعد مني القريب الانيسا

ولا خست اخلاقه لما ... كان حظي منه حسيسا

فقلت له خفض الاحزان ولا تلم الزمان واشكر لمن نعاك عن مذهب ابليس الى مذهب ابن ادريس فقال دع الهتار ولا تهتك الاستار وانهض بنا لنضرب الى المسجد بسرب نعتي ان نرحض بالمزار درن الاوزار فقلت له هيهات ان اسيرا وافقه التفسير فقال بالله لقد اوجبت ذمما وطلبت اذ طلبت اماما فهاك ما يشفي النفس وينفي اللبس قال فلما اوضح لي المعمى وكشف عني الغمى شد دنا الاكوار وبرت وسار ولم ازل من مسامرته في مدة مسايرته فيما انسخ طعم المشقة وودت معه بعد الشقة حتى اذا دخلنا مدينة الرسول وفزنا من الزيارة بالسول اشأم وعرفت وغرب وشرقت

خبر الحرث بن همام قال عاهدت الله تعالى مذ يفعت الا اوخر الصلوة ما استطعت فكنت مع جوب الفلوات ولهو الخلوات ارعى اوقات الصلوة واخاف من مأثم الفوات واذا ارافقت في رحلة او حللت بمصر رحلة هجرت بصوت الداعي اليها واقتديت لمن يحافظ عليها فاتفق حين

دخلت

دخلت تفليس ان صليت مع رفقة مفاليس فلما قضينا الصلوة وازمعنا الانفلات برز شيخ بادي اللقوة بالي الكسوة والقوة فقال عزمت على من خلق من حلية الحرية وتفوق در العصبية الا ما تكلف لي لبثة واستمع مني نفثة ثم له الخيار من بعد وبيده البذل والايثار فعقد القوم له الحبى ورسوا امثال الربى فلما انس حسن انصاتهم ورزانة حصاتهم قال يا اولي الابصار الرامقة والبصائر الرايقة اما يغني عن الخبر العيان وينبئ عن النار الدخان شيب لايح وزمن قادح وداء واضح والباطن فاضح ولقد كنت والله ممن ملك ومال وولي ووال ورفد ونال ووصل وصال فلم تزل الحوايج وتسحت والنوايب تخنت حتى الوكر فقر والكف صفر والشعار ضر وطعم العيش مر والصبية يتضاغون من الطوى ويتمنون مصاصة النوى ولم اقم هذا المقام الشاين واكشف لكم الدفاين الا بعد ما شقيت ولقيت وشبت مما لقيت فليتني لم اكن بقيت ثم تاوه تاوه الاسيف وانشد بصوت ضعيف

اشكو الى الرحمن سبحانه ... تقلب الدهر وعدوانه

وحادثات قرعت مروتي ... وقوضت مجدي وبنيانه

واهتصرت عودي ويا ويل من ... تهتصر الاحداث اغصانه

واجلت ربعي حتى جلت من ... ربعي المحل جرذانه

وغادرني حائراً بائرا … أكابد الفقر وأشجانه
من بعد ما كنت أخا ثروة … يسحب في النعمة أردانه
يختبط العافون أوراقه … ويحمد السارون نيرانه
فأصبح الآن كأن لم يكن … أعانه الدهر الذي عانه
وازور من كان له زائراً … وعاف عافي العرف عرفانه
فهل فتى يجبر ما بي من … ضر شيخ دهره خانه
فيفرج الهم الذي همه … ويصلح الشأن الذي شانه

قال الراوي فصبت الجماعة إلى أن تستثبته لتستخبر خباته وتستنفض حقيبته فقالت له قد عرفنا قدر نزتك ورأينا در مزنتك فعرفنا دوحة شعبتك واحسر اللثام عن نسبتك فأعرض إعراض من مني بالإعنات وبشر بالبنات وجعل يلعن الضرورات ويتأفف من تغيض المروات ثم أنشد بلفظ صادع وجرس خادع

لعمرك ما كل فرع يدل … جناه اللذيذ على أصله
فكل ما حلا حين تؤتى به … ولا تسل الشهد عن نحله
وميز إذا ما اعتصرت الكروم … سلافة عصرك من خله
لتعلي وترخص عن خبرة … وتشري لكل امرئ مثله
فعار على الفطن اللوذعي … دخول الغميزة في عقله

قال فأدري القوم مذكاه ودهاءه واختلبهم نجث آدابه مع دأبه حتى أثرى وجبا بالحبن وخفا بالثبن وقالوا له يا هذا إنك حمت على ركية بجتة وتعرضت لحلية خلية

فخذ هذه

فخذ هذه الصبابة وهبها لا خطأ ولا إصابة فنزل قلتهم منزلة الكثر ووصل برهم بالشكر ثم تولى يجر شقه ونهب بالخبط طرقه قال المخبر بهذه الحكاية فصور لي أنه محيل بحليته متصنع في مشيته فنهضت أنهج منهاجه وأقفو أدراجه وهو يلحظني شزراً ويوسعني هجراً حتى إذا خلا الطريق وأمكن التحقيق نظر إلي نظر من هش وبش وأجهش بعد ما غش وقال إني لأخالك أخا غربة ورائد صحبة فهل لك في رفيق يرفق بك ويرفق وينفق عليك وينفق فقلت له لو أتيح هذا الرفيق لوافق التوفيق فقال لي قد وجدت فاغتبط واستكرمت فارتبط ثم ضحك مليًّا وتمثل لي بشراً سويًّا فإذا هو شيخنا السروجي لا قلبة بجسمه ولا شبهة في وسمه ففرحت بلقيته وكذب لقوته وهممت بملامته على سوء مقامته فشحا فاه وأنشد قبل أن ألحاه

ظهرت برث لكيما يقال … فقير يزجي الزمان المزجى
وأظهرت للناس أن قد فلجت … وكم نال قلبي به ما ترجى
ولولا الرثاثة لم يرث لي … ولولا التفالج لم ألق فلجا

ثم قال إنه لم يبق لي بهذه الأرض مرتع ولا في أهلها مطمع فإن كنت الرفيق فالطريق الطريق فسرنا منها متجردين ورافقته عامين أجودين وكنت على أن أصحبه ما عشت فأبى الدهر المشتت

المقامة الرابعة والثلثون الزبيدية

حكى الحرث بن همام قال لما جبت البيد الى زبيد صحبني
غلام كنت ربيته الى ان بلغ اشده وثقفته حتى اكمل
رشده وكان انس باخلاقي وخبر مخالب وفاقي فلم يكن
يتخطى مرامي ولا يخطي في المرامي لاستيمان تجربة اقتطعت
بصفوي واخلصته لحضري وسفري فالوى به الدهر المبيد حين
ضمنتنا زبيد فلما شالت نعامته وسكنت نامته بقيت
عاما لا اسيغ طعاما ولا اريغ غلاما حتى الجاني شوائب الوحدة
ومتاعب القومة والقعدة الى ان اعتاض عن الدر الخرز
واختار هوسدا من عوز فقصدت من يبيع العبيد
بسوق زبيد وقلت اريد عبدا يعجب اذا قلب ويحمد
اذ جرب ولكن ممن خرجه الاكياس واخرجه الى السوق الافلاس
فاهتز كل منهم لمطلبي ووثب لتذلل تحصيله عن كثب ثم ادرت
الالهة دورها وتعلقت كورها وحورها وما يخبر من وعود ولا
وعد ولا اسمح لها رعد فلما رايت النخاسين ناكسين او
متناسين علمت ان ليس كل من خلق يفري وان لن
يحك جلدي مثل ظفري فرفضت مذهب التفويض
وبرزت الى السوق بالصفر والبيض فابى لاستعرض الغلمان
واستغرق الاثمان اذ عارضني رجل قد اختطم بلثام وقبض
على زند غلام وقال

اشتري مني غلاما صنعا | في خلقه وخلقه قد برعا
بجل ما نطقت به مضطلعا | يشفيك ان قال وان قلت وعا

وان

وان تقسك عثرة نقل لعا | وان تسمه السعي في النار سعى
ولو تصاحبه لو يوما رعا | وان تقنعه بخلاف قنعا
وهو على الكيس الذي قد جمعا | ما فاه قط كاذبا ولا ادعى
ولا اجاب مطمعا حين دعا | ولا استجاز نث سر اودعا
وطالما ابدع فيما صنعا | وفاق في النظم وفي النثر معا
والله لولا ضنك عيش صدعا | وصبية اضحوا عراة جوعا

ما بعته بملك كسرى اجمعا

قال فلما تاملت خلقه البهيم وحسنه القسيم حلته من ولدان
جنة النعيم وقلت ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم
ثم استنطقته عن اسمه لا رغبة في علمه بل لانظر اين فصاحته
من صباحته وكيف لهجته من بهجته فلم ينطق بحلوة ولا مرة
ولا فاه فوهة ابن امة ولا حرة فصرت عنه صفحا وقلت
قبحا لعيك وشقحا فغفر في الضحك والجد ثم انغض
راسه الي وانشد

يا من تلهب غيظه اذ لم اجب | باسمي له ما هكذا من ينصف
ان كان لا يرضيك الا كشفه | فاصخ له انا يوسف يا يوسف
ولقد كشفت لك الغطاء فان تكن | فطنا عرفت وما اخالك تعرف

قال فراعني بشعره واستبى لبي بسحره حتى شدهت عن
التحقيق وانسيت قصة يوسف الصديق ولم يكن لي هم
الا مساوته مولاه فيه واستطلاع طلع الثمن لاوفيه
وكنت احسب انه سينظر شزرا الي وتغلي الشيمة على

فما خلق الى حيث حلقت ولا اعتلق بما به اعتلقت
بل قال ان العبد اذا نزر ثمنه وخفت مؤنته تبرك
به مولاه والتحف عليه هواه وانني لا وثر تحبيب هذا الغلام
اليك بان اخفف ثمنه عليك فزن مائتي دينار ان شئت
واشكر لي حيث فنقده المبلغ في الحال كما ينقد في الرخص
الحلال ولم يخطر له ببال ان كل رخص غال فلما تحققت الصفقة
وحقت الفرقة همعت عينا الغلام ولا هموع دمع الغمام
ثم اقبل على صاحبه فقال

لحاك الله هل مثلي يباع ... لكيما تشبع الكرش الجياع
وهل في شرعة الانصاف اني ... اكلف خطة لا تستطاع
وان ابلى بروع بعد روع ... ومثلي حين يبلى لا يراع
الم اجرتني فجبرت منى ... نصائح لا يمازجها خداع
وكم ارصدتني شركا لصيد ... فعدت وفي حبائلي السباع
ونطت بي المصاعب فاستقادت ... بلطف وغى وكان بها امتناع
واي كريهة لم ابل فيها ... وغنم لم يكن لي فيه باع
وما ابدت لي الايام جرما ... فينكشف في مصارمتي القناع
ولم تعثر بحمد الله مني ... على عيب يكتم او يذاع
فاني ساغ عندك نبذ عهدي ... كما نبذت رايتها الضباع
ولم سمحت قريحتك باطراحي ... وان اشرى كما يشرى المتاع
وهلا صنت عهدك يوم صوني ... حديثك يوم حدثنا الوداع
وقلت لمن يساوم في هذا ... سكات فما يعار ولا يباع

فما

فما انا دون ذاك الطرف لكن ... طباعك فوقها ملك الطباع
على اني سانشد عند بيعي ... اضاعوني واي فتى اضاعوا

قال فلما وعى الشيخ ابياته وعقل مناغاته تنفس الصعداء
وبكى حتى ابكى البعداء ثم قال اني احل هذا الغلام محل ولدي
ولا اميزه عن افلاذ كبدي ولولا خلو راحتي وخبو مصباحي
لما درج عن عشي الى ان يشيع نعشي وقد رايت ما نزل
به من لوعة النوى والمؤنس وهين لين فهل لك في تسلية
قلبه وتسرية كربه بان تعاهدني على الاقالة فيه متى
استقلت وان لا تستقلني اذا استقلت ففي الآثار المنقولة
المقبولة عن الثقات من اقال نادما بيعته اقاله الله
عثرته قال الحرث بن همام فوعدته وعدا ابرزه الحياء
وفي القلب اشياء واستدنى حينئذ الغلام اليه وقبل
ما بين عينيه وانشد والدمع يرفض من جفنيه

خفض فديتك النفس بالتلاقي ... من برحاء الوجد والاشتياق
فما تطول مدة الفراق ... ولا تني ركائب التلاقي
بحسن عون الواحد الخلاق

ثم قال استودعك من هو نعم المولى وشمر ذيله وولى
فلبث الغلام في زفير وعويل ريثما انقطع مدى
ميل فلما استفاق وكفكف دمعه المهراق قال
اتدري لم اعولت وعلام عولت قلت اظن فراق مولاك
هو الذي ابكاك فقال انك لفي واد وانا في واد وكم بين

مريد ومراد ثم انشد

لم ابك واللّه على الفتن رخ | ولا على فوت نعيم وفرح
وانما مدمع اجفاني سفح | على غنى لحظة حين طمح
ورتعه حتى تعنّى وفضح | وضيع المنقوشة البيض الوضح
ويك اتانا حبك هاتيك الملح | يأتي حرو يبتغي لم يبح

اذ كان في يوسف معنى قد وضح

قال فتمثلت بمقاله في مراة الملاعب ومعرض الملاعب فتصلب بصلب المحق ربه ام طينة الرق فجلنا في حلبة الضلت بملاكمة وافضت الى محاكمة فلما اوضحنا للقاضي الصوح وتلونا عليه التوريح قال الان من انذر فقد اعذر ومن حذر كمن بشر ومن بصر فما قصر وان فيما جرى دليل على ان هذا الغلام قد سبهك فما ارعويت ونصح لك فما وعيت فاسترد ابلهك واكتمه ولم يفسك ولا تلمه وحذار من اعتلاقه والطمع في استرقاقه فانه حر الاديم غير معرض للتقويم وقد كان ابوه احضره امس قبيل افول الشمس واعترف بانه فرعه الذي انشاه وان لا وارث له سواه فقلت للقاضي اوتعرف اباه اخزاه الله فقال اوهل يجهل ابو زيد الذي جرحه جبار وعند كل قاض له اخبار واخبار فتحرقت حينئذ وجولقت وافقت ولكن حين فات الوقت وايقنت ان لشامه كان شرك مكيدته وبيت قصيدته فنكس

طرفي

طرفي ما لقيت واليت الا اعامل مطيتي ما بقيت ولم ازل اتاوه لخسر صفقتي والافتضاح بين رفقتي فقال لي القاضي حين رأى استعاضي وجرار تماضي ما هذا ماذهب من مالك بما وعظك ولا اجرم اليك من ايقظك فاتعظ بما نابك واكتم اصحابك ما اصابك وتذكر ابدا ما دهمك لتتقي الذكرى درهمك وتخلق بخلق من ابتلي فصبر وتجلت له العبر فاعتبر فودعته لابسا ثوب الخجل والحزن ماحبا ذيل الغبن والغبن ونويت مكاشفة ابي زيد بالهجر ومصارمته مدى الدهر فجعلت انكب عن ذراه واتجنب ان اراه الى ان غشيني في طريق ضيق وحياني بتحية شفيق فمازدت على ان عبت وتماسكت وقلت ما بالك شمخت بانفك على الفك فقلت انسيت انك احتلت وختلت وفعلت فعلتك التي فعلت فاصرط بي مستهزئا ثم انشد متلافيا

يا من نداسته صدود | موحش ونجهم
وعذاره بش ملاوما | من ذو تهز الاسهم
وتقول هل حر يباع | كما يباع الادهم
اقصر فما انا فيه بدعا | مثل ما تتوهم
قد باعت الاسباط قبلي | يوسفا وهم هم
هذا واقسم بالتي | يسري اليها المتهم
والطائفين بها وهم | شعث النواصي سهم

ما قمت دال الموقف   المجرى وعند درهم
فاعذر اخاك فكف عنه   ملام من لا يفهم

ثم قال اما معذرتي فقد لاحت واما دراعتك فقد طاحت فان كان اقشعرارك مني وازورارك عني لفرط شفقتك على غبر نفقتك فلست ممن يلسع مرتين ويوطى على جمرتين وان كنت طويت كشحك واطعت شحك لتنتقد ما علق بانزاكي فلبتك على عقلك البواكي قال الحرث بن همام فاضطرني بلفظه الخالب وسحره الغالب الى ان عدت ليصفيا وصرت له حفيا ونبذت فعلته ظهريا وان كانت شيئا فريا

روى الحرث بن همام قال مررت في تطوافي بشيراز على نادٍ يستوقف المجتاز ولو كان على اوفاز فلم استطع تعديه ولا حطت قدمي في تخطيه فعجت اليه لاسبر جوهره وانظر كيف ثمره من زهره فاذا اهله افراد والعالج عليهم مفاد وبينا نحن في فكاهة اطيب من آل فاريد واطيب من حلب الغنا قد اذا احتف بناد وطمرين قد كادينا هذا العمرين فحيا بلسان طليق وابان ابانة منطيق ثم احتبى حبوة المنتدين وقال اجعلنا اللهم من المهتدين فازدراه القوم لطمرية ونسوا ان المرء باصغرية واخذوا يبتدعون فصل الخطاب

ويعتدون

ويعتدون عوده من الاخطاب وهو لا يفيض بكلمة ولا يبين عن سمته الى ان سبر قرائحهم وخبر شائلهم وراجحهم فحين استخرج دفائنهم واستنثل كنائنهم قال يا قوم لو علمتم ان وراء الفدام صفو المدام لما احتقرتم ذا اخلاق وقلتم ما له من خلاق ثم فجر من ينابيع الادب والنكت النخب ما جلا به بدائع العجب واستوجب ان يكتب بذوب الذهب فلما خلب كل خلب وقلب اليه كل قلب تحلحل ليرحل وتاهب ليذهب فعلقت الجماعة بذيله وعاقت سرب سبيله وقالت له قد اربيتنا وسم قدحك فخبرنا عن فصك ونجرك فصمت صموت من افحم ثم عول جبي رحم قال الراوي فلما رايت شؤبوب ابي زيد ودره والسلوبه المالوف وصوبه تاملت الشيخ على سهوته محياه وسهوكه رتاه فاذا هو ابو زيد فكتمت سره كما يكتم الداء الدخيل وسترت نكره وان لم يكن بخيل حتى اذا نزع عن اعواله وقد عرف عثوزي على حاله رمقني بعين مضحاك ثم انشد بلسان متباك

استغفر الله واعتو اله   من فرطات اثقلت ظهرية
يا قوم كم من عاتق عانس   ممدوحة الاوصاف في الاندية
قتلتها لا اتقي وارثا   يطلب مني قودا او دية
وكلما استدنيت في قتلها   احلت بالذنب على الاقضية
ولم تزل نفسي في غيبها   وقتلها الابكار مستثرية

الا جه

حتى نهانى الشيب لما بدا　　فى مفرقى عن تلكم المعصية
فكم ارق مذ شاب فودى دمًا　　من عاتق يومًا ولا مصبية
وها انا اليوم على ما ترى　　منى ومن حرفتى المكدية
ارب بكرا طال تعنيسها　　وحجبها حتى عن الاهوية
وهى على التعنيس محظوية　　كحظوة الغانية المغنية
وليس يحفينى لتجهيزها على　　الرضا بالدون الا ابيه
واليد لا توكى على درهم　　والارض قفر والسما مصحية
فهل معين لى على نقلها　　مصحوبة بالقينة الملهية
فينجلى الهم بصابونه　　والقلب من افكاره المضنية
وينثنى منى الثناء الذى　　يضوع رياه مع الادعية

قال فلم يبق فى الجماعة الا من ذهب له كفه وانباع لعرفه فلما نجحت بغيته وكملت منيته اخذتنى عليهم بصالح وتم عن ساق سابح فتبعته لاستوقف رتبته خوة ومن قتل فى حدثان امره فكان وشك قيامى مثل له مرامى فاز دلف منى وقال افقه عنى قتل مثلى يا صاح مزج المدام ليس قتلى بهندم وحسام والتى عنت هى ابكر بنت الكرم لا البكر من بنات الكرام والتجهيز بها الى الطاس والكاس قيامى الذى نرى ومقامى فتفهم ما قلته وتحكم فى التغاضى ان شئت او فى الملام ثم قال انا عبيد وانت رعديد وبينا بون بعيد ثم ودعنى وانطلق وزودنى نظرة من ذى علق

اخبر الحرث بن همام قال لججت بمطية مطية البين وحقيبتى ملاء من العين فجعلت اجرانى مذ القيت بها عصاى ابن اسوة دسوار والمرح والتصيد شوارد الملح فلم تفتنى بها منظر ولا مسمع ولا خلا منى ملعب ولا مرتع حتى اذا لم يبق لى فيها مارب ولا فى الثواء بها مرغب عمدت لانفاق الذهب فى ابتياع الاهب فلما اكملت الاعداد وتهيئ الظعن منها او كاد رايت تسعة رهط قد نسبا وفهوة وارتبا واربوة ودماثتهم قيد الخاطر وفكاهتهم حلوة الالفاظ فنحوتهم طلب لمنادمتهم لا لمدامتهم وشغفت لمعارجتهم لا زجاجتهم فلما انتظمت عاشيتهم واضحيت معاشرهم الفيتهم ابناء علات وقذاذيف فلوات الا ان لحمة الادب قد الفت شملهم الفة النسب وساوت بينهم فى الرتب حتى لاحوا مثل كواكب الجوزاء وبدوا كالجملة المتناسبة الاجزاء فاجتنى الاهتداء بهم واحمدت الطالع الذى اطلعنى عليهم وطفقت افيض بقدحى مع قداحهم واستشفى برايهم لا براحهم حتى ادتنا شجون المفاوضة الى التحاجى بالمقايضة كقولك اذا عنيت به الكرامات ما مثل النوم فات فانشئ انا تخلق الشهاء والغمر وتجنى الشوك والتمر وبينا نحن نغتر القشيب والرث وننثل اليمين

والفتنة طلع علينا شيخ قد ذهب حبره وسبره فمثل
مثول من يسمع وينظر ويلتقط ما ينتثر الى ان نفضت
الاكياس وحصحص الياس فلما رأى اجبال القرايح
واكداء الماتح والمايح جمع اذياله وولانا قذاله وقال
ما كل سوداء تمرة ولا كل صهباء خمرة تا علقنا به
اعتلاق الحرباء بالاعواد وضربنا دونه وجهته بالاسداد
وقلنا له ان دواء الشق ان تحاص والا فالقصاص
القصاص فلا تطمع في ان تجرح وتنشر الفتق وتبرح فلوى
عنانه راجعا ثم جثم لمكانه راضعا وقال اما اذ اخترتم تبوئي
بالبحث فاحكم بينكم حكم سليمن في الحرث اعلموا يا ذوي الشمائل
الادبية والشمول الذهبية ان وضع الاحجية لامتحان الالمعية
واستخراج الخبية الخفية وشرطها ان تكون ذات مماثلة
حقيقية والفاظ معنوية ولطيفة ادبية فمتى نافت هذا
النمط ضاهت السقط ولم تدخل السفط ولم اركم حافظتم
على هذه الحدود ولا ميزتم بين المقبول والمردود فقلنا
لصدقت فكل لنا من لبابك وافض علينا من عبابك
فقال افعل لئلا ترتاب المبطلون ويظنوا بي الظنون
ثم قابل ناظورة القوم وقال
يا من تشامخ كابي في الفضل واري ازناد ... ماذا يماثل قولي جوع اهدبزاد
ثم ضحك الى الثاني وانشد
يا ذا الذي فاق فضلا ولم يدنسه شين ... ما مثل قول المحاجي ظهر اصابته عين

ثم لحظ الثالث وانشأ يقول
يا من نتايج فكره مثل النقود الجايزة ... ما مثل قولك للذي حاجيت صاد جايزه
ثم التمع جيده الى الرابع وقال
ايا مستنبط الغامض من لغز واضمار ... الا اكشف لي ما مثل تناول الف دينار
ثم رمى الخامس ببصره وانشد
يا ايها ذا الالمعي اخو الذكاء المنجلي ... ما مثل اهمل حلية بين هدت وبجل
ثم التفت لفتة الى السادس وقال
يا من يقصر عن مداه خطا مجاريه وتضعف ... ما مثل قولك للذي اضحى يحاجي الكف الفف
ثم خلج السابع بحاجبه وقال
يا من له فطنة تجلت ورتبه في الذكا جلت ... بين فما ذلك ذا البيان ما مثل قولي الشقيق افلت
ثم استنصت الثامن وانشد
يا من حدايق فضله مطلولة الازهار غضه ... ما مثل قولك للمحاجي في التحاجي ما اختار فضه
ثم خدج التاسع ببصره وقال
يا من زنت رايه في العقب الذكي وفي البراعه ... اوضح لنا ما مثل قولك للمحاجي درس جماعه
فلما انتهى الى هزمنكبي وقال
يا من له النكت التي يشجى الخصوم بها ونكته ... انت المبين فقل لنا ما مثل قولي خل السكت
ثم قال قد اتهلتكم وامهلتكم وان شئتم ان اعلمكم عللتكم
قال فالجأنا لهب الغلل الى استقاء الغلل فقال لست كمن يستأثر
على ندمائه ولا ممن تسمته في ادمه ثم كر على الاول وانشد
يا من اذا اشكل المعمى حلته فكاره الدقيقة
ان قال يوما لك المحاجي خذ ما مثله حقيقة ثم تخيره

الى الثاني وقال

يا من بدا بيانه عن فضله مجليا
ما ذا مثال قولهم حمار وحش حقيا

ثم اوحى الى الثالث بلحظه وانشد

يا من غدا في فضله وذكائه كالاصمعي
ما مثل قولك للذي حاجيت انفق تقمعي

ثم حلق الى الرابع وقال

يا من اذا ما عويص دجا انار ظلامه
ما ذا يماثل قولك استنش ريح مدامه

ثم اومض الى الخامس وقال

يا من تنزه فهمه عن ان يرى او يشكا
ما مثل قولك للمحاجي في التحاجي غض ملكا

ثم اقبل قبل السادس وانشد

يا اخا الفطنة التي ما ان فيها كمائله
سار نا الليل مدة اي شيء مثاله

ثم نحا بصره الى السابع وقال

يا من تحلى بفهم اقام في الناس سوقه
لك البيان فبين ما مثل اجب فروقه

ثم قصد قصد الثامن وقال

يا من تبوأ ذروة في الفضل فاقت كل ذروة
ما مثل قولك عطا تركها يلوح بغير عروه

ثم ابتسم

ثم ابتسم الى التاسع وانشد

يا من حوى حسن الدراية والبيان بغير شك
ما مثل قولك للمحاجي ذي الذكاء النور ملك

ثم قبض بجمعه على ردني وقال

يا من سما بثقوب فطنة في المشكلات ونور كوكبه
ما ذا مثال صغيرة حجفة بينه تبيانا تتم به

قال الحرث بن همام فلما اطربنا باسجاعه وطالبنا بكشف معناه قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان ولا لنا بحل هذه العقد يدان فان ابنت مننت وان كتمت عممت فقطب وبغى واهلت قدحيه حتى هان بذل الماعون عليه فاقبل حينئذ على الجماعة وقال سأعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ولا ظننتم انكم تعلمون فاوكوا عليه الاوعية ورضوا به الاندية ثم اخذ في تفسير صقل به الاذهان واستفرغ معه الاردان حتى اضحت الافهام انور من الشمس والاكمام كان لم تغن بالامس ولما هم بالمقر سئل عن المقر فتنفس كما يتنفس الثكول كما انشأ يقول

كل شعب بلد لي شعب وبه ربعي رحب
غير اني بسروج مستهام القلب صب
هي ارض البكر والجو الذي منه المهب
والى ربوتها الغناء دون الروض اصبو
ما حلا لي بعدها حلو ولا اعذوذب عذب

قال الراوي فقلت لأصحابي هذا أبو زيد السروجي الذي
أدى ملح الأحاجي وأخذت أصف لهم حسن توشيته وانقياد
الكلام لمشيئته ثم التفت فإذا به قد طمر ونأى بما قمر فعجبنا مما
صنع ولم ندر أين شكع وصقع

الأحاجي المودعة
هذه المقامة تأجج أمد بزاء فمثله طوامير وأما ظهر صانعة
عين فمثله بطن عين وأما صادف جائزة فمثله الفاصلة
وأما نتاد في ألف دينار فمثله بادية وأما اهمل حلية فمثله
الغاشية وأما أكفف أكفف فمثله مهمه وأما الشفيق أفلت
فمثله الأخطر وأما ما اختار فضة فمثله أبارقة لأن
الرقة من أسماء الفضة وقد نطق بها النبي صلى الله عليه وسلم
فقال في الرقة ربع العشر وأما دس حجامة فمثله طافيه
وأما خالي اسكت فمثله خالصة لأنك إذا ناديت مضافا
إلى نفسك جاز لك حذف الياء وإثباتها ساكنة ومتحركة
وقد حذف هاهنا حرف النداء كما حذفه في أصل الأحجية
وصه بمعنى اسكت وأما خذ تلك فمثله هاتيك وأما حمار وحش
جلبي فمثله فرا زبل لأن الفرا حمار الوحش ومنه الخبر كل الصيد
في جوف الفرا وأما قوله النفق تقمع فمثله منتقم لأن الأمر
من مان يمون من مضارع وقمت تقم وأما استنشق ريح
مداوية فمثله رحراح لأن الأمر استدعاء الرائحة رح ولينا
غلظ هلكى فمثله صنبور لأن البور هم الهلكى وفي القرآن وكنتم
قوما بورا وأما ستر بالتيل مدة فمثله سرحين وأما حب مرموقة

فمثله

فمثله مقلاج لأن الأمر من وسق يسق سق واللاج الجبان
يقال فلان هاع لاع إذا كان جبانا جزوعا وأما خيط
إبريقه يلوح بغير عروة فمثله اسكوب لأن الأوس العطاء
والأمر منه اس ومنه اشتقاق المواساة والكوب الإبريق
بغير عروة وأما الثور ملكي فمثله اللالي لأن اللآ على وزن
القفا ثور الوحش وأما صفير جحفلة فمثله مكاشفة لأن المكا
الصفير قال الله تعالى فما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء
وتصدية والأصل في المكاء المد ولكنه قصره في هذه الأحجية
كما حذف همزة الفرا على أحجية على قول من همزه وكلا الأمرين
من قصر الممدود وحذف همزة المهموز وذلك جائز

حكى الحرث بن همام قال أصعدت إلى صعدة وأنا ذو شطاط
يحكي الصعدة واشتداد يبيد ربات صعدة فلما رأيت نضرتها
ورغيث حضرتها نلت لتخارير الرواة عمن تحويه من السراة
ومعادن الخيرات لأتخذه جذوة في الظلمات ونجدة في
الظلامات فنعت لي قاض بها رحيب الباع خصيب الرباع
تميمي النسب والطباع فلم أرك أتقرب إليه بالإلمام وأتفق
عليه بالإجمام حتى صرت أصدى صوته وسلمان بيته وكنت
مع اشتيار شهده وانتشاق رنده أشهد مشاجر الخصوم
والسفر بين المعصوم منهم والموصوم فبينا القاضي جالس
للإسجال في يوم المحفل والاحتفال إذ دخل شيخ بالي الرياش

بادئ الارتعاش فتبصّر الحفل تبصّر نقّاد ثم زعم أنّ له خصماً
غير منقاد فلم يكن إلا كصفوة شرار او وحي اشارة حتى اذا
حضر غلام كأنه ضرغام فقال الشيخ ايّد الله القاضي وعصمه
من التعاظي ان ابني هذا كالقلم الردي والسيف الصدي يجهل
اوصاف الانصاف ويرتضع اخلاف الخلاف ان قدّمت احجم
وان اغريت اجمّ وان اذكيت اخمد ومتى سوّيت به تبلّد مع انّي كفلته
مذ دبّ الى ان شبّ كنت له الطف من ربّي وربّ فاكبر
القاضي ما شكا اليه واطرف به من حواليه ثم قال اشهد انّ العقوق
احد الثكلين ولربّ عقم اقرّ للعين فقال الغلام وقد امعضه
هذا الكلام والذي نصب القضاة للعدل وملّكهم اعنّة الفضل والفصل
انه ما حافظ الا امنت ولا ادّعى الا امنت ولا انتمى الا واخرت
ولا اورى الا واضرمت بيد انه كمن يبغي بيض الانوق ويطلب الطيران
من النوق فقال له القاضي وبم اعنتك وامتحن طاعتك قال انه
مذ صفر من المال ومني بالامحال يسومني ان اتمنطق بالسؤال واستمطر
سحب النوال ليفيض شره بالذي غاض ويجبر من حاله الذي هاض وقد
كان حين اخذ بالدرس وعلّمني ادب النفس اشرب قلبي انّ الحرص
متعبة والطمع معيبة والشره متخمة والمسألة ملامة ثم انشدني
من فلق فيه وبخت قوافيه

ارض بادنى العيش واشكر عليه … شكر من القلّ كثير لديه
وجانب الحرص الذي لم يزل … يحطّ قدر المترقي اليه
وحام عن عرضك واستبقه … كما يحامي الليث عن لبدتيه

واصبر على

واصبر على ما ناب من فاقة … صبر اولي العزم وغضّ عليه
ولا ترق ماء المحيّا ولو … حوّلك المسؤول ما في يديه
فالحرّ من ان قذيت عينه … اخفى قذى خفية عن ناظريه
ومن اذا اخلق ديباجه لم … ير ان يخلق ديباجتيه

قال فتعبّس الشيخ واكفهرّ وانذرأ على ابنه وهرّ وقال له
صه يا عقق يا من هو الشجى والشرق ويلك انقم امّك
البضاع وظئرك الارضاع لقد تحكّكت العقرب بالافعى
واستنّت الفصال حتى القرعى ثم كأنه ندم على ما فرط من فيه
وحدته المقة على تلافيه فرنا اليه بعين عاطف وثنى عليه
بعين ملاطف وقال ويك يا بنيّ ان من امر بالقناعة وزجر
عن الضراعة هم ارباب البضاعة واولو المكسبة بالصناعة
فامّا ذوو الضرورات فقد استثني بهم في المحظورات وهبك
جهلت هذا التأويل ولم تبلغك ما قيل ألست الذي عارض
اباه اذ قال وما جاباه

لا تقعدنّ على ضرّ ومسغبة … لكي يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينك هل ارض معطّلة … من النبات كارض حفّها الشجر
فعدّ عمّا يشير الاغبياء به … فايّ فضل لعود ما له ثمر
وارحل ركابك عن ربع ظمئت به … الى الجناب الذي يهمي به المطر
واستنزل الرّيّ من درّ السحاب فان … بلّت يداك به فليهنك الظفر
وان رددت فما في الردّ منقصة … عليك قد ردّ موسى قبل والخضر

فلمّا رأى القاضي تنافي قول الفتى وفعله وتحلّبه بما ليس من اهله

نظر اليه بعين غضبى وقال اتميميا مرة وقيسيا اخرى
اف لمن ينقض ما يقول ويتلون كما يتلون الغول فقال له
الغلام والذي جعلك سفتاحا للحق وفتاحا بين الخلق
لقد انبت مذ ابيت وصدي ذهني مذ صديت على انه
اين لباب الفتح والعطاء السرج وهل تقي من تبرع بالقهى
واذا استطعم بقال فقال له القاضي ما قمع الخواطي
سهم صايب وما كل برق خالب فميز البروق اذا شمت ولا
تشهد الا بما علمت فلما تبين للشيخ ان القاضي قد غضب
للكرام واعظم تخجيل جميع الانام علم انه سينصر كلمته ويظهر
اكرومته فما كذب ان نصب شبكته وحشى في الحريق سمكته
وانشا يقول

يا ايها القاضي الذي علمه — وحلمه ارسخ من رضوى
قد ادعى هذا على جهلان — ليس في الدنيا اخو جدوى
وما درى انك من معشر — عطاؤهم كالمن والسلوى
فخذ بما يغنيه مستخرجا بما — افترى من كذب الدعوى
واثنني جذلان اثني بما — اوليت من جدوى ومن عدوى

قال فهش القاضي لقوله واجزل له من طوله ثم لفت وجهه
الى الغلام وقد فصل له اسهم الكرام وقال له ارايت
بطل زعمك وحطا وهمك فلا تعجل بعدها بذم ولا تنحت
عودا قبل عجم واياك وتابيك عن مطاوعة ابيك فانك
ان عدت تعقه حاق بك مقت ما تستحقه فسقط الفتى في يده

ولاذ بحقو

ولاذ بحقو والده ثم نهض يخفد وتبعه الشيخ ينشد

من ضامه اوضاره دهره — فليقصد القاضي في صعدة
سماحه ازرى بمن قبله — وعدله اتعب من بعده

قال الراوي فحرت بين تعريف الشيخ وتنكيره الى ان
اخرو زف المسير فناجت النفس باتباعه ولو الى
رباعه لعلي اطلع على اسراره واعرف شجرة نجاره فقدت
العلق وانطلقت حين انطلق ولم يزل يخطو واعتقت
ويبعد واقرب الى ان تراءى الشخصان وحوى التعارف
على التخلص فابدى حينئذ الاهتشاش ورفع الارتعاش
وقال من كاذب اخاه فلا عاش فعرفت حينئذ انه السروجي
بلا محالة ولا حول له حالة واستوقفت لخه وناوحته فقال
دونك ابن اخيك البر وتركني ومر فلم يعد الفتى ان افتر
ثم فر فقعدت وقد استبنت عنهما واين هما

المقامة الثامنة والثلاثون

حكى الحرث بن همام قال حبب الي مذ سعت قدمي ونعتت
قلمي ان اتخذ الادب شرعة والاقتباس منه نجعة فكنت
ابحث عن اخباره وخزنة اسراره فاذا الفيت منه
بغية الملتمس وجذوة المقتبس شددت يدي بغرزه واستنزلت
منه زكوة كنزه على اني لم الق كالسروجي في غزارة النخب
ووضع الهناء مواضع النقب الا انه كان اسير من المثل
واسرع من القمر في النقل وكنت لهوى ملاقاته واستجلاء

مقامة أرغب في الاغتراب واستعذب السفر الذي
هو قطعة من العذاب فلما تطوحت الى مرو ولا لي غرو بشرني
بملقاه زجر الطير والفال الذي هو يريد الخير فلم ازل
انشده في المحافل وعند تلقي القوافل فلم اجد عنه مخبرا
ولا ارى له اثرا ولا عثيرا

حتى غلب اليأس الطمع
وانزوى التأميل وانقمع

فاتى لذات يوم لحضرة الى مرو وكان
ممن جمع الفضل والنبل وطلع

ابو زيد في خلق مملاق وخلق ملاق فحيا الوالي تحية المحتاج
اذا لقي رب التاج ثم قال له اعلم وقيت الذم وكفيت
الهم ان من عذقت به الاعمال علقت به الامال ومن رفعت
له الدرجات رفعت اليه الحاجات وان السعيد من اذا قدر
واتاه القدر ادى زكوة النعم كما يؤدي زكوة النعم والتزم
لاهل الحرم كما يلتزم للاهل والحرم وقد اصبحت بحمد الله
عميد مصرك وعماد عصرك ترحى الركائب الى حرمك وترجى
الرغائب من كرمك وتنزل المطالب بباحتك وتستنزل
الراحة من راحتك وكان فضل الله عليك عظيما ثم اني
شيخ ترب بعد الاتراب وعدم الاعشاب حين شاب
قصدتك من محلة نازحة وحالة رازحة آملا من بحرك دفعة
ومن جاهك رفعة والتأميل افضل وسائل السائل ونايل
النائل فاوجب لي ما يجب عليك واحسن كما احسن الله اليك واياك
ان تلوي عذارك عمن اذ دارك وام دارك او تنقبض راحتك

عمن امتاحك وامتار سماحك فوالله ما مجد من جمد
ولا رشد من حشر بل اللبيب من اذا وجد جاد وان بدا
بعائدة عاد والكريم من اذا استوهب الذهب
لم يهب ان يهب ثم امسك يرقب اكل غرسه ويرصد
مطيبة نفسه واعجب الوالي انهلال نطفته ثم دام لتعرية
مده ثم اطرق يروي في استوراء زنده واستشفاف فرنده
والتبس على ابي زيد سر صمته وارجاء صلته فتوغر
غضبا وانشد مقتضبا

لا يحقرن ابيت اللعن ذا ادب
لان بدا خلق السربال مسبروتا
ولا تضع لاخي التأميل حرمته
ان كان ذا السن او كان سكيتا
وانفح بعرفك من وافاك مختبطا
وانعش بغوثك من القيت منكوتا
فخير مال الفتى مال اشاد له
ذكرا تنقله الركبان او صيتا
وما على المشتري حمدا بموهبة غبن
ولو كان ما اعطاه ياقوتا
لولا المروة ضاق العذر عن فطن
اذا اشرأب الى ما جاوز القوتا
لكنه لابتناء المجد جد ومن

حبّ السماح ثنى نحو الغنى استا

وانشقّ نشر الشكر ذو كرم الّا

وازرى بنشر المسك مفتوتا

فالحمد والبخل لم يعض اجتماعهما

حتى لقد خيل ذا ضبا وذا حوتا

والسمح في الناس محبوب خلايقه

والجامد الكف ما ينفك ممقوتا

وللشحيح على امواله علل يوسعنه

ابداً ذمّاً وتبكيتا

فجد بما جمعت كفاك من نشب حتى يرى جد واك مبهوتا

وخذ نصيبك منه قبل رايعة من الزمان تريك العود منحوتا

فالدهر انكد من ان يستمر بحال تكرهت تلك الحال ام شيتا

فقال له واثق لقد احسنت فاي ولد الرجل انت

فنظر اليه عن عرض ثم انشد وهو معرض

لا تسل المرأ من ابوه وزن خلاله ثم صله او فاصرم

وايشين الخل حين حلا مذاقها كونها ابنة الحصرم

فقربه الوالي لبيانه الفاتن حتى احله مقعد الخاتن

ثم فرض له من سيوب نيله ما اذن بطول ذيله وقصر ليله

فنهض عنه بردن ملآن وقلب جذلان وتبعته حاذياً

حذوه وقافياً خطوه حتى اذا خرج من بابه وفصل

عن غابه قلت له هنئت بما اوتيت وملئت بما اوليت

فاسفر

فاسفر وجهه وتلالا ووالى شكرا لله تعالى ثم خطر
احتيالا وانشد ارتجالا

من يكن نال الحماقة حظاً او سما قدره لطيب الاصول

فبفضلي انتفعت لا بفضولي وبقولي ارتفعت لا بقبولي

ثم قال تعساً لمن جدب الادب وطوبى لمن جد فيه
ودأب ثم ودعني وذهب واودعني اللهب

المقامة التاسعة والثلاثون

حدث الحرث بن همام قال لهجت مذ اخضر ازاري وبقل عذاري بان اجوب البراري على ظهور المهاري لاجد حوراً واسلك تارة غوراً حتى قلت او المجاهل وبلوت المنازل والمناهل وادميت السنابك والمناسم وانضيت السوابق والرواسم فلما مللت الاصحار سنح لي ارب بصحار فملت الى اختبار البحار واختيار الفلك السيار فنقلت اليه اساودي واستصحبت زادي ومزاودي ثم ركبت فيه ركوب حاذر ناذر وعاذل نفسه عاذر فلما شرعنا في القلعة ورفعنا الشرع للسرعة سمعنا من شاطي المرسى حين دجى الليل واغسى هاتفاً يقول يا اهل ذي الفلك القويم المزجى في البحر العظيم بتقدير العزيز العليم هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم فقلنا له اقبسنا نارك ايها الدليل وارشدنا كما يرشد الخليل الخليل فقال استصحبون ابن سبيل زاده في زبيل وظله غير ثقيل وما يبغي سوى مقيل فاجمعنا

على الجنوح اليه والا نبخل بالماعون عليه فلما استوى على الفلك
قال اعوذ بمالك الملك من مسالك المهلك ثم قال انا
روينا في الاخبار المنقولة عن الاحبار ان الله تعالى
ما اخذ على الجهال ان يتعلموا حتى اخذ على العلماء ان يعلموا
وان معي لعوذة عن الانبياء منقولة وعندي لكم نصيحة براهينها
صحيحة وما وسعني الكتمان ولا من شيمي الحرمان فتدبروا القول
وتفهموا واعملوا بما تعلمون وعلموا ثم صاح صيحة المباهي
وقال اتدرون ما هي هي والله حرز السفر عند مسيرهم في البحر
والجنة من الغم اذا جاش موج اليم وبها استعصم نوح يوم
الطوفان ونجا ومن معه من الحيوان على ما صدعت به آي القرآن
ثم قال بعد اساطير تلاها وزخارف جلاها وقال اركبوا فيها
بسم الله مجريها ومرسيها ثم تنفس تنفس المغرمين او عباد الله
المكرمين وقال اما انا فقد قمت فيكم مقام المبلغين
ونصحت لكم نصح المبتغين ودعوتكم الى محجة الراشدين
فاشهد اللهم وانت خير الشاهدين قال الحارث بن همام فاعجبنا
بيانه البادي الطلاوة وعجبت له اصوات بالتلاوة
وآنس قلبي من جرسه سرقة عين شمسه فقلت له بالذي سخر
البحر اللجي الست السروجي فقال لي بلى وهل يخفى ابن جلا فحمدت
حينئذ السفر وسفرت عن نفسي اذ سفر ولم نزل نسير والبحر رهو
والجو صحو والعيش صفو والزمان لهو وانا اجد للقيانه
وجد المثري بعقيانه وافرح بمناجاته فرح الغريق بمنجاته

الى ان

الى ان عصفت الجنوب وعفت الجنوب ونسي السفر
ما كان وجاءهم الموج من كل مكان فملنا لهذا الحادث
الثائر الى احدى الجزائر لنريح ونستريح ريثما تواتي الريح
وتمادى اعتياص المسير حتى نفد الزاد غير اليسير فقال
لي ابو زيد انه لن يحرز حتى العود بالقعود فهل لك في
استثارة السعود بالصعود فقلت اني لك لا تبع
من ظلك واطوع من نعلك فنهدنا الى الجزيرة
على ضعف من المريرة لنركض في امتراء الميرة وكلانا
لا يملك فتيلا ولا نهتدي فيها سبيلا فاقبلنا نجوس
خلالها ونتفيأ ظلالها حتى افضينا الى قصر مشيد
له باب من حديد ودونه زمرة من عبيد فناسمناهم
لنتخذهم سلما الى الارتقاء وارشية للاستقاء فالفينا
كلا منهم في همٍ كبير وكرب يسير فقلنا ايتها الغلمة
لم هذه الغمة فلم يجيبوا الندا ولا فاهوا ببيضاء ولا سوداء
فلما رأينا نارهم نار الحباحب وخبرهم كسراب السباسب
قلنا شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه فابتدر
خادم قد علته كبرة وعرته عبرة وقال يا قوم لا توسعونا
عتبا ولا توسعونا سبا فانا لفي حزن شامل وشغل
عن الحديث شاغل فقال له ابو زيد نفس خناق البث
وانفث ان قدرت على النفث فانك ستجد مني عرافا
كافيا ووصافا شافيا فقال اعلم ان رب هذا القصر

هو قطب هذه البقعة وشاه هذه الرقعة الا انه
لم يخل من لبد لخلوه من ولد ولم يزل يستكرم المغارس
ويتخير المفارش النفائس الى ان بشر بحمل عقيلته وآذنت
رقبة نتجها بعقيلته فنذرت له النذور وعدت له
الايام والشهور ولما ان حان النتاج وصيغ الطوق و
التاج عسر مخاض الوضع حتى خيف على الاصل والفرع
فما فينا من يعرف قرارا ولا يطعم النوم الا غرارا ثم اجهش
بالبكاء واعول وردد الاسترجاع وطول فقال له ابو زيد
اسكن يا هذا واستبشر وابشر بالفرج وانشر فعندي عزيمة الطلق
التي انتشر صيتها في الخلق فتبادرت الغلمة الى مولاهم مبشرين
بانكشاف بلواهم فلم يكن الا كلا ولا حتى برز من اهلهم بنا اليه
فلما دخلنا عليه ومثلنا بين يديه قال لابي زيد ليهنك
منالك ان صدق مقالك ولم يفل فالك فاستحضر قلما
مبريا وزبدا طريا وزعفرانا قد ديف في ماء ورد نظيف
فما ان رجع النفس حتى احضر ما التمس فسجد ابو زيد وعفر
وسبح واستغفر ثم اخذ القلم واستخفر وكتب على الزبد
بالمزعفر

ايهذا الجنين اني نصيح لك ... والنصح من شروط الدين
انت مستعصم بكن كنين ... وقرار من السكون مكين
ما ترى فيه ما يروعك من الف ... مداج ولا عدو مبين
فمتى ما برزت منه تحولت الى ... منزل الردى والهون

وترای

وترى اي لك الشقاء الذي تلقى ... فتبكي له بدمع هتون
فاستدم عيشك الرغيد وحاذر ... ان تبيع المحقوق بالمظنون
واحترس من مخادع لك يرقيك ... فيلقيك في العذاب المهين
ولعمري لقد نصحت ولكن ... كم نصيح مشبه بظنين

ثم انه طمس المكتوب على غفلة ونفث عليه مائة نفثة وشد
الزبد في خرقة حرير بعد ما ضمخها بعبير وامر بتعليقها على
فخذ الماخض والا تعلق بها يد حائض فلم يك الا كرواق
شارب او فواق حالب حتى اندلق شخص الولد لخصيصى
الزبد بقدرة الواحد الصمد فامتلأ القصر حبورا و
استطير عميده وعبيده سرورا واحاطت الجماعة بابي
زيد تثني عليه وتقبل يديه وتتبرك بلمس طمريه حتى
خيل الي انه القرني اويس والاسدي دبيس ثم انثال
عليه من جوائز المجازاة وصلات الصلات ما قيض له
الغنى وبيض وجه المنى ولم يخل مثابة الدخل مذ نتج السخل
الى ان اعطى البحر الامان وتسنى الاتمام الى عمان فاكتفى
ابو زيد بالنحلة وتأهب للرحلة فلم يسمح المولى بحركته
بعد تجربة بركته بل اوعز بضمه الى خزانته وان يطلق يده
في خزانته قال الحارث بن همام فلما رايته قد مال الى حيث
يكسب المال الخبيث عليه بالتعنيف وجنحت له مفارقة
المالف والاليف فقال اليك عني واستمع مني

لا تصبون الى وطن ... فيه تضام وتمتهن

وارحل عن الدار التي تغلي الوهاد على القنن
واهرب الى كن يقي ولو انه حضن خضن
وارما ينفعك ان تقيم بحيث يغنك الدرن
وجب البلاد فانها ارضاك فاخترها وطن
ودع التذكر للمعاهد والحنين الى السكن
واعلم بان الحر في اوطانه يلقى الغبن
كالدر في الاصداف يسترخص ويبخس في الثمن

ثم قال حسبك ما سمعت وحبذا انت لو اتبعت فاوضحت له معاذيري وقلت لكن عذيري فعذر واعتذر فورد حتى لم يذر ثم شيعني تشييع الاقارب الى ان ركبت القارب فودعته وانا اشكو الفراق واذمه واود لو كان هلك الجنين وامه

المقامة الاربعون

اخبر الحرث بن همام قال ازمعت التبرز من تبريز حين نبت بالذليل والعزيز وخلت من المجير والمجيز فبينا انا في اعداد الاهبة وارتياد الصحبة لقيت بها ابا زيد السروجي ملتفا بكسا ومحتفا بنسا فسألته عن خطبه والى اين يسرب مع سربه فاومى الى امراة منهن باهرة السفور ظاهرة النفور وقال تزوجت هذه لتونسني في الغربة وترحض عني قشف العزبة فلقيت منها عرق القربة تمطلني بحقي وتكلفني فوق طوقي فانا منها نضو

وجى

وجى وحليف شجو وشجى وها نحن قد تساعينا الى الحاكم ليضرب على يد الظالم فان انتظم بيننا الوفاق والا فالطلاق والانطلاق قال فهمت ان اخبر لمن الغلب وكيف يكون المنقلب فجعلت شغلي دبر اذني وصحبتهما وان كنت لا اغني فلما حضر القاضي وكان ممن يرى فضل الامساك ويضن بنفاثة السواك جثا ابو زيد بين يديه وقال ايد الله القاضي واحسن البيان مطيتي هذه ابية القياد كثيرة الشراد مع اني اطوع لها من بنانها واحنى عليها من جنانها فقال لها القاضي ويحك اما علمت ان النشوز يغضب الرب ويوجب الضرب فقالت انه ممن يدور خلف الدار وياخذ الجار بالجار فقال له القاضي تبا لك ابتذر في السباخ وتستفرج حيث لا افراخ اعزب عني لا نعم عوفك ولا امن خوفك فقال ابو زيد انها ورسل الرياح لاكذب من سجاح فقالت بل هو ومن طوق الحمامة وجنح النعامة اكذب من ابي ثمامة حين مخرق باليمامة فزفر ابو زيد زفير الشواظ واستشاط استشاطة المغتاظ وقال لها ويلك يا دفار يا فجار يا غصة البعل والجار اتعمدين في الخلوة لتعذيبي وتبدين في الحفلة تكذيبي وقد علمت اني حين بنيت عليك ورنوت اليك الفيتك اقبح من قردة وايبس من قدة واخشن من ليفة وانتن من جيفة واثقل من هيضة

وابرز من قشرة وابرد من قرة واحمق من رجلة واوسع
من دجلة فسترت عوارك ولم ابد عارك على انه لو حبيت
شيرين بجمالها وزبيدة بمالها وبلقيس بعرشها وبوران
بفرشها والزباء بملكها ورابعة بنسكها وخندف بفخرها
والخنساء بشعرها في صخرها لانفت ان تكون له قعيدة رحل
وطروقة فحل قال فتذمرت المراة وتنمرت وحسرت
عن ساعديها وشمرت وقالت له يا ألأم من مادر واشأم
من قاشر واجبن من صافر واطيش من طامر اترميني
بشنارك وتفري عرضي بشفارك وانت تعلم انك
احقر من قلامة واعيب من بغلة ابي دلامة وافضح من
حبقة في حلقة واحير من بقة في حقة وهبك الحسن
في لفظه ووعظه والشعبي في علمه وحفظه والخليل في عروضه
ونحوه وجريرا في غزله وهجوه وقسا في فصاحته وخطابته
وعبد الحميد في بلاغته وكتابته وابا عمرو في قرائته واعرابه
وابن قريب في روايته عن اعرابه اتظنني ارضاك اماما
لمحرابي وحساما لقرابي لا والله ولا بوابا لبابي ولا عصا
لجرابي فقال لهما القاضي اراكما شنا وطبقة وحداة
وبندقة فاترك ايها الرجل اللدد واسلك في سيرك الجدد
واما انت فكفي عن سبابه وقري اذا اتى البيت من بابه
فقالت المراة والله ما اسجن عنه لساني الا اذا كساني ولا
ارفع له شراعي دون اشباعي فحلف ابو زيد بالمحرجات الثلاث

انه

انه لا يملك سوى اطمار الرثاث فنظر القاضي في قصصها
نظر الالمعي وافكر فكرة اللوذعي ثم اقبل عليهما بوجه
قد قطبه ومجن قد قلبه وقال الم يكفكما التسافه
في مجلس الحكم والاقدام على هذا الجرم حتى ترقيتما من فحش
المقاذعة الى خبث المخادعة وايم الله لقد اخطأت
استكما الحفرة ولم يصب سهمكما الثغرة فان امير المؤمنين
نصبني لاقضي بين الخصماء لا لاقضي دين الغرماء وحق نعمته
التي احلتني هذا المحل وملكتني العقد والحل لئن لم توضحا
لي جلية خطبكما وخبيئة خبكما لاندّدن بكما في الامصار
ولاجعلنكما عبرة لاولي الابصار فاطرق ابو زيد اطراق
الشجاع ثم قال له سماع سماع

أنا السروجي وهذي عرسي / وليس كفؤ البدر غير الشمس
وما تنافى انسها وانسي / ولا تنائى ديرها عن قسي
ولا عدت سقياي ارض غرسي / لكننا مذ ليال خمس
نصبح في ثوب الطوى ونمسي / لا نعرف المضغ ولا التحسي
حتى كانا لخفوت النفس / اشباح موتى نشروا من رمس
فحين عز الصبر والتأسي / وشفنا الضر الاليم المس
قمنا لسعد الجد او للنحس / هذا المقام لاجتلاب فلس
والفقر يلجي الحر حين يرسي / الى التحلي بلباس اللبس
فهذه حالي وهذا درسي / فانظر الى يومي وسل عن امسي
وامر بجبري ان تشا او حبسي / ففي يديك صحتي ونكسي

اصلاح حالي

فقال له القاضي ليَنِبْ أنسك ولتطب نفسك فقد حق
لك أن تغفر خطيئتك وتوفر عطيتك فبشرت الزوجة
عند ذلك واستطالت وأشارت الى الحاضرين وقالت

يا أهل تبريز لكم حاكم ... أوفى على الحكام تبريزا
ما فيه من عيب سوى أنه ... يوم الندى قسمته ضيزى
قصدته والشيخ نبغي جنى ... عود له ما زال مهزوزا
فسرح الشيخ وقد نال من ... جدواه تخصيصا وتمييزا
وردني أخيب من شائم ... برقا خفيا في شهر تموزا
كأنه لم يدر أني التي ... لقنت الشيخ الأراجيزا
وأنني إن شئت غادرته ... أضحوكة في أهل تبريزا

فلما رأى القاضي اجتراء جنانها وانصلات لسانها علم أنه
قد مني منهما بالداء العياء والداهية الدهياء وأنه متى منح
أحد الزوجين وصرف الآخر صفر اليدين كان كمن قضى الدين
بالدين أو صلى المغرب ركعتين فطلسم وطرسم وأخذ يتلظم ويترطم
ويهمهم ويغمغم ثم التفت يمنة وشأمة وتململ كآبة
وندامة وأخذ يذم القضاء ويعدد شوائبه ونوائبه
ويلعن طالبه وخاطبه ثم تنفس كما يتنفس المحرب وانتحب
حتى كاد يفضحه النحب وقال إن هذا الشيء عجاب أأرشق
في موقف بسهمين أألزم في قضية بغرمين أأطيق أن أرضي
الخصمين ومن أين ومن أين ثم عطف الى حاجبه المنتقد
لمآربه وقال ما هذا يوم حكم وقضاء وفصل وإمضاء هذا يوم
الاغتمام هذا يوم الإغرام هذا يوم الهجران هذا يوم الخسران
هذا يوم عصيب هذا يوم نصاب فيه ولا نصيب فأرحني
من هذين المهذارين واقطع لسانيهما بدينارين ثم فرق
الأصحاب وأغلق الباب وأشاع أنه يوم مذموم وأن القاضي
فيه مغموم لئلا يحضره فيه خصوم قال فامتن الحاجب
على دعائه وتباكى لبكائه ثم نقد أبا زيد وعرسه المثقالين
وقال أشهد أنكما لأحيل الثقلين لكن احترما مجالس الحكام
واجتنبا فيها فحش الكلام فما كل قاض قاضي تبريز ولا كل
وقت تسمع الأراجيز فقالا له مثلك من حجب ومثلك قد
وجب ونهضا وقد حصلا بدينارين وأصليا قلب
القاضي نارين

تفسير ما أودع هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله لقيت منها عرق القربة هذا مثل يضرب لمن يلقى شدة
من الأمر الذي يزاوله كأن حامل القربة يلقى جهدا حتى
يعرق وقوله جعلته دبر أذني يعني اطرحته وهو قوله تعالى
فنبذوه وراء ظهورهم وقوله أكذب من سجاح يعني التي
تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب وسارت إليه لتناظره وتختبره
ثم آمنت به ووهبت نفسها له وهذا الاسم مبني على الكسر
مثل حذام وقطام وهي السهولة ومنه قولهم ملكت
فأسجح وقولها أكذب من أبي ثمامة هذه كنية مسيلمة الكذاب

وكان تتنبأ باليمامة وتحرّق بها الى ان سار اليه خالد بن
الوليد وقتله وقوله لا نعم عوفك العوف الحال وهو
ايضا الذكر ويدعى للباني على اهله فيقال له نعم عوفك
وقوله يا دفار يا فجار هذان الاسمان معدولان من دفرة
وفاجرة والدفر النتن وبه سميت الدنيا ام دفر وكل
ما سمي بصفة غالبة ثم عدل بها الى فعال بني على الكسر عند
النداء كقولك يا لكاع يا خباث يا دفار يا فجار ولا يجوز استعمال
ذلك في غير النداء الا في ضرورة الشعر كقول الشاعر
اطوّف ما اطوّف ثم آوي الى بيت قعيدته لكاع
واما قوله احمق من رجلة فهي ضرب من الحمض نبت في مجرى
السيل فتجترفها واما قولها الأم من مادر فهو رجل من بني
هلال بن عامر كان اتخذ حوضا ليسقي ابله فلما روت سلح
فيه ومدره بسلحه لئلا ينتفع به من بعده واما قولها اشأم
من قاشر فانه فحل كان في بعض قبايل سعد بن زيد مناة
ما طرق ابلا الا ماتت وقيل المراد به العام المجدب وسمي
قاشرا لقشره وجه الارض من النبات واما قولها اجبن من
صافر فقد اختلف في تفسيره فقال بعضهم عني به كل ما يصفر
من الطير وخص بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو وصيادي
الارض وقيل انه طاير بعينه اذا جنه الليل تعلق ببعض الاغصان
ولم يزل يصفر طول الليلة خوفا من ان ينام فيؤخذ وقيل انه
الذي يصفر بالمرأة لريبة فهو يجبن وقت صفيره مخافة ان

يظهر

ان يظهر على امره وقيل ان المراد به في المثل العصفور
وهو الذي ينذر بالصفير فعلى هذا القول فاعل ها هنا
بمعنى مفعول كقوله تعالى من ماء دافق اي مدفوق وكقولهم
راحلة بمعنى مرحولة وهو كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى
فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا اي ساترا واما قولها اطيش
من طامر فالمراد به البرغوث ويسمى طامر ابن طامر لكثرة
وثوبه واما قول القاضي ارا كما شنا وطبقة وحداة وبندقة
فانه اراد به ان كلا منكما كفوء لصاحبه ومقاوم له
ولكل من المثلين تفسير مختلف فيه اما شن وطبقة فان العلماء
مختلفون في معنى قولهم وافق شن طبقة فقال الاكثرون
انهما قبيلتان فشن هو ابن اقصى بن دعمي بن جديلة بن اسد
ابن ربيعة بن نزار وطبقة حي من اياد وكانت طبقة
لا تطاق فوقعت بها شن فانتصفت منها وقال بعضهم
كان رجلا من دهاة العرب وكان الزم نفسه ان لا يتزوج الا
بامرأة تلايمه فكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته فصاحبه
رجل في بعض اسفاره فلما اخذ منهما السير قال له شن اتحملني ام
احملك فقال له الرجل يا جاهل هل يحمل الراكب الراكب فامسك
وسارا حتى اتيا على زرع فقال له شن اترى هذا الزرع
أكل ام لا فقال له يا جاهل ما تراه في سنبله فامسك الى
ان استقبلتهما جنازة فقال له شن اترى صاحبها
حيا فقال له ما رأيت اجهل منك اتراهم حملوا الى القبر حيا

ثم انهما وصلا الى قرية الرجل فصار به الى منزله وكانت له
بنت تسمى طبقة فاخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت له
ما نطق الا بالصواب ولا استفهمك الا عما يستفهم عن مثله
اما قوله احملني ام احملك فانه اراد اتحدثني ام احدثك
حتى نقطع الطريق بالحديث واما قوله اترى هذا الزرع اكل
فانه اراد هل ربه استسلف ثمنه ام لا واما استفهامه عن
حياة صاحب الجنازة احي هو ام لا فانه اراد به اخلف
عقبا يحيي ذكره به ام لا فلما خرج الى الرجل حدثه بتأويل ابنته
كلامه فخطبها اليه فزوجه اياها فلما سار بها الى قومه وخبروا
ما فيها من الدهاء والفطنة قالوا وافق شن طبقة فسارت
مثلا وحكي ان الاصمعي سئل عن تفسير هذا المثل فقال
اظن الشن وعاء من ادم كان قد استشن فلما اتخذ له غطاء
وافقه فضرب فيه هذا المثل واما حداء وبندقة فانه تقال
في المثل المضروب لمن يفزع بعدوه او يبتلى بنظيره حدا
حداء وراءك بندقة وكان الاصل حداة باثبات الهاء
فرخم في النداء وقد اختلف في المراد بهما فقيل هما الطاير
المعروف وبندقة الرامي وقيل انهما قبيلتان من سعد العشيرة
فاغارت حداء وكانت تنزل بالكوفة على بندقة وكانت تنزل
باليمن فنالت منهم ثم كرت بندقة على حداءة فاثخنت عليهم ورد
بعضهم هذا المثل حدا حدا غير مهموز على مثال عصا وقفا
وزعم انه اسم القبيلة واما قوله اخطأت استكما الحفرة فانه مثل

يضرب

يضرب لمن يخطي في مقصده ويضع الشيء في غير موضعه
واما قوله طلسم وطرسم فمعنى طلسم كره وجهه ومعنى
طرسم اطرق واخرنظم وبرطم اي غضب مع تكبر وبرطم
اي غضب مع تعبس وقوله همهم وغمغم اي لم يبين الكلام

المقامة الحادية والاربعون

حدث الحرث بن همام قال طغت دواعي التصابي في علوا
شبابي فلم ازل زير الغيد واذنا لكل عاريد الى ان وافى
النذير وولى العيش النضير فوثبت الى رشد الانتباه
وندمت على ما فرطت في جنب الله ثم اخذت في كسح الهنات
بالحسنات وتلافي الهفوات قبل الفوات فملت عن معاطاة
الغادات الى ملاقاة التقاة وعن مقاناة القينات
الى مداناة اهل الديانات واليت ان لا اصحب من نزع عن
الغي وفا مئزره الى الطي وان لقيت من هو خليع الرسن
مريد اللسن انايت داري عن داره وفررت من عره
وعاره فلما القتني الغربة بتنيس واحلتني مسجدها الانيس
رأيت به ذا حلقة ملتحمة ونظارة مزدحمة وهو يقول
لجاش متين ولسان مبين مسكين ابن ادم واي مسكين
ركن من الدنيا الى غير ركين واعتصم منها بغير مكين وذبح
من حبها بغير سكين يكلف بها لغباوته ويكلب عليها
لشقاوته ويعتد فيها بمفخرته ولا يتزود منها لاخرته
اقسم بمن مرج البحرين ونور القمرين ورفع قدر الحجرين

لو عقل ابن آدم لما نام ولو افتكر فيما قدم لبكى الدم
ولو ذكر المكافاة لاستدرك ما فات ولو نظر في المآل
لحسن قبيح الاعمال يا عجبا كل العجب لمن يقتحم ذات اللهب
في اكتناز الذهب وخزن النشب لذوي النسب ثم من
البدع العجب ان يعظك وخط المشيب ويؤذن شمسك
بالمغيب ولست ترى ان تنيب وتهذب المعيب ثم اندفع
ينشد انشاد من يرشد

يا ويح من انذره شيبه ... وهو على غي الصبى منكمش
يعشو الى نار الهوى بعدما ... اصبح من ضعف القوى يرتعش
ويمتطي اللهو ويعتده ... اوطأ ما يفترش المفترش
لم يهب الشيب الذي ما رأى ... لحومه ذو اللب الا دهش
ولا انتهى عما نهاه النهى ... عنه ولا بالى بعرض خدش
فذاك ان مات فسحقا له ... وان يعش فهو كمن لم يعش
لا خير في محيا امرئ نشره ... كنشر ميت بعد عشر نبش
وحبذا من عرضه طيب ... يروق حسنا مثل برد رقش
فقل لمن قد شك في ذنبه ... هلكت يا مسكين او تنتعش
فاخلص التوبة تطمس بها ... من الخطايا السود ما قد نقش
وعاشر الناس بخلق رضى ... ودار من حاش ولم يطش
وارش جناح الحر ان حصه ... زمانه لا كان من لم يرش
وانجد الموتور ظلما فان ... عجزت عن انجاده فاستجش
وانفس اذا ناداك ذو كربة ... عساك في الحشر به تنتعش

وهاك

وهاك كاس النصح فاشرب وجد ... بفضلة الكاس على من عطش

قال فلما فرغ من سبكاته وقضى انشاد ابياته نهض صبي
قد شدن واعرى البدن وقال يا ذوي الحصاة والحفاة
الى الوصاة قد وعيتم الانشاد وفهمتم الارشاد فمن
نوى منكم ان يتقبل ويصلح المستقبل فليبن بري عن نيته
ببري عن نيته ولا يعدل عني بعطيته فوالذي يعلم الاسرار
ويغفر الاصرار ان سري لكاتم وان وجهي ليستوجب
الصون فاعينوني رزقتم العون قال واخذ الشيخ فيما يعطف
عليه القلوب ويسني له المطلوب حتى ابتز حفوه واعشوشب
قفره فلما ان ترع الكيس انصلت يميس وكاد يتبع ولم يجل
للشيخ المقام بعد ما انصاع الغلام فاستدفع الايدي
للدعاء ثم نحا نحو الاكفاء قال الراوي فارتحلت الى ان
العجمة واحتجت مترجمة فتبعته وهو يشتد في سمته ولا يفتق
رتق صمته فلما امن المفاجي وامكن التناجي لفت جيده
الي وسلم تسليم البشاشة علي ثم قال اراك دكاتك
الشوذين فقلت اي نعم والمؤمن المهيمن قال انه فتى الزوج
ومخرج الدر من اللجج فقلت اشهد انك شجرة ثمرة وشواظ
شرارة فصدق كهانتي واستحسن ابانتي ثم قال هل لك في
ابتدار البيت لنتنازع كاس الكميت فقلت له ويلك اتأمرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم فافتر افترار متضاحك ومر
غير مماحك ثم بدا له ان تراجع الي وقال احفظها عني وعلي

اصرف بجرف الراح عنك الاسى وروح القلب ولا تكمت
وقل لمن لامك فيما به تدفع عنك الهم قد كاتيب
ثم قال اما انا فانطلق الى حيث اصطبح واغتبق واذا
كنت لا تصحب ويلايم من يطرب فلست لي برفيق ولا طريقك
لي بطريق فخل سبيلي ونكب ولا تنق محنتي ولا تنقب
ثم ولى مدبرا ولم يعقب قال الحرث بن همام فالتهبت وجدا
عند اطلاقه ووددت لو لم الاقه

المقامة الثانية والاربعون

حكى الحرث بن همام قال ترامت بي مرامي النوى ومسارى
الهوى الى ان صرت بن كل تربة واخا كل غربة الا اني لم اكن
اقطع واديا ولا اشهد ناديا الا لاقتباس الادب المسلي
عن الشجن المغلي قيمة الانسان حتى عرفت لي هذه الشنشنة
وتناقلتها عني الالسنة وصارت اعلق بي من الهوى
ببني عذرة والشجاعة بال ابي صفرة فلما القيت الجران
بنجران واصطفت بها الخلان والجيران تخذت انديتها
معترى ومواسم فكاهتي وسمري فكنت اتعهدها صباح
مساء واظهر فيها على ما ستره وساء فبينما انا في ناد محشود
ومحفل مشهود اذ جثم لدينا هم عليه هدم فحيا تحية ملق
بلبغ ذلق ثم قال يا بدور المحافل وبحور النوافل قد تبين الصبح
لذي عينين ونابت العيان مناب عدلين فما ذا ترون فيما
الحسنون العون ام تناون اذ تدعون فقالوا له تالله لقد

غبطت
غبطت ورمت ان تنبط فغضت فناشدهم الله عما
صدهم حتى استوجب ردهم فقالوا انا نتناضل بالالغاز
كما يتناضل يوم البراز فما تمالك ان تبعث من المفضول
والحق هذا الفضل بنمط الفضول فلسنه لسن القوم وجزوه
بالسنة اللوم واخذ هو يتنصل من هفوته ويتندم على
فوهته وهم مضبون على مواخذته وملبون داعي منابذته
الى ان قال لهم يا قوم ان الاحتمال من كرم الطبع فعدوا
اللذع والقذع ثم هلم الى ان نلغز ونحكم المبرز فسكن
عند ذلك توقدهم واتلت عقدهم ورضوا بما شرط عليهم
ولهم واقترحوا ان يكون اولهم فاسكت ريثما يعقد شسع
او يشد نسع ثم قال اسمعوا وقيتم الطيش وملتيم العيش
وانشد ملغزا في مروحة الخيش وجارية في سيرها مشمعلة ولكن
على اثر المسير قفولها لها سابق من جنسها يستحثها على انه
في الاحتثاث رسيلها ترى في اوان القيظ تنطف بالندى
ويبدو اذا ولى المصيف نحولها ثم قال وهاكم يا اولي الفضل
ومراكز العقل وانشد في جابوك النخل ومنتسب الى ام
تنشا اصلها منها
يعانقها وقد كانت نفته برهة عنها
بريتوصل الجاني ولا يلحى ولا يهنه
ثم قال ودونكم الخفية العلم المعتكرة الظلم وانشد
ملغزا في القلم

وما موموق به عرف الامام   كما باهت بصحبته الكرام
له اذ يرتوي طيش النشاوى   ويسكن حين يعروه الاوام
ويذري حين يستسقي دموعا   يرقن كما يروق الابتسام

ثم قال وعليكم بواضحة الدليل الفاضحة ما قيل وانشد ملغزا في الميل

وما ناكح اختين جهرا وخفية   وليس عليه في النكاح سبيل
متى يغش هذي يغش في الحال هذه   وان مال بعل لم يجده يميل
يزيدهما عند المشيب تعهدا   وبرا وهذا في البعول قليل

ثم قال وهذه يا ذوي الالباب معيار الاداب وانشد ملغزا في الدولاب

وجاف وهو موصول   وصول ليس بالجافي
غريق بارز فاعجب   له من راسب طاف
يسح دموع مهضوم   ويهضم هضم متلاف
ويخشى منه حدته   ولكن قلبه صاف

قال فلما رشق بالخمس التي تنسق قال يا قوم تدبروا هذه الخمس واعقدوا عليها الخمس ثم روّوا رايكم وضموا الذيل او الازدياد من الكيل قال فاستفزت القوم شهوة الزيادة على ما اشتروا من البلادة فقالوا لو الفنا وقوفا دون خدرك ليقصرنا عن استيراء زندك فان اتممت عشرا فمن عندك فاهتز اهتزاز من فلج سهمه وانخزل خصمه ثم افتتح النطق بالبسملة وانشد ملغزا في المرملة

ومسرورة

ومسرورة مغبوقة طول دهرها   وما هي تدري ما السرور ولا الغم
تقرب احيانا لاجل جنينها   وكم ولد لولاه طلقت الام
وتبعد احيانا وما لعهدها   وابعاد من لم يستحق عهده ظلم
اذا قصر الليل استلذ وصالها   وان طال لا اعراض عن وصلها الغم
لها ملبس باد انيق مبطن   يزر ولكن لم يزر به الحكم

ثم كشر عن انيابه الصفر   وانشد ملغزا في الظفر

ومرهوب الشبا نام   وما يرعى ولا يشرب
يرى في العشر دون النحر   فاسمع وصفه واعجب

ثم تحازر تحازر العفرت   وانشد ملغزا في طاقة الكرث

وما محصورة تدنى وتقصى   وما منها اذا افكرت بد
لها راسان مشتبهان جدا   وكل منهما لاخيه ضد
تعذب ان جنا خصب وتلغى   اذا عدم الخضاب ولا تعد

ثم تخمط تخمط القروم   وانشد ملغزا في حلب الكرم

وما شيء اذا فسدا   تحول غيه رشدا
وان هو راق او صفا   اثار الشر حيث بدا
زكي العرق والده   ولكن بئس ما ولدا

ثم اعتضد عصا التيار   وانشد ملغزا في الطيار

وذي طيش شقيه مائل   وما عابه بها عاقل
يرى ابدا فوق علية   كما يعتلي الملك العادل
تساوي لديه الحصى والنضار   وما يستوي الحق والباطل
واعجب اوصافه ان نظرت   كما ينظر الكيس الفاضل

تراضى الخصوم به حاكماً   وقد عُفّ فوه انه مائل

قال فظلت الافكار تهيم في اودية الاوهام وتجول جولان المستهام الى ان طال الامد وحصحص الجحد فلما راهم يزيدون ولا يبينون ويقضون النهار بالمنى قال يا قوم الام تنظرون وحتام تتنظرون الم يان لكم استخراج الخبي او استسلام الغبي فقلنا له لقد اغوصت ونصبت الشرك فقنصت فتحكم كيف شئت وحكم في الغنم والصيت ففرض عن كل معمّى فرضاً واستخلصه منهم نضّاً ثم فتح الاقفال وهيم الاغفال وجاوز الاجفال فاعتلق به مدرة القوم وقال له لا البث بعد اليوم فاستمليت قبل الانطلاق وهمها صنعة الطلاق فاطرق حتى قلت مريب ثم انشد والدمع مجيب

سروج مطلع شمسي   وربع لهوي وانسي

لكن حرمت نعيمي   بها ولذة نفسي

واعتضت عنها اغترابا   اتربوحي وامسي

مالي مقر بارض   ولا قرار لعنسي

يوما بنجد ويوما   بالشام اضحي وامسي

ولا ابيت وعندي   فلس ومن لي بفلس

ومن يعش مثل عيشي   باع الحياة ببخس

ثم انه احتبن خلاصة النض ونبذ رتًّا في الارض فناشدناه ان يعود واستتبناه الوعود فلا وابيك ما رجع ولا الترغيب له نجع

المقامة الثالثة والاربعون

اخبر الحرث بن همام قال هفا بي البين المطوح والسير المبرح الى ارض يضل بها الخريت وتفرق فيها المصاليت فوجدت ما يجد الحائر الوحيد ورايت ما كنت منه احيد الا اني شجعت قلبي المزؤود ونشطت نضوي المجهود وسرت سير الضابع بقدحين المستسلم للحين ولم ازل بين وخد وذميل واجازة ميل بعد ميل الى ان كادت الشمس تجب والضيا يحتجب فارتعت لافضاء الظلام واقتحام جيش حام ولم ادر اكفت الذيل وارتبط ام اعتمد الليل واختبط وبينا انا اقلب العزم وامتخض الحزم ترااى لي شيخ جمل مستذر بجنب ضرحبة قعدة مريح وقعدة قصر مشيخ فاذا النفس كهانة والعقدة عزانة والمريح قذاذ ومن بحاده والكبحى برقاده فجلست عند راسه حتى هب من نعاسه فلما ازدهر حاجاه واستبان من فاجاه نغر كما ينفر المريب وقال اخول ام الذيب فقلت بل خابط ليل ضل المسلك فاضئ اقدح لك فقال ليسر همك فرب اخ لم تلده امك فالسرى عند ذلك اشفاقي وسرى الوسن الى ماقي فقال عند الصباح يحمد القوم السرى فهل ترى كما ارى فقلت اني لك لا اطوع من حذائك بدا ووفق من غذائك فصدع بمجتبى ونخخ بصحبتي ثم احتملنا مجدين وارتحلنا متدلجين ولم نزل نتعاطى السرى ونعاصي الكرى الى ان بلغ

اللّيل غايته ورفع الفجر رايته فلمّا اسفر الفاضح ولم يبق
الّا واضح توسّمت رفيق رحلتي وسمير ليلتي فاذا هو
ابو زيد مطلب النّاشد ومعلّم الرّاشد فتهادينا
تحيّة المحبّين اذا التقيا بعد البين ثمّ تباثثنا
الاسرار وتناثثنا الاخبار وبعيري يخط من الكلال
وراحلته ترف زفيف الرّال فاعجبني اشتداد اسرها
وامتداد صبرها واخذت استكشف جوهرها واسائله
من اين تخيّرها فقال انّ لهذه النّاقة خبرًا حلو المذاقة
مليح السّياقة فان احببت استماعه فانخ وان لم تشأه
فلا تصخ فانخت لقوله تصوّبا واهدفت السّمع لما يرويه
فقال اعلم انّي استعرضتها بحضرموت وكابدت في
تحصيلها الموت وما زلت اجوب عليها البلدان واطس
بها الظّراب الى ان وجدتها عبر اسفار وعدّة فرار
لا يلحقها العناء ولا تواهقها الوجناء ولا تدري
ما الهناء فارصدتها للخير والشّر واحللتها محلّ البرّ
الاسرة فاتّفق ان ندّت منذ مدّة وما سواها عدّة
فاستشعرت الاسف واستشرفت التّلف ونسيت
كلّ زرّ وسلف ومكثت ثلاثًا لا استطيع انبعاثًا ولا اطعم
النّوم الّا غثاثًا ثمّ اخذت في استقراء المسالك وتفقّد
المسارح والمبارك وانا لا استنشي منها ريحًا ولا استغشي
باسا مريحًا وكلّما ذكرت مضاءها في السّير وانبراءها للمباراة

الطّير لاعني الادّكار واستهوتني الافكار فبينا انا
في جواد لبعض الاحياء اذ سمعت من شخص متبعّد وصوت
منجد من ضلّت له مطيّة حضرميّة وطيّة جلدها قد وسم
ووبرها قد جسم وزمامها قد ضفر وظهرها كان كسيرًا فجبر
تزين الماشية وتعين النّاجية وتقطع المسافة
النّائية وتطل ابدا الكدانية لا يعتورها الوجى
ولا يعترضها الونى ولا تحوج الى العصا ولا تعصي فيمن
عصى قال ابو زيد فجذبني الصّوت الى الصّائت وبشّرني
بدرك الفائت فلمّا افضيت اليه وسلّمت عليه قلت له سلّم
المطيّة وتسلّم العطيّة فقال وما مطيّتك عفت خطيّتك
قلت ناقة جثّتها كالهضبة وذروتها كالقبّة وحلبها
ملء العلبة وكنت اعطيت بها عشرين اذ حللت بيبرين فاستزدت
الّذي اعطى ودريت انّه اخطأ قال فاعرض حين سمع صفتي
وقال لست بصاحب لقطتي فاخذت بتلابيبه واصررت
على تكذيبه وهممت بتمزيق جلابيبه وهو يقول يا هذا ما طيّتي
بطيّتك فاكفف من غربك واغد عن سبّك والّا فقاضني
الى حكم هذا الحيّ البريّ من الغيّ فان اوجبها لك فتسلّم وان
زواها عنك فلا تتكلّم فلم ار دواء قصّتي ولا مساغ غصّتي
الّا في التّحاكم ولو الى الظّالم فانطلقنا الى شيخ ركين النّصبة انيق
العصبة يؤنس منه سكون الطّائر وان ليس بالجائر فاندرأت
اتظلّم واتالّم وصاحبي مزمزم لا يترمرم حتّى اذا نثلت كنانتي

وقصيت من القصص لب نخي ابرز نغل رزينة
الوزن محذوة لمسلك الحزن وقال هذه التي عرفت
واتاها وصفت خان كانت هي التي اعطي بها عشرين
وما هو من المبصرين فقد كذب في دعواه وكبر ما افتراه
اللهم الا ان يصدقه الله ويبين مصداق ما قاله فقال الحكم اللهم
عفوا وجعل يقلب النعل بطنا وظهرا واما هذه النعل
فنعلي واما مطيتك ففي رحلي فانهض لتسلم ناقتك وافعل
الخير تجب طاقتك فقمت وقلت

اقسم بالبيت العتيق ذي الحرم
والطائفين العاكفين في الحرم
انك نعم من اليه يحتكم وخير قاض في الاعاريب حكم
فاسلم ودم دوم النعام والنعم فاجاب من رويته ولا
عقد نية وقال

جزيت عن شكرك خيرا يا ابن عم   اذ لست استوجب شكرا يلتزم
شر الانام من اذا استقضي ظلم   ثم من استرعى فلم يرع الحرم
فذاك والكلب سواء في القيم

ثم انه نفذ بين يدي من سلم الناقة الي ولم يمتن علي
فرحت اجر ذيل الطرب واقول يا للعجب قال الحرث بن همام
فقلت له تالله لقد اطرفت وبهرت بما عرفت فناشدتك
الله هل لقيت اسحر منك بلاغة واحسن للفظ صناعة فقال
اللهم نعم فاسمع وانعم كنت عزمت حين اتهمت على ان اتخذ

ضعينة

ضعينة لتكون لي معينة فحين تعين الخطب وكاد الامر
يستتب ابكرت فكر المتحرز من الوهم المتأمل كيف يسقط
السهم وبت ليلتي اناجي القلب المعذب واقلب العزم
المذبذب الى ان اجمعت على ان استحر واستشير من ابصر
فلما قوضت الظلماء اطنابها وولت الشهب اذنابها
غدوت غدو المتعرف وابكرت ابتكار المتعسف فانبرى
لي يافع في وجهه شافع فتيمنت بمنظره البهيج واستفتحت
رايه في التزويج فقال وتبغيها عوانا ام بكرا فقانا
فقلت اختر لي ما ترى فقد القيت اليك العرى فقال
الي البنيين وعليك التعيين فاسمع انا فديتك بعد
دفن اعاديك اما البكر فالدرة المخزونة والبيضة المكنونة
والباكورة الجنية والسلافة الشهية والروضة الانف
والطوق الذي ثمن وشرف لم يدنسها لامس ولا استغشاها
لابس ولا مارسها عابث ولا وكسها طامث ولها وجه الحيي
والطرف الخفي واللسان العيي والقلب النقي ثم هي الدمية
اللاعبة واللعبة المداعبة والغزالة المغازلة والملحة
الكاملة والوشاح الطاهر والقشيب والضجيع الذي
تشب ولا يشيب واما الثيب فالمطية المذللة واللهنة
المعجلة والبغية المسهلة والطبة المعللة والقرينة
المتحببة والخليلة المتقربة والصناع المدبرة والفطنة
المختبرة ثم هي عجالة الراكب وانشوطة الخاطب وقعدة

العاجز ونهزة المبارز وعريكتها لينة وعقلتها هينة
ودخلتها متبينة وخدمتها مزينة واقسم لقد صدقت
في النعتين واجليت المهاتين فبايهما هام قلبك وعلى ايهما
قام زندك قال ابو زيد فرأيته جندلة تتقيها المراجم وتدمى
منها المحاجم الا اني قلت له كنت سمعت ان البكر اشد حبًّا
واقل خبًّا فقال قد لعمري قيل هذا ولكن كم قول آذى
ويلك اما هي المهرة الابية العنان والمطية البطيئة الاذعان
والزندة المتعسرة الاقتداح والقلعة المستصعبة الافتتاح
ثم ان مؤونتها كثيرة ومعونتها يسيرة وعشرتها صلفة
ودالتها مكلفة ويدها خرقا وفتنتها صمّا وعريكتها خشنا
وليلتها ليلا وفي رياضتها عنا وعلى خبرتها غطا
وطالما اخزت المنازل وفركت المغازل واحنقت الهازل
واضرعت الفنيق البازل ثم انها التي تقول انا البس واجلس
فاطلب من يطلق ويحبس فقلت له فما ترى في الثيب يا ابا الطيب
فقال ويك اترغب في فضلة المآكل وثمالة المناهل واللباس
المستبذل والوعاء المستعمل والذواقة المتطرفة والخراجة
المتصرفة والوقاح المتسلطة والمحتكرة المتسخطة
ثم كلمتها كنت وصرت وطالما بغي علي فنصرت وشتان بين
اليوم وامس واين القمر من الشمس وان كانت الحنانة البروك
او الطماحة الهلوك فهي الغل القمل والجرح الذي لا يندمل
فقلت له فهل ترى ان اترهب واسلك هذا المذهب فاشتهي

انتهار المؤدب عند زلة المتأدب ثم قال ويلك اتقتدي
بالرهبان والحق قد استبان اف لك وللوهن رأيك وتبا لك
ولاولئك اتراك ما سمعت بان لا رهبانية في الاسلام
او ما حدثت بتناكح نبيك عليه افضل السلام ثم اما تعلم ان السكن
الصالحة ترب بيتك وتلبي صوتك وتغض طرفك وتطيب
عرفك وبها ترى قرة عينك وريحانة انفك وفرحة قلبك
وتعلة يومك وغدك فكيف رغبت عن سنة المرسلين ومتعة
المتأهلين وشرعة المحصنين ومجلبة المال والبنين والله
لقد ساءني فيك ما سمعت منك ثم اعرض اعراض المغضب
ونزا نزوان الغضب فقلت له قاتلك الله اتنطلق متنخرا
وتدعي تحيرا افتظنك تدعي الخبرة لتجلد غميرة وتستغني
عن المهيرة فقلت له قبح الله ظنك ولا اشتب قرنك
ثم رحت عنه مراح الخزيان ونبت من مبتدرة الصبيان
قال الحرث بن همام فقلت اقسم بمن انبت الايك ان
الجدل منك واليك فاغرب في الضحك وطرب طربة المنتهك
ثم قال العق العسل ولا تسل فاخذت اسهب في مدح الادب
وافضله على ذي النشب وهو ينظر الي نظر المتجاهل
ويغضي عني اغضاء المتمهل فلما افرطت في العصبية للعصبية
الادبية قال لي صه واسمع مني وافقه

يقولون ان جمال الفتى … وزينته ادب راسخ
وما ان يزين سوى المكثرين … ومن طود سؤدده شامخ

فما الفقير بحيز له من الادب القرض والكامخ
واى جمال له ان يقال اديب يعلم او ناسخ

ثم قال سيضح لك صدق لهجتى واستنتاج حجتى وسرنا لا نألو جهدًا ولا نستفيق جهدًا حتى اذا انأى السير الى قرية عزب عنها الخير فدخلناها للارتياد وكلانا منقض من الزاد فلما ان بلغنا المحط والمناخ المختط لقينا غلام لم يبلغ الحنث وعلى عاتقه ضغث فحياه ابو زيد تحية المسلم وسأله وقفة المتفهم فقال وعم تسأل وفقك الله قال ابتاع هاهنا الرطب بالخطب قال لا والله قال ولا البلح بالملح قال كلا والله قال ولا الثمر بالسمر قال هيهات والله قال ولا العصائد بالقصائد قال اسكت عافاك الله قال ولا الثرائد بالفرائد قال اين يذهب بك ارشدك الله قال ولا الدقيق بالمعنى الدقيق قال عد عن هذا اصلحك الله واستحلى ابو زيد تراجع السؤال والجواب والتحلى من هذا الجواب ولمح الغلام ان الشوط بطين والشيخ شيطين قال حسبك يا شيخ قد عرفت فنك واستبنت انك تحذ الجواب ضبرة والكنف به خبرة اما اهل هذا المكان فلا يشترى الشعر بشعيرة ولا النثر بنثارة ولا القصص بقصاصة ولا الرسالة بغسالة ولا حكم لقمان بلقمة ولا اخبار الملاحم بلحمة واما جيل هذا الزمان فما فيهم من يميح اذا صيغ له المديح ولا من يجيز اذا نظمت له الاراجيز

ولا من

ولا من يغيث اذا اطربه الحديث ولا من يمير ولو انه امير وعندهم ان مثل الاديب كالربع الجديب ان لم يجد الربع ديمة لم تكن له قيمة ولا دانته بهيمة وكذا الاديب ان لم يعضده نشب فدريته بضب وجونه حصب ثم انشد ريعد وادو تلى يجد وقال لى ابو زيد علمت الادب قد بار وولت انصاره الادبار فبوئت له الحس البصيرة وسلمت لحكم الضرورة فقال لى عنا الكف من الصاع وفض فى حديث القصاع واعلم ان الاجاع لا تشبع من جاع فما التدبير فيما يمسك الرمق ويطفى الحرق فقلت الامر اليك والزمام بيديك فقال ارى ان ترهن سيفك لتشبع جوفك وضيفك فنا وليه واقم لانقلب اليك بما تلتقم فاحسنت به الظن وقلدته السيف والرهن فما لبث ان ركب الناقة ورفض الصدق والصداقة فمكثت مليًا ارتقبه ثم نهضت اتعقبه فكنت كمن ضيع اللبن فى الصيف ولم القه ولا السيف

المقامة الرابعة والاربعون

حكى الحرث بن همام قال شتوت فى ليلة داجية الظلم فاحمة اللمم الى نار تضرم على علم وتخبر عن كرم وكانت ليلة جوها مقرور وجيبها مزرور ونجمها مغموم وغيمها مركوم وانا فيها اصرد من عين الحرباء

والعنز الجرباء فلم ازل انص عيسى واقول طوبى
لك ولنفسي الى ان تبصر الموقد الى وتبين ارقالي
فالحذ ربعد والخزاء وينشد مرتجزا

حييت من خابط ليل سار … هداه بل اهداه ضوء النار
الى رحيب الباع رحب الدار … يرحب بالطارق والممتار
ترغاب جعد الكف بالدينار … ليس بمزور عن الزوار
ولا بمعتام القرى مختار … اذا اقشعرت ترب الاقطار
وصبت الانواء بالامطار … فهو على بؤس الزمان الضار
جم الرماد مرهف الشفار … لم يخل في ليل ولا نهار
من نحر وار واقتداح وار

ثم تلقاني بمحيا حيي وصافحني براحة اريحي واقتادني
الى بيت غشاره تخور واعشاره تفور وولايده
تمور وموايده تدور وناكساره اضياف قد جلبهم
جالبي وقلبوا في قالبي وهم يجتنون فاكهة الشتاء
ويمرحون مرح ذوي الفتاء فاخذت ماخذهم في
الاصطلاء ووجدت بهم وجد الثمل بالطلاء ولما انبرى
الحصر وانبرى الخضرة اتينا بموايد كالهالات
دورا والروضات نورا وقد سيجن باطعمة الولايم
وحمين من العايب واللايم فرفضنا ما قيل في البطنة
ورأينا الامعان فيها من الفطنة حتى اذا اكتلنا

بصاع الحطم

بصاع الحطم واشفينا على خطر التخم تبوأنا مقاعد السمر واخذ كل منا
يشول بلسانه وينشر ما في صوانه ما عدا شيخا مشتعلا
فوداه مخلولقا برداه فانه ربض حجرة واوسعنا
هجرة فغاظنا تجنبه الملتبس موجبه المعذور فيه
سؤ نبه الا انا التاله القول وحشينا في المسئلة الغول
وكلما رمنا ان يفيض كما فضنا او يفيض كما افضنا
اعرض اعراض العيية عن الازدلين وتلا ان هذا الا
اساطير الاولين ثم كان الحمية هاجته والنفس الابية
ناجته فدلف وازدلف وخلع الصلف وبذل ان
يلافي ما سلف ثم استدعى سمع السمر واندفع كالسيل
المهامر وقال عندي اعاجيب ارويها بلا كذب على العيان
فكنوني ابا العجب

رأيت يا قوم اقواما غذاؤهم … بول العجوز وما اعني ابنة العنب

بول العجوز لبن البقرة والعجوز ايضا من اسماء الخمر

ومسنتين من الاعراب قوتهم … ان يشتو وخرقة يغني من السغب

الخرقة القطعة من الجراد

وكاتبين وما خطت اناملهم … حرفا ولا قرؤا ما خط من الكتب

الكاتبون الخرازون يقال كتب السقاء والمزادة اذا خرزها

وتابعين عقابا في مسيرهم … على تحمتهم في البيض واليلب

العقاب الراية وكانت راية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

تسمى العقاب ومنتدين ذوى نبل بدت لهم
نبيلة فانتنوا منها الى الهرب
النبيلة الجيفة ومنها تنبل البعير اذا مات واروح
وعصبة لم تر البيت العتيق وقد
حجت حجيًّا بلا شك على الركب
معنى حجت حجيًّا اى غلبت بالحجة مجادلين جاثين على الركب
وجثى جمع جاث ولنسوة بينما ادلجن من حلب
صبحن كاظمة من غير ما تعب
كاظمة فى هذا الموضع يعنى كاظمة الغيظ اى متجرعته
ومدلجين سروا من ارض كاظمة
واصبحوا حين لاح الصبح فى حلب
اى اصبحوا يحلبون اللبن وقادرين متى ما ساء صنعهم
وقصروا فيه قالوا الذنب للحطب
القادر الطابخ فى القدر والقدير المطبوخ فيها
ويافع لم يلامس قط غانية شهدته وله نسل من العقب
النسل ها هنا العدو ومنه قوله تعالى من كل حدب ينسلون
موخر القدم والعقب وشايبا غير محتف للمشيب بدا
فى البدو وهو فتى السن لم يشب
الشايب ها هنا مازج اللبن والمشيب اللبن الممزوج
يقال فيه مشوب ومشيب
ومرضع بلبان لم يفه فمه رأيته فى شجار بين الشبب

الشجار المحففه

الشجار المحففه ما لم يكن مظلة فان ظللت فهى الهودج
والشبب ها هنا الحبل ومنه قوله تعالى فليمدد بسبب
الى السماء وزارعًا ذروة حتى اذا حصدت
صارت غبيراء يهواها اخو الطرب
الغبيراء السكر المتخذ من الذرة وفى الحديث اياكم والغبيراء
وتسمى السكرة ايضًا وراكضًا وهو مغلول على فرس
قد غل ايضًا وما ينفك من خبب
المغلول ها هنا العطشان وقد غل اى عطش
وزايد طلق تقتاد راحته مستعجلا وهو ماسور اخو كرب
الماسور الذى يجد الاسر وهو احتباس البول
وحابك ماشيا تهوى مطيته به وما فى الذى اوردت من ريب
الحابس الآتى نجدا والماشى الذى كثرت ماشيته وعليه فسر
قوله تعالى ان امشوا كانه دعا لهم بالنماء وكثرت الماشية
وحايكا اجذم الكفين ذا خرس فاعجبتهم كفكم فى الحلق من عجب
الحايك هاهنا الذى اذا مشى حرك منكبيه وفحج
وصادفا بالقنا من غير ان علقت
كفاه يومًا برمح لا ولم يثب
القنا ارتفاع الانف وتحدب وسطه وصدع به
اى كشفه وذا انشطاط كصدر الرمح قامته
صادفته بمنى يشكو من الحدب الحدب ما ارتفع من الارض
وساعيا فى مسرات الانام يرى افراحهم ماتما كالظلم والكذب

المراد بالافراح الاغزاف

افواههم الف لهم بالدين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
لا نجنَّكَ فى الاسلام مُفرخ ومعز ما لمناجاة الرجال له
وماله فى حديث الخلق من ارب الخلق هاهنا بمعنى الاختلاق
وهو الكذب ومنه قوله تعالى ان هذا الا خلق الاولين
وذا ذمام وفت بالعهد ذمته ولا ذمام له فى مذهب العرب
الذمام الثانى جمع ذمة وهى البئر القليلة الماء
وعنى بالمذهب المسلك اى ماله فى البدو ابار يهتدى
وذا القوى ما استبانت قط لينته ولينه مستبين غير محتجب
اللين النخل ومنه قوله تعالى ما قطعتم من لينة
وساجداً فوق فحل غير مكترث بما اتى بل يراه افضل القرب
الفحل الحصير المتخذ من فحال النخل
وعاذراً امو لما من ظل يعذرج مع التلطف والمعذور فى صخب
العاذر الخاتن والمعذور المختون
وبلدة ما بها ماء لمغترف والماء يجرى عليها جرى منسرب
البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى ايضا البلجة
وقرية دون افحوص القطا نخت بديم عيشهم من خلسة السلب
القرية بيت النمل والديم النمل الكثير
وكوكب يتوارى عند رؤيته الانسان حتى يرى فى منع الحجب
الكوكب النكتة البيضاء التى تحدث فى العين والانسان
هاهنا انسان العين وروثة قومت مالا له خطر
ونفس صاحبها بالمال لم تطب

الروثة مقدم الانف
وصحفة من نضار خالص شربت بعد الكاس بقيراط من ذهب
النضار هاهنا شجر النبع ومنه قول ابرهيم النخعى
لا باس بان تشرب فى قدح النضار
ومستجيب لخشخاش ليدفع ما اظله من اعاديه فلم يجب
الخشخاش الجماعة عليهم دروع واسلحة
وطالما مرّ كلب فى فمه ثور ولكنه ثور بلا غضب
الثور القطعة من الاقط
وكم رأى ناظرى فيلا على جمل وقد تورك فوق الرحل والقتب

وعاينت مقلتى عينين ماؤهما يجرى من الغرب والعينان فى حلب
الغرب مجرى الدمع والعينان هاهنا المقتتان
وحلب البلدة المعروفة
وكم لقيت بعرض البيد مشتكيا وما اشتكى قط فى جد ولا لعب
المشتكى المتخذ شكوة وهى القربة الصغيرة
وكنت ابصرت كرار الراعية بالبدو ينظر من عينين كالشهب
الكرار كبش يحمل عليه الراعى اداته
وكم نزلت بارض لا نخيل بها وبعد يوم رأيت البسر فى القلب
البسر جمع بسرة وهى الماء الحديث العهد بالمطر والقلب
جمع قليب وكم رأيت باقطار الفلا طبقا
يطير فى الجو منصبا الى صبب

الطبق القطعة من الجراد

وكم مشيخ في الدنيا رأيتهم   مخلدين ومن يخبوا من العطب

المخلد الذي ابطا شيبه

وكم بدا لي وحش يشتكي سغبا   بمنطق ذلق امضى من القضب

الوحش الرجل الجايع

وكم دعاني مستنبح فجاذبني   وما اخل ولا اخللت بالادب

المستنبح الجالس على نجوة   وهي المكان المرتفع

وكم الحت قلوصي تحت جنبذة   تظل ما شيت من عرب ومن عرب

الجنبذة القبة   والعرب جمع عروب   وهي المتحببة

الى زوجها

وكم نظرت الى من سرت غرته   ودمعه مستهل القطر كالسحب

سُرّ اي قطع سرره وسرته ويسمى ما يبقى بعد القطع السرة

وكم رأيت قميصا ضر صاحبه   حتى انثنى واهي الاعضا والعصب

القميص الدابة الكثيرة القماص

وكم ازار لوات الدهر اتلفه   لهى لبد حثيث السير مضطرب

الازار المراة   ومنه قول الشاعر ابي المنهال الاشجعي ويكنى

ابا نقيلة   يدي لك من اخي ثقة ازاري

هذا وكم من افانين معجبة   عندي ومن ملح تلهي ومن نخب

فان فطنتم للحن القول بان لكم   صدقي وذلكم طلعي على رطبي

وان شدهتم فان العار فيه على   من لا يميز بين العود والخشب

قال الحارث ابن همام فطفقنا نخبط في تقليب قريضه

وتاويل معاريضه

وتاويل معاريضه وهو يلهوب لهو الخلي بالشجي ويقول

ليس لعشك فادرجي الى ان تعسر النتاج واستحكم

الارتتاج فالقينا اليه المقادة وخطبنا منه

الافادة فوفقنا بين الطمع باللبس وقال الابس

قبل الاقتباس فعلمنا انه ممن يرغب في التحكم ويرتشي

على الحكم وسوانا ان نعرض للغرم او نخيب بالرغم

فاحضر ناقة عيدية وحلة سعيدية وقال خذهما

حلالا ولا تزنا اضيا في زناكا فقال اشهد انها

شنشنة اخزمية واريحية حاتمية ثم قابلن

بوجه بشره يشف ولضرته ترف وقال يا قوم

ان القوم قد احلوذوا والنعاس قد استحوذ فافزعوا

الى المراقد واغنموا راحة الراقد لتشربون نشاطا

وتبتعثوا انبساطا فتنفقوا ما افتر ويتسهل لكم المتعسر

فاستصوب كل ما راه وتوسد وسادة كراه فلما

وسنت الاجفان واغفت الضيفان وثب الى الناقة

فرحلها ثم ارتحلها وقال مخاطبا لها

سروج يا ناق وسيري وخدي   وادلجي واوبي واسئدي

حتى تطا خفك رعاها الندي   فتنعمي حينئذ وتسعدي

وتامني ان تنهي وتجذي   ايه فدتك النوق جدي واجهدي

وفري اديم فدفد ففدفد   واقتني بالنشح عند المورد

ولا تخطي دون ذاك المقصد   فقد حلفت حلفة المجتهد

عز الروح

بجرة البيت الرفيع العمد — اما ان احللتني في بلدي

حللت مني بمحل الولد

قال فعلمت انه الشيخ الذي اذا باع اشبع
واذا ملا الصاع انضاع ولما انبلج صباح اليوم
وهب النوام من النوم اعلمتهم ان الشيخ حين اغتبقهم
الثبات طلق البتات وركب الناقة وفات
فاخذ ما قدم وما حدث ونسوا ما طاب منه وخبث ثم
انشعبنا في كل مشعب تحت كل كوكب قال القاسم بن
علي رضي الله عنه قد فسرت ستر كل لغز تحته ولم ابعد
على من يقرؤه كشفه وقد بقيت الفاظ اشتملت عليها
هذه المقامة ربما التبس تفسيرها على بعض من تقع
اليه فاحببت ايضاحها له ليكفى حيرة الشبهة و
كلفة الفكرة وصمت البحث والمسئلة وبا قيد الاستغاثة
والقوة قوله عشوت الى نار يعني سرت نحوها
فقصدتها فان لم تقصدها قلت عشوت عنها
كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن اي من يعرض
وقوله اصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء هذان المثلان
يضربان لمن يبلغ منه البرد وذلك لان الحرباء تدور ابدا
مع الشمس وتستقبلها بعينها والعنز الجرباء لا تدفأ
في الشتاء لقلة شعرها وذكر بعضهم ان العنز الجرباء
تصحيف المثل الاول وقوله تحرو اي يعني بالبوارى

الجمل

الجمل المكتنز شحما الكثير مخا وقوله عثرت تجوز
واعشاره تنفور العشار النوق الحوامل والاعشار
البرمة العظيمة كانها شعبت لعظمها يقال برمة
اعشار وجفنة اكسار وثوب اسمال وبرد اخلاق
وحبل ارمام ووصف الجماعة منها كوصف الواحد و
قوله فاكهة الشتاء كنى بها عن النار ومنه قول المحدثين

النار فاكهة الشتاء فمن يرد — اكل الفواكه شاتيا فليصطل
ان الفواكه في الشتاء شهية — والنار للمقرور افضل ماكل

وقوله مواليد كالهالات يعني دارة القمر ودارة
الشمس تسمى الطفاوة وقوله نشوش الغمر يعني
المنديل يقال نششت يدي بالمنديل اي مسحتها ومنه
قول امرئ القيس

نمش باعراف الجياد اكفنا
اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وقوله استشهبا فؤاده اي صار من الشيب في لون الاشهب
ومنه قول امرئ القيس ايضا

قالت الخنساء لما جئتها شاب
بعدي راس هذا واشتهب

وقوله ربض حجرة يعني ناحية ويقال في المثل لمن يشارك
في الرخاء ويجانب عند البلاء ترتع وسطا وتربض
حجرة وقوله فاستدعى سمع السمار يعني السمار لان

فراحيه

السامر اسم للجمع كالحاضر اسم للحي النازلين على الماء
وكالباقر اسم لجماعة البقر وقال بعض اهل اللغة
هو اسم للبقر مع رعاتها واشتقاق السامر من
السمر وهو ظل القمر ماخوذ من السمرة فلما كان
غالب احوال السمار انهم يتحدثون في ظل القمر
اشتق لهم اسم منه والى هذا يرجع قولهم لا اكلمه
القمر والسمر وقوله ليس بعشك فادرجي هذا
مثل يضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له والعش ما يكون
في شجرة فان كان في حائط او كهف جبل فهو وكر
وقوله الايناس قبل الابساس هذا مثل ايضا ومعناه
انه ينبغي ان يونس الانسان ثم يكلف واصله ان حالب
الناقة يونسها حين يروم حلبها ثم يبس بها
للحلب والابساس ان يقول لها بس بس لتسكن وتدر
وتسمى الناقة التي تدر على الابساس المبسوس وقوله
يرغب في الشكم ما اعطيته على سبيل المجازاة
فان اعطيت مبتدءا فهو الشكد وقوله ساءنا مثوانا
يعني المضيف الذي آواه واليه وثوه عنده قوله
ناقة عيدية قيل انها منسوبة الى فحل منجب اسمه عيد
وقيل هي منسوبة الى نجد من مهرة وكانت مهرة وعيد
يتخذان نجائب الابل فنسبت اليهما وقوله حلة سعيدية
هي منسوبة الى سعيد بن العص وكان رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم كساه وهو غلام حلة فنسبت جنسها اليه
وقوله لا نرزأ اضيافي زبالا اي لا نرزاهم شيئا
ولو قل والاصل في الزبال ما تحمله النملة بفيها وقوله
شنشنة اخزمية اشار به الى المثل الذي ضربه جد
حاتم بن عبد الله بن سعيد بن الحشرج بن اخزم الطائي
حين نشأ حاتم وتقيل اخلاق جده اخزم في الجود
فقال شنشنة اعرفها من اخزم وتمثل عقيل بن
علفة به حين قال

ان بني ضرجوني بالدم ... من يلق آساد الرجال يكلم
شنشنة اعرفها من اخزم

ومن ادعى ان المثل له فقد سها فيه وقوله اجلوذ
اي اسرع في الذهاب ومثله اخروط وقوله وثب الى الناقة
فرحلها يعني شد عليها الرحل وبه سميت الراحلة لانها فاعلة
بمعنى مفعولة كقوله تعالى في عيشة راضية اي مرضية
ومن ماء دافق اي مدفوق والراحلة تقع على الناقة
والجمل ودخول الهاء فيها للمبالغة مثل داهية وراوية
وقوله ارتحلها اي ركبها وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه
وسلم سجد فركبه الحسن فابطأ في سجوده فلما قضى صلاته
قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان اعجله وقوله ورعتها اي ازعجها
واشخصها واخذ بها في الرحيل ومنه الخبر تخرج عند اقتراب
الساعة نار من قعر عدن ترحل الناس وقوله فادلجي واوتب

وأسرى الادلاج ان يسير الليل كله والاسم منه الدلجة
بفتح الدال والادلاج بالتشديد ان يسير من آخره والاسم
منه الدلجة بضم الدال وفتحها بمعنى واحد والتأويب
سير النهار وحده والاسآد ان تسير ليلا ونهارا والتفنيح
ان تسرب دون الرتك وقوله فاخذهم ما قدم وما حدث
يقال ذلك لمن يستولي عليه الهم والدال من حدث
تضم في هذا الموضع وحده ليوافق لفظها لفظ قدم فان
أفرد حدث عن قدم فان افرد حدث عن قدم وجب فتح
الدال منه ومنه قولهم هنأني ومرأني تحذف الالف من
امرأني اذا ذكر مع هنأني فان افردته امرأني الشيء و
قوله ذهب تحت كل كوكب هذا المثل يضرب لمن يختلف
في السفر طرقهم وتتباين سبلهم

المقامة الخامسة والاربعون

حكى الحرث بن همام قال كنت اخذت عن اولي التجارب
ان السفر مرآة الاعاجيب فلم ازل اجوب كل تنوفة
واقتحم كل مخوفة حتى اجتليت كل طرفة فمن احسن
ما لمحته واغرب ما استملحته اني حضرت قاضي الرملة وكان
من ارباب الدولة والصولة وقد ترافع اليه بال في بال
وذات جمال في اسمال فهم الشيخ بالكلام وتبيان المرام
فمنعته الفتاة من الافصاح وخفته عن النباح
ثم لفتت عنها فضلة الوشاح وانشدت بلسان السليطة الوقاح

يا قاضي الرملة يا ذا الذي ... في يده التمرة والجمرة
اليك اشكو جور بعلي الذي ... لم يحج البيت سوى مرة
وليته لما قضى نسكه ... خفف ظهرا اذ رمى الجمرة
كان على رأي ابي يوسف ... في صلة الحجة والعمرة
هذا على اني مذ ضمني ... اليه لم اعص له امرة
فمره اما الغنية حلوة ... رضى واما فرقة مرة
من قبل ان اخلع ثوب الحيا ... في طاعة الشيخ ابي مرة

فقال له القاضي قد سمعت ما عزته اليك وتوعدتك عليه فجانب ما عرك وحاذر ان تفرك وتعرك
فجثت الشيخ على ركبتيه وفجر ينبوع نغثاته وقال

اسمع عداك الذم قول امرئ ... يوضح فيما رابها عذره
والله ما اعرضت عنها قلى ... ولا هوى قلبي قضى نذره
وانما الدهر عدا صرفه ... فابتزنا الدق والذرة
فمنزلي قفر كما جيدها ... عطل من الخرزة والشذرة
وكنت من قبل ارى في الهوى ... ودينه رأي بني عذرة
فمذ نبا الدهر هجرت الدمى ... هجران عف اخذ حذره
وملت عن حرثي لا رغبة ... عنه ولكن اتقي بذره
فلا تلم من هذه حاله ... واعطف عليه واحتمل هذره

قال فالتظت المرأة من مقاله وانتضت الحجج لجداله
وقالت له ويلك يا مرقعان يا من هو لا طعام ولا طعان
ايضيق بالولد ذرعا ولكل اكولة مرعى لقد ضل فهمك

واخطأ سهمك فقال لها القاضي اما انت فلو جادلت
الخنساء لانثنت عنك خنساء واما هو فان كان صدق
في زعمه ودعوى عدمه فله في حسم قتبقيه ما يشغل
عن ذبذبه فاطرقت تنظر ازورارا ولا ترجع حوارا
حتى قلنا قد راجعها الخفر او حاق بها الظفر فقال
لها الشيخ تعسا لك ان زخرفت او كتمت ما عرفت
فقالت ويحك وهل بعد المناقرة كتم او يبقى لنا
على سر ختم وما فينا الا من صدق وهتك صونه اذا
نطق فليتنا لاقينا البكم ولم نلق الحكم ثم التفعت
بوشاحها وتباكت لافتضاحها وجعل القاضي يعجب
من خطبهما ويعجب ويلوم الدهر لهما ويؤنب ثم احضر
من الورق الفين وقال ارضيا بهما الاحوفين وعاصيا
التنازع بين الالفين فشكراه على حسن التراج
وانطلقا وهما كالماء والراح وطفق القاضي بعد سرحهما
وتنائي شبحهما يثني على ذهنهما ويقول هل من عارف
بهما فقال له نجي اعوانه وخالصة خلصائه اما الشيخ
فالسروجي المشهود بفضله واما المراة فقعيدة رحله
واما تحاكمهما فمكيدة من فعله واحبولة من حبائل ختله
فاحفظ القاضي ما سمع وتلهب كيف خدع ثم قال
للواشي بهما قم فردهما ثم اقصدهما وصدهما فنهض
ينفض مذرويه ثم عاد يضرب اصدريه فقال له القاضي

اظهرنا على ما نبذت ولا تخف ما استخبنت فقال ما زلت
استقري الطرق واستفتح الغلق الى ان ادركتهما مصحرين
وقد زما مطي البين فرغبتهما في العود وكفلت لهما
ببلل الامل فاشرأب قلب الشيخ ان ييئس وقال
الفرار بقراب اكيس وقالت بل العود احمد والفرقة انكد
فلما تبين الشيخ سفه رأيهما وعز اجترابهما امسك
ذلاذلهما ثم انشا يقول لهما

دونك نصحي فاقتفي سبله ... واغني عن التفصيل بالجملة
طري متى نفرت من محلة ... وطلقيها بتة بتلة
وحاذري العود اليها ولو ... شنتها نا طورها الابلة
فخير ما للص الا يرى ... ببقعة فيها له عملة

ثم قال لي لقد عنيت فيما وليت فارجع من حيث
جئت وقل لمرسلك ان شئت

رويدك لا تعقب جميلك بالاذى
فيضحي وشمل المال والحمد منصدع
ولا تغضب من تزيد اهل فما
هو في صنوع الناس بمبتدع
وان تك قد نالتك مني خديعة
فقبلك شيخ الاشعرين قد خدع

فقال القاضي قاتله الله فما احسن شجونه واملح فنونه
ثم انه اصحب رائده بردين وصرة من العين وقال له سر

من لا يرى الالتفات الى ان ترى الشيخ والفتاة قبل
يديهما بهذا الحبأ وبني لهما انخداعي للادبار قال
الراوي فلم ار في الاغراب كهذا التعجاب ولا سمعت
بمثله ممن جال وجاب

المقامة السادسة والاربعون

حدث الحرث بن همام قال نزع بي الى حلب
شوق غلب وطلب يا له من طلب وكنت يومئذ
خفيف الحاذ حثيث النفاذ فاخذت اهبة السير
وخففت نحوها خفوف الطير ولم ازل مذ حللت
ربوعها وارتبعت ربيعها افاني الايام فيما
يشفي الغرام ويروي الاوام الى ان اقصر القلب
عن ولوعه واستطار غراب البين بعد وقوعه
فاغراني البال الخلو والمرح الحلو بان اقصد حمص
لاصطاف ببقعتها واسبر رقاعة اهل رقعتها
فاسرعت اليها اسراع النجم اذا انقض للرجم فحين
خيمت برسومها ووجدت روح نسيمها لمح طرفي
شيخا قد اقبل هريره وادبر غريره وعنده
عشرة صبيان صنوان وغير صنوان فطاوعت في
قصده الحرص لاخبر به اذا احمص فتيي حين
وافيته وحييت باحسن تحيته فجلست اليه
لابلو جنى نطقه واكتنه كنه حمقه فما لبث ان اشار

بعصيته الى اكبر اصيبيته وقال انشد الابيات
العواطل واحذر ان تماطل فجثا جثوة ليث
وانشد من غير ريث

اعدد لحسادك حد السلاح ... واورد الامل ورد السماح
وصارم اللهو ووصل المها ... واعمل الكوم وسمر الرماح
واسع لادراك محل سما ... عماده لا لادراع المراح
والله ما السودد حسو الطلا ... ولا مراد الحمد رود رداح
واها لحر صدره واسع ... وهمه ما سر اهل الصلاح
موارده حلو لسؤاله ... وماله ما سألوه مطاح
ما اسمع الامل ردا ولا ... ماطله والمطل لوم صراح
ولا اطاع اللهو لما ادعى ... ولا كلا راحه كاس راح
سوده اصلاحه سره ... وردعه اهواءه والطماح
وحصل المدح له علمه ... ما مهر العور مهور الصحاح

فقال له احسنت يا بدير يا راس الدير ثم قال للتلو
المتلبه بصنوه ادن يا نويرة يا قمر الدويرة
فدنا ولم يتباطا حتى حل منه مقعد القطا فقال
له اجز الابيات العرائس وان لم يكن نفائس فقرى
وقطا ثم احتجر اللوح وخط

فتنتني فجننتني تجني ... بتجن يفتن غب تجني
شغفتني بجفن ظبي غضيض ... غنج يقتضي تقيض جفني

غشيتني بزينتين فشفتني
بزي يشف بين تشني
فتظنيت تجنبني فتجنبني
بنفث يشفي فخيبت ظني
نبتت في غشن جنب بتزين
خبيث بنفي تشفي ضغن
فزنت في تجنني فشتني
بنشيج يشجي بفن فنن

فلما نظر الشيخ الى ما حبره وتصفح ما زبره
قال له بورك فيك من طلا كما بورك في لا ولا
ثم هتف اقرب يا قطرب فاقترب منه فتى
يحكي نجم دجية او تمثال دمية فقال له
ارقم الابيات الاخياف وتجنب الخلاف
فاخذ القلم ورقم

اسمح فبث السماح زين ولا تخب آملا تضيف
ولا تجز رد ذي سؤال فنن ام في السؤال خفف
ولا تظن الدهر يبقي مال ضنين ولو تقشف
واحلم فخفض الكرام يغضي وصدرهم في العطا تفقف
ولا تخن عهد ذي وداد ثبت ولا تبغ ما تزيف

فقال لا شلت يداك ولا كلت مداك ثم
نادى يا غشمشم يا عطر منشم فلباه غلام

كذرة غواص وجوذر قناص فقال له اكتب
الابيات المتائيم ولا تكن من المتائيم فتناول
القلم المثقف وكتب ولم يتوقف

زينت زينب بقد يقد
وتلاه ويلاه نهد يهد
جندها جيدها وظرف وطرف
ناعس ناعش بجد يجد
قدرها قد زها وتاهت وباهت
واعتدت واعتدت بجد يجد
فارقتني فارقتني وشطت وسطت
ثم نمت ثم وجد ووجد
فدنت فديت وحيت وحنت
مغضب مغضبا يود يود

فطفق الشيخ يتأمل ما سطره ويقلب به نظره فلما
استحسن خطه واستصح ضبطه قال له لا شل عشرك
ولا استخبث نشرك ثم اهاب بغلام فتان يستفز
عن ازهار بستان فقال له انشد البيتين المطرفين
المشتبهي الطرفين اللذين اشتكى كل نافث وامثالا
ان يعززا بثالث فقال له اسمع لا وقر سمعك
ولا هزم جمعك وانشد من غير تلبث ولا تريث

سم سمة تحسن آثارها واشكر لمن اعطى ولو سمسمة

والكرم مهما استطعت لا تأته لتقتني السؤدد والمكرمه
فقال له اجدت يا زغلول يا ابا الغلول ثم نادى
اوضح يا ياسين ما يشكل من ذوات السين فنهض
ولم يتأن وانشد بصوت اغن
نقس الدواة ورسغ الكف مثبتة
سناهما ان هما خطا وان دربا
وهكذا السين في قسب وباسقة
والسغب والنخس واقسر واقبس قبسا
وقد تغسست بالتبس الكلام
وفي سيطر وشموس واتخذ حرسا
وفي قريس وبرد قارس فخذ
الصواب مني وكن للعلم مقتبسا
فقال له احسنت يا نغيش يا صناجة الجيش ثم قال
شب يا عنبسة وبين الصادات الملتبسة فوثب
وثبة سبل مشار ثم انشد من غير عثار
بالصاد تكتب قد قبصت دراهما
يا ناملي واصخ لتسمع الخبر
وبصقت ابصق والصماح وصنجة
والعقص وهو الصدر واقبص الاثر
وكيف مقلة وهذى قرصة
وقد ارعدت منه الفريصة للخوف

القرت

١١٩

وقرصت هنداً اي جبنت وقد دنا
فصح النصارى وهو عيد منتظر
وقرصته والخمر قارصة اذا
حذث اللسان وكل هذا مستطر
فقال له رعياً لك يا بني فلقد اقررت عيني
ثم استنهض ذا جبة كالبيدق ونغبة كالسودق
وامره بان يقف بالمرصاد ويسرد ما اجري على السين
والصاد فنهض يسحب بردنيه ثم انشد مشيرا بيديه
ان شئت بالسين فاكتب ما ابينه
وان تشا فهو بالصاد يكتتب
مغس وفقس ومسطار ومملس
وسالغ وسراط الحق والسقب
المغس المعترض في الجوف وهو بسكون الغين والفقس
نقس البيضة والمسطار الخمرة المزة ويقال المصطار
ايضا والمملس الذي تسقط من يدك والالتنوبة والسالغ
اخو استان ذوات الظلف والسقب القرب
والاسنان وصقر والتسويق ومسلاق وعن كل هذا
تفصح الكتب السماخ جانب الفم والمسلاق
الشديد الصوت ومنه قوله تعالى سلقوكم بالسنة
حداد فقال له احسنت يا حبقة يا عين لقة ثم
نادى يا دغفل يا ابا زنفل فلباه فتى احس

من بيضة في روضة فقال له ما عقد هجاء الافعال
التي اواخرها حروف اعتلال فقال له اسمع لا صمّ صداك
ولا سمعت عداك ثم انشد وما استرشد

اذا الفعل يوما غمّ عنك هجاؤه
فالحق به تاء الخطاب ولا تقف
فان ترَ قبل التاء ياء فكتبه
بياء والا فهو يكتب بالالف
ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي
تعدّاه والمهموز في ذاك يختلف

فطرب الشيخ لما اداه وعوّذه وفدّاه ثم قال
هلم يا قعقاع يا باقعة البقاع فاقبل صبيّ
احسن من نار القرى في عين ابن السرى فقال له
اصدع بتمييز الظاء من الضاد لتصدع اكباد
الاضداد فاهتز لقوله واهتش ثم انشد
بصوت اجش

ايها السائلي عن الضاد والظا ... لكيلا تضلّه الالفاظ
ان حفظ الظاءات تغنيك فاسمعها ... استماع امرئ له استيقاظ
هي ظمياء والمظالم والاظلام ... والظلم والظبا واللحاظ
والعظا والظليم والظبي ... والشيظم والظل واللظى والشواظ
والتظني واللفظ والنظم ... والتقريظ والقيظ والظما واللماظ
والحظا والنظير والظئر ... والجاحظ والناظرون والايقاظ

والتشظي

والتشظي والظلف والعظم ... والظنبوب والظهر والشظا والشظاظ
والاظافير والمظفر والمحظور ... والحافظون والاحفاظ
والحظيرات والمظنة والظنة ... والكاظمون والمغتاظ
والوظيفات والمواظب والكظة ... والانتظار والالفاظ
ووظيف وظالع وعظيم ... وظهير والفظ والاغلاظ
ونظيف والظرف والظلف ... الظاهر ثم الفظيع والوعاظ
وعكاظ والظعن والمظ ... والحنظل والقارظان والاوشاظ

المظ رمان البر والقارظ جاني القرظ وهو النبات
المدبوغ به والاوشاظ الاخلاط والجماعات وظراب الظراب
والشظف الباهظ والجعظري والجواظ الظراب
الربا الصغار واحدتها ظرب والشظف البوس
وسوء العيش والجعظري المنتفخ بما ليس عنده
والجواظ الفاجر وقيل الاكول المختال
والظرابين والحنافظ والعنظب ثم الظبيان والارعاظ
الظرابين جمع ظربان وهي دابة لا يطاق فسوها ويجمع
ايضا على ظرابي بحذف النون وعلى ظربى وهو جمع شاذ
ولم يجئ جمع على فعلى الا هذا وحجلى جمع حجل والحنافظ
ذكور الخنافس والعنظب ذكر الجراد والظيان ياسمين
البر والارعاظ جمع رعظ وهو مدخل النصل في السهم
والشناظي والدلظ والظاب والظبظاب والعنظوان والجنعاظ
الشناظي نواحي الجبل والدلظ الدفع والظاب الصخب

وقد تبدل الباء ميماً وقيل ان الظاب والظام
اسمان لسلف الرجل والعنظوان نبت والظبظاب
الداء يقال ما به ظبظاب كما يقال ما به قلبة
والجنعاظ الاحمق وقيل انه المتسخط عند الطعام
والشناظير والتعاظل والعظلم والبظر بعد والانعاظ
الشناظير جمع شنظير وهو السيء الخلق والتعاظل تلازم
الجراد والكلاب عند السفاد والعظلم الخطمي هي هذي
سوى النوادر فاحفظها ... لتقفو آثارك الحفظ
واقض فيما صرفت منها كما ... تقضيه في اصله كقيظ وقاظوا
فقال له الشيخ احسنت لا فض فوك ولا بُرّ من
يجفوك فوالله انك مع الصبي الغض لاحفظ من الارض
واجمع من يوم العرض ولقد اوردتك ورفقتك
زلالي وثقفتكم تثقيف العوالي فاذكروني اذكركم
واشكروا لي ولا تكفرون قال الحرث بن همام فعجبت
لما ابدى من براعة معجونة برقاعة واظهر من حذاقة
ممزوجة بحماقة ولم يزل بصري يصعد فيه ويصوب
وينقر عنه وينقب وهو كمن يخبط في ظلماء او يكبو
في نهار فلما استراب تنبهي واستبان تدلهي حملق
الي وتبسم وقال لم يبق من يتوسم فبهت لفحوى
كلامه ووجدته ابا زيد عند ابتسامه واخذت الومه
على تدرع بقعة النوكى وتخير حرفة الحمقى فكأن وجهه

اسف

اسف رماداً او اشرب سواداً الا انه انشد وما ادّى

تحيرت حمص وهذي الصناعة ... لارزق حظوة اهل الرقاعة
فما يصطفي الدهر غير الرقيع ... ولا يوطن المال الا بقاعه
ولا لاحي اللب من دهره ... سوى مالعير ربيط بقاعه

ثم قال اما ان التغفل اشرف صناعة واربح بضاعة
وانجح شفاعة وافضل براعة ورب ذي امرة مطاعة
وهيبة شاعة ورعية مطواعة يتسيط تسيط
امير ويرتب ترتيب وزير ويتحكم تحكم قدير
ويتغنى بذي ملك كبير لولا انه يحرف في ادبير
ويتسم بحمق شهير ويغلب بعقل صغير ولا ينبئك
مثل خبير فقلت له تالله انك لابن الايام وعلم
الاعلام والساحر اللاعب بالافهام المذلل له سبل الكلام
ثم لم ازل معتكفاً بناديه ومغترفا من سيل واديه
الى ان غابت الايام الغر ونابت الاحداث الغبر
ففارقته ولعيني العبر

المقامة السابعة والاربعون

حكى الحرث بن همام احتجت الى الحجامة وانا بحجر اليمامة
فارشدت الى شيخ يحجم بلطافة ولا يسفر عن نظافة
فبعثت غلامي لاحضاره وارصدت نفسي لانتظاره
فابطأ بعدما انطلق حتى خلته قد ابق او ركب
طبقاً عن طبق ثم عاد عود المخفق مسعاه الكل

على مولاه فقلت له ويلك ابطأ فند وصلود
زند فزعم ان الشيخ اشغل من ذات النحيين وفي
حرب كحرب حنين فعفت المشي الى حجام وحرت
بين اقدام واحجام ثم رأيت ان لا تعنيف على من يأتي
الكنيف فلما شهدت موسمه وشاهدت ميسمه
رأيت شيخا هيئته نظيفة وحركته خفيفة وعليه
من النظارة اطواق ومن الزحام طباق وبين يديه
فتى كالصمصامة يستهدف للحجامة والشيخ يقول له
اراك قد ابرزت راسك قبل ان تبرز قراضتك
ووليتني قذالك ولم تنقدني ذلك ولست ممن يبيع
نقدا بدين على عبد مناف او لخالك وان عبد المدان
ولا تضرب في حديد بارد ولا تطلب ما لست له بواجد
وباه اذا ما هيبت بموجودك لا بجدودك وبمحصولك
لا باصولك وبصفاتك لا برفاتك وباعلاقك
لا باعراقك ولا تطع الطمع فيذلك ولا تتبع الهوى
يضلك ولله در القائل لابنه

بني استقم فالعود تنمي عروقه
قويا ويغشاه اذا ما التوى التوى
ولا تطع الحرص المذل وكن فتى
اذا التهبت احشاؤه بالطوى طوى
وعاص الهوى المردي فكم من محلق

الى النجم

الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى
واسعف ذوي القربى فيقبح ان يرى
على من الى الحر اللباب انضوى ضوى
وحافظ على من لا يخون اذا نبا
زمان ومن يرعى اذا ما التوى نوى
وان تقتدر فاصفح فلا خير في امرئ
اذا اعتلقت اظفاره بالشوى شوى
واياك والشكوى فلم تر ذا نهى
شكا بل اخو الجهل الذي ما ارعوى عوى

فقال الغلام للنظارة ما للعجيبة والطرفة الغريبة
انف في السماء واست في الماء ولفظ كالصهباء
وفعل كالحصباء ثم اقبل على الشيخ بلسان سليط
وغيظ مستشيط وقال اف لك من صوانع ريائك
رواغ عن الاحسان تأمر بالبر وتعق عقوق الهر
فان يكن سبب تعنتك نفاق صنعتك فرماها
الله بالكساد واقواء الحاضر حتى ترى افرغ
من حجام ساباط واضيق رزقا من سم خياط فقال له
الشيخ بل سلط الله عليك بثر الفم وتبيغ الدم
حتى تلجأ الى حجام عظيم الاشتطاط ثقيل الاشتراط
كليل المشراط كثير المخاط والضراط قال فلما تبين
الفتى انه يشكو الى غير مصمت ويزاول استفتاح

باب مصمت اضرب عن رجع الكلام واحتقر للقيام
وعلم الشيخ انه الام مما اسمع الغلام فجنح الى السلم
وبذل ان يذعن للحكمة ولا يبغى اجترا على حكمه وابى
الغلام الا التشكى بدائه والتهرب من لقائه وما زالا
فى حجاج وسباب ولزاز وجذاب الى ان ضج الفتى
من الشقاق وتلا رده سورة الانشقاق فاعول
حينئذ لو فارق خسره وانفطاط عروضه وطمره
واخذ الشيخ يعتذر من فرطاته ويغيض من عبراته
وهو لا يصغى الى اعتذاره ولا يقصر عن استعباره
الى ان قال له فداك عمك وعداك ما يعمك
اما تئم الاعوال اما تعرف الاحتمال الم تسمع
بمن قال واخذ يقول من قال احمد

احمد بحلمك ما يذكيه ذو سفه
من نار غيظك واصفح ان جنا جانى
فالحلم افضل ما ازدان اللبيب به
والاخذ بالعفو احلا ما جنا جانى

فقال له الغلام اما انك لو ظهرت على عيشى
المنكدر لعذرت فى دمعى المنهمر ولكن هان
على الاملس ما لاقى الدبر ثم كانه نزع الى الاستحياء
فاقلع عن البكاء وفاء الى الارعواء وقال للشيخ
قد صرت الى ما اشتهيت فارقع ما اوهيت فقال

هيهات

هيهات شغلت شعابى جدواى فشم بارق
سواى ثم انه يستقرى الصفوف ويستجدى
الوقوف وينشد فى ضمن ما يطوف

اقسم بالبيت الحرام الذى
تهوى اليه الزمر المحرمة
لو ان عندى قوت يوم لما
مست يدى المشط والمجلمة
ولا ارتضت نفسى التى لم تزل
تسمو الى المجد بهذه السمة
ولا اشتكى هذا الفتى غلظة … منى ولا شكة منى حطمة
لكن صروف الدهر غادرتنى … كخابط فى الليلة المظلمة
واضطرنى الفقر الى موقف … من دونه خوض اللظى المضرمة
فهل فتى تدركه رقة … على او تعطفه مرحمة

قال الحارث بن همام فكنت اول من آوى لبلواه ورق
لشكواه فنفحته بدرهمين وقلت لا كانا ولو كان ذا من
فابتهج بباكورة جناه وتفاءل بها لغناه ولم تزل
الدراهم تنهال عليه وتنثال لديه حتى آل ذاعية خضراء
وحقيبة بجراء فازدهاه الفرح عند ذلك وهنا نفسه
هنالك وقال للغلام هذا ريع انت بذرته وحلب لك
شطره هلم لنقتسم ولا نختصم فتقاسماه بينهما شق
الايمة ونهض متفق الكلمة ولما انتظم عقد الاصطلاح

وهمّ الشيخ بالرواح فقلت له قد تبوّغ دمي ونفثت
اليك قدمي فهل لك في ان تحجمني وتخفف ما
دهمني فصوّب طرفه فيّ وصعّد ثم ازدلف اليّ وانشد

كيف رأيت خدعتي وختلي ... وما جرى بيني وبين سخلي
حتى انثنيت فائزاً بالخصل ... ارعى رياض الخصب بعد المحل
بالله يا مهجة قلبي قل لي ... هل ابصرت عيناك قط مثلي
يفتح بالرقية كل قفل ... ويسبي بالسحر كل عقل
ويمزج الجدّ بماء الهزل ... ان يكن الاسكندري قبلي
فالطلّ قد يبدو امام الوبل ... والفضل للوابل لا للطلّ

قال فنبّهتني ارجوزته عليه وارتني انه شيخنا المشار
اليه فقرّعته على الابتذال والالتحاق بالارذال
فاعرض عمّا سمع ولم يبال بما قرّع وقال كل الحذاء
يحتذي الحافي الوقع ثم قاصاني مقاصاة المهان
وانطلق وابنه كفرسي رهان قال القسم بن علي رضي الله
عنه قد اودعت هذه المقامة بضعة عشر مثلا
من امثال العرب وفسّرت منها ما خاله يلتبس على من
تقتبس اما قوله بطء فند فهو مولى عائشة بنت
سعد بن ابي وقاص وكانت بعثته بالمدينة ليقتبس
لها نارا فقصد مصر واقام بها سنة ثم جاءها بعد
السنة يشتدّ ومعه جمر فتبدّد منه فقال تعست
العجلة واما ذات النحيين فهي امرأة من تيم الله بن ثعلبه

حضرت

حضرت سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلى بها
خوّات بن جبير الانصاري ليبتاعهما منها ففتح
احدهما وذاقه ودفعه اليها فامسكته باحدى يديها
ثم فتح الآخر وذاقه ودفعه اليها فامسكته بيدها
الاخرى ثم غشيها وهي لا تقدر على الدفع عن نفسها
لحفظها فم النحيين وشحّها على السمن فلما قام عنها
قالت له لاهنأك فضرب بها المثل فيمن شغل وحر
في هذا المثل مفعوله لانها شغلت واكثر الامثال التي
على افعل تأتي من فعل الفاعل واما قوله انف في السماء
واست في الماء يضرب هذا المثل لمن يتكبر مقالا
ويتصغر فعالا واما قوله افرغ من حجام ساباط
فذكر انه كان حجاما بساباط المدائن يحجم الجندي
بدانق نسيئة وربما مرت عليه برهة لا يقربه فيها احد
فكان يبرز امّه عند تمادي عطلته فيحجمها لكيلا يقرع
بالبطالة فلما زال يحجمها حتى نزفت دمها وماتت
واما قوله يشكو الى غير مصمت فهو مثل يضرب لمن لا
يكترث بشكوى صاحبه ولا يبالي باستمرار شكايته
لانه لو اشتكى لصمت وامسك عن الكلام ومنه قول

قول الزاجر

انك لا تشكو الى مصمت ... فاصبر على الحمل الثقيل او مت

ونحو هذا المثل قولهم على الاملس ما لاقى الدبر واما قوله

شغبت شغبي جدواي فالمراد به انه ليس يفضل
عني ما اصرفه الى غيري والشعاب النواحي واحدها
شعب وقوله كل الحذا يحتذي الحافي الوقع
معناه ان المجهود يقنع بما يجد والوقع ان
يصيب الحجارة القدم فتوهيها واما البعير
الموقع فهو الذي تكثر آثار الدبر بظهره

المقامة الثامنة والاربعون

روى الحارث ابن همام عن ابي زيد السروجي
قال ما زلت مذ رحلت عنسي وارتحلت عن
عرسي وغرسي احن الى عيان البصرة حنين
المطلوم الى النصرة لما اجمع عليه ارباب الدراية
وارباب الرواية من خصايص معالمها وعلمائها
ومآثر مشاهدها وشهدائها واسأل الله ان
ان يوطئني ثراها لافوز بمرآها وان يمطيني قراها
لاقتري قراها فلما احلنيها الحظ وسرح لي فيها
اللحظ رايت بها ما يملأ العين قرة ويسلي
عن الاوطان كل غريب فغلست في بعض الايام
حين نصل خضاب الظلام وهتف ابو المنذر
بالنوام لاخطو في خططها واقضي الوطر من
توسطها فاداني الاختراق في مسالكها والانصلات
في سككها الى محلة موسومة بالاحترام منسوبة الى

بني

بني حرام ذات مساجد مشهودة وحياض مورودة
ومبان وثيقة ومغان انيقة وخصايص
اثيرة ومزايا كثيرة

بها ما شئت من دين ودنيا ... وجيران تنافوا في المعاني
فمشغوف بآيات المثاني ... ومفتون برنات المثاني
ومضطلع بتلخيص المعاني ... ومطلع الى تخليص عاني
وكم من قارئ فيها وقار ... اضر بالجفون وبالجفان
وكم من معلم للعلم فيها ... وناد للندى حلو المجاني
ومغنى ما تزال تغن فيه ... اغاريد الغواني والاغاني
فصل ان شئت فيها من يصلي ... وان شئت فادن من الدنان
ودونك صحبة الاكياس فيها ... او الكاسات منطلق العنان

فبينا انا انفض طرقها واستشف رونقها اذ لمحت
عند دلوك براح واظلال الرواح مسجدا مشتهرا
بطرائقه مزدهرا بطوائفه وقد اجرى اهله ذكر
حروف البدل وجروا في حلبة الجدل فعجت نحوهم
لاستمطر نوءهم لا لاقتبس نحوهم فلم يك الا كقبسة
العجلان حتى ارتفعت الاصوات بالاذان ثم
ردف التاذين بروز الامام فاغمدت ظبى الكلام
وحلت الحبى للقيام وشغلنا بالقنوت عن استمداد
القوت وبالسجود عن استنزال الجود ولما قضي
الوقف وكاد الجمع ينفض ابزى من الجماعة كهل

حلو البراعة له مع السمت الحسن ذلاقة اللسن
وفصاحة الحسن وقال يا جيرتي الذين اصطفيتهم
على اعضان شجرتي وجعلت خطتهم دار هجرتي
واتخذتهم كرشي وعيبتي واعددتهم لمحضري
وغيبتي اما تعلمون ان لبوس الصدق ابهى
الملابس الفاخرة وان فضوح الدنيا اهون
من فضوح الاخرة وان الدين امحاض النصيحة
والارشاد عنوان العقيدة الصحيحة وان
المستشار موتمن والمسترشد بالنصح قمن وان
اخاك هو الذي عذلك لا الذي عذرك
وصديقك من صدقك فقال له الحاضرون
ايها الخل الودود والخدن المورود ما سر كلامك
الملغز وما شرح خطابك الموجز وما الذي
تبتغيه منا لينجز ولو اعجز فوالذي حبانا
بمحبتك وجعلنا من صفوة احبتك ما نألوك
نصحاً ولا ندخر عنك نضحاً فقال جزيتم خيراً ووقيتم
ضيراً فانكم من لا يشقى بهم جليس ولا يصدر
عنهم تلبيس ولا يخيب فيهم مظنون ولا ينطوي
دونهم مكنون وسابثكم ما حك في صدري واستفتيكم
ما عيل له صبري اعلموا اني كنت عند صلود الزند
وصدود الجد اخلصت مع قتادة نية العقد واعطيته

صفقة

١٢٦

صفقة العهد على ان لا اغادر اثماً ولا اعاقر نداماً
ولا احتسي قهوة ولا اكتسي نشوة فسولت
لي النفس المضلة والشهوة المذلة ان نادمت
الابطال وعاطيت الارطال واضعت الوقار
وارضعت العقار واستطيت مطا الكميت
وتناسيت التوبة كالميت ثم لم اقنع بما اتيتكم
المنة في طاعة ابي مرة حتى عكفت على الخندريس
يوم الخميس وبت صريع الصهبا في الليلة
الغراء وها انا بادي الكآبة لرفض الانابة نابي
الذاقة لوصل المداومة شديد الاشفاق
من نقض الميثاق معترف بالاسراف في عب
السلاف فيا قوم هل كفارة تعرفونها تحت عني
من ذنبي وتدنيني الى ربي قال ابو زيد فلما حل
انشوطة تفسيره وقضى الوطر من استنكاء بثه
اجابني بنفسي يا ابا زيد هات بهذه صيد فشمرت عن يد
وايد فانتهضت من مجثمي انتهاض الشهم
وانخرطت من الصف انخراط السهم وقلت

ايها الاروع الذي فاق مجداً وسودداً
والذي يبتغي الرشاد لينجو به غدا
ان عندي علاج ما بثه منه مسهدا
فاستمعها عجيبة غادرتني ملددا

انا من ساكني سروج ذوي الدين والهدى
كنت ذا ثروة بها ومطاعا مسودا
ربعي مالف الضيوف ومالي لهم سدا
اشتري الحمد بالنهى واقي العرض بالجدا
لا ابالي بمنفس طاح في البذل والندا
واقد النار باليفاع اذا الليل اخمدا
ورأى المعتفون ملاذا ومعتقدا
لم يشم بارقي صد فانثنى يشتكي الصدا
لا ولا رام قابس قدح زندي فاصلدا
طال ما عدا الزمان فاصبحت مسعدا
فقضى الدهر ان يغير ما كان عوّدا
تبوأ الروم ارضنا بعد ظعن توكدا
فاستباحوا الحريم منها وفوه موقدا
وحووا كل ما استتر بها لي وما بدا
فتطوحت في البلاد طريدا مشردا
اجتدي الناس بعد ما كنت من قبل مجتدا
وترى بي خصاصة التي لها الردا
والبلاء الذي به تشمل النفس تبددا
استباء ابنتي التي اسروها لتفتدا
فاستبن محنتي وعد الى نصرتي يدا
واجرني من الزمان فقد جار واعتدا

واعنى على فكاك ابنتي من يد العدا
فبذا تمحي المآثم عمن تمردا
وبه تقبل الانابة ممن تزهدا
وهو كفارة لمن زاغ من بعد ما اهتدى
ولئن قمت منشدا فلقد قمت مرشدا
فاقبل النصح والهداية واشكر لمن هدى
واسمح الآن بالذي تبتغي ليحمدا

قال ابو زيد فلما احكمت هذرمتي واوهم المبذول صدق كلمتي اعزاه الفرم الى الكرم بموساتي ورغبه الكلف بحمل الكلف في مقاساتي فرضخ لي على الحافرة ونضح لي بالعدة الوافرة فانقلبت الى وكري فرحا بنجح مكري وقد حصلت من صوغ المكيدة على سوغ الثريدة ووصلت من حول القصيدة الى لوك العصيدة قال الحرث بن همام فقلت له سبحان من ابدعك فما اعظم خدعك فاستغرب في الضحك ثم انشد غير مرتبك

عش بالخداع فانت في | دهر بنوه كاسد بيشه
وادر قناة المكر حتى | تستدير رحا المعيشة
وصد النسور فان تعذر | صيدها فاقنع بريشه
واجن الثمار فان تفتك | فرض نفسك بالحشيشة
وارح فوادك ان نبا | دهر من الفكر المطيشة

فتغاير الاحداث يوذن باستحالة كل عيشة

المقامة التاسعة والاربعون

الساسانية حكى الحارث بن همام قال
بلغني ان ابا زيد ناهز القبضة وابتزه قيض
الهرم للنهضة احضر ابنه بعد ما استجاش ذهنه
وقال له يا بني انه قد دنا ارتحالي من الفناء
واكتحالي بمرود الفناء وانت بحمد الله ولي
عهدي وكبش الكتيبة الساسانية من بعدي و
مثلك لا تقرع له العصا ولا ينبه بطرق الحصا
ولكن قد ندب الى الاذكار ويجلو صيقلاً للافكار
واني اوصيك بما لم يوص به شيث الانباط
ولا يعقوب الاسباط فاحفظ وصيتي وجانب
معصيتي واحذ مثالي واقتف امثالي فانك
ان استرشدت بنصحي واستصبحت بصبحي امرع
خانك وارتفع دخانك وان تناسيت سورتي
ونبذت مشورتي قل رماد اثافيك وزهد
اهلك وهلك فيك يا بني اني جربت حقائق
الامور وبلوت تصاريف الدهور فرأيت المرء
بنشبه لا بنسبه والفحص عن مكسبه لا عن حسبه وكنت
سمعت ان المعايش امارة وتجارة وزراعة وصناعة
فمارست هذه الاربع لانظر ايها اوفق وانفع فما

احمدت

احمدت منها معيشة ولا استرغدت فيها عيشة
اما فرص الولايات وخلس الامارات فكاضغاث
الاحلام والفيء المنتسخ بالظلام وناهيك غصة
بمرارة الفطام واما بضائع التجارات فعرضة
للمخاطرات وطعمة للغارات وما اشبهها بالطيور
الطيارات واما اتخاذ الضياع والتصدي
للازدراع فمنهكة للاعراض وقيود عائقة
عن الارتكاض وقلما خلا ربها من اذلال او رزق
روح بال واما حرف ذوي الصناعات فغير فاضلة
عن الاقوال ولا نافقة في جميع الاوقات و
معظمها معصوب بشبيبة الحياة ولم ار ما هو
بارد المغنم لذيذ المطعم وافي المكتسب صافي
المشرب الا الحرفة التي وضع ساسان اساسها
ونوع اجناسها واضرم في الخافقين نارها واوضح
لبني غبراء منارها فشهدت وقائعها معلماً
واخترت سيماها ميسماً اذ كانت المتجر الذي
لا يبور والمنهل الذي لا يبور والمنهل الذي لا يغور
والمصباح الذي تعشو اليه الجمهور ويستصبح
به العمي والعور وكان اهلها اعز قبيل واسعد جيل
لا يرهقهم مس حيف ولا يقلقهم سل سيف ولا
يخشون حمة لاسع ولا يدينون لدان ولا شاسع

ولا يرهبون من برق ورعد ولا يحفلون بمن قام
وقعد انديتهم منتزهة وقلوبهم مرفهة و
طعمهم معجلة واوقاتهم محجلة اينما سقطوا لقطوا
وحيث ما انخرطوا خرطوا لا يتخذون اوطانا
ولا يتقون سلطانا ولا يمتازون عمن يغدو
خماصا ويروح بطانا فقال له ابنه يا ابت
لقد صدقت فيما نطقت ولكنك رتقت
وما فتقت فبين لي كيف اقتطف ومن اين تؤكل
الكتف فقال يا بني ان الانتجاع بابها
والنشاط جلبابها والفطنة مصباحها
والقحة سلاحها فكن اجول من قطرب واسرى من
جندب وانشط من ظبي مقمر واسلط من ذيب
متنمر واقدح زند جدك بكدك واقرع باب رزقك
بسعيك وجب كل فج وخض كل لج وانتجع كل
روض والق دلوك الى كل حوض ولا تسأم الطلب
ولا تمل الدأب فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا
ساسان من طلب جلب ومن جال نال واياك والكسل
فانه عنوان النحوس ولبوس ذي البوس ومفتاح
المتربة ولقاح المتعبة وشيمة العجزة الجهلة و
شنشنة الوكلة الكلة وما استار العسل من اختار
الكسل ولا ملأ الراحة من استوطأ الراحة وعليك

بالاقدام

بالاقدام ولو على الضرغام فان جرأة الجنان
تنطق اللسان وتطلق العنان وبها تدرك
الحظوة وتملك الثروة كما ان الجبن صنو الكسل
وسبب الفشل ومبطأة للعمل ومخيبة للامل ولهذا
قيل في المثل من جسر ايسر ومن هاب خاب ثم
ابرز يا بني في بكور ابي زاجر وجرأة ابي الحارث
وحذر ابي قترة وختل ابي جعدة وحرص ابي
عقبة ونشاط ابي وثاب ومكر ابي الحصين وصبر
ابي ايوب وتلطف ابي غزوان وتلون ابي براقش
واجلب بصوغ اللسان واخدع بسحر البيان وارتد
السوق قبل الجلب وامتر الضرع قبل الحلب وسل
الركبان قبل الشبع ومهد لجنبك قبل
المضطجع واشحذ بصيرتك للعيافة وانعم نظرك
في القيافة فان من صدق توسمه طال تبسمه
ومن اخطأت فراسته ابطأت فريسته وكن يا بني
خفيف الكل قليل الدل راغبا عن العل قانعا
من الوبل بالطل وعظم وقع الحقير واشكر على النقير ولا
تقنط عند الرد ولا تستبعد رشح الصلد ولا تيأس
من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون واذا خيرت بين ذرة منقودة ودرة
موعودة فمل الى النقد وفضل اليوم على الغد

فان للتأخير آفات وللغرائم بدوات وللعزائم
معقبات وبينها وبين النجح عقبات واي
عقبات وعليك بصبر اولي العزم ورفق ذوي الحزم
وجانب خرق المشتط وتخلق بالخلق السبط وقيد
الدرهم بالربط وشب البذل بالضبط ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
ومتى نبا بك بلد او نابك فيه كمد فبت منه املك
واسرح منه جملك فخير البلاد ما حملك ولا تستثقلن
الرحلة ولا تستكرهن النقلة فان اعلام شريعتنا
واشياخ عشيرتنا اجمعوا على ان الحركة بركة والطراوة
سفتجة وزروا على من زعم الغربة كربة والنقلة
مثلة وقالوا هي نقلة من اقتنع بالرذيلة ورضي
بالخسف وسوء الحيلة فاذا ازمعت الاغتراب
واعددت له العصا والجراب فتخير الرفيق المسعد من
قبل ان تقعد فان الجار قبل الدار والرفيق قبل
الطريق خذها اليك وصية لم يوصها قبلي احد

غرا حاوية خلاصات المعاني والزبد
نقحتها تنقيح من محض النصيحة واجتهد
فاعمل بما مثلته عمل اللبيب اخي الرشد
حتى يقول الناس هذا الشبل من ذاك الاسد

ثم قال له يا بني قد اوصيت واستقصيت فان اقتديت

فواها

فواها وان اعتديت فاها منك وانا خليفتي
عليك وارجو ان لا يخلف ظني فيك فقال له
ابنه يا ابت لا وضع عرشك ولا رفع نعشك
ولقد قلت سدادا وعلمت رشدا ونحلت ما لم ينحل
والد ولدا ولئن امهلت بعدك ولا ذقت
فقدك فلا تأدبن باداتك الصالحة ولا قتدين
باثارك الواضحة حتى يقال ما اشبه الليلة بالبارحة
والغادية بالرائحة فاهتز ابو زيد لجوابه وابتسم
وقال من اشبه اباه فما ظلم قال الحارث بن همام
فاخبرت ان بني ساسان حين سمعوا هذه الوصايا
البرع [?] فضلوها على وصايا لقمان وحفظوها
كما تحفظ ام القرآن حتى انهم ليرونها الى الآن اولى
ما لقنوه الصبيان وانفع لهم من نحلة العقيان

المقامة الخمسون البصرية

حكى الحارث بن همام قال اشعرت في بعض الايام همّا
برح بي استعاره ولاح على شعاره وكنت سمعت
ان غشيان مجالس الذكر يسرو غواشي الفكر
فلم ار لاطفاء ما بي من الجمرة الا قصد الجامع بالبصرة
وكان اذ ذاك ماهول المساند مشفوه الموارد
يجتنى من رياضه ازاهير الكلام ويسمع في ارجائه
صرير الاقلام فانطلقت اليه غير وان ولا لاو على ثني

فلما وطئت حصاه واستشرفت اقصاه تراءى لي
ذو اطمار بالية فوق صخرة عالية وقد عصبت
به عصب لا يحصى عديدهم ولا ينادى وليدهم فابتدرت
قصده وتوردت ورده ورجوت ان اجد
شفاء عنده ولم ازل انتقل في المراكز واغضي
الاكز والمواكز الى ان جلست تجاهه وحيث امنت
اشتباهه فاذا هو شيخنا السروجي لا ريب فيه ولا لبس
يخفيه فسرى مرآه همي وارفضت كتيبة غمي
وحين رآني وبصر بمكاني قال يا اهل البصرة رعاكم الله
ووقاكم وقوى تقاكم فما اضوع رياكم وافضل مزاياكم
بلدكم اوفى البلاد طهرة وازكاها فطرة وافسحها
رقعة وامرعها نجعة واقومها قبلة واوسعها
دجلة واكثرها انهارا ونخلة واحسنها تفصيلا وجملة
دهليز البلد الحرام وقبالة الباب والمقام واحد
جناحي الدنيا والمصر المؤسس على التقوى لم يتدنس
بنيران ولا طيف فيه بالاوثان ولا سجد على
اديمه لغير الرحمن ذو المشاهد المشهودة والمساجد
المقصودة والمعالم المشهورة والمقابر المزورة
والاثار المحمودة والخطط المحدودة به يلتقي الفلك
والركاب والحيتان والضباب والحادي والملاح
والقانص والفلاح والناشب والرامح والسارح

والسابح

والسابح وله آية المد الفائض والجزر الغائض
واما انتم فممن لا يختلف في خصائصهم اثنان ولا ينكرها
ذو شنآن دهماؤكم اطوع رعية لسلطان واشكرهم
لاحسان وزاهدكم اورع الخليقة واحسنهم طريقة على
الحقيقة وعالمكم علامة كل زمان والحجة في كل اوان
ومنكم من استنبط علم النحو ووضعه والذي ابتدع
ميزان الشعر واخترعه وما من فخر الا ولكم فيه اليد
الطولى وان شئتم فانتم احق به واولى ثم انكم اكثر
اهل مصر مؤذنين واحسنهم في النسك قوانين وبكم
اقتدي في التعريف وعرف التسحير في الشهر الشريف
ولكم اذا قرت المضاجع وهجع الهاجع تذكار
يوقظ النائم ويؤنس القائم وما ابتسم ثغر فجر
ولا نزع نوء في برد ولا حر الا ولندائكم بالاسحار
كدوي الريح في البحار وبهذا صدع عنكم النقل
واخبر النبي عليه السلام من قبل وبين ان دويكم
بالاسحار كدوي النحل في القفار فيا لكم ببشارة
المصطفى وواها لمصركم وان كان قد عفا ولم يبق منه
الا شفا ثم انه حزن لسانه وخطم بيانه حتى خدج
بالابصار وقرف بالاقصار فتنفس تنفس من
قيد لقود او ضبثت به براثن اسد ثم قال
اما انتم يا اهل البصرة فما منكم العلم المعروف ومنكم

المعرفة والمعروف وانا انا فمن عرفني فانا ذاك
ومن لم يعرفني فسأنبئه صفتي انا الذي انجد واتهم وايمن
واشام واصحر وابحر وادلج واسحر نشأت
بسروج وربيت على السروج ثم ولجت المضايق
وفتحت المغالق وشهدت المعارك ولتت
المعارك وانفذت الشوامس وارغمت
المعاطس واذبت الجوامد وامعت الجلامد
سلوا عني المشارق والمغارب والمناسم والغوارب
والمحافل والجحافل والقبايل والقنابل واستوضحوا
من نقلة الاخبار ورواة الاسمار وحداة
الركبان وحذاق الكهان لتعلموا كم في مسلك
وحجاب هتكت ومهلكة اقتحمت وملحمة
الحمت وكم الباب خدعت وبدع ابتدعت
وفرص اختلست واسد افترست وكم محلق
غادرته يقع وكاس استخرجته بالرقى وحجر سحرته
حتى انصدع واستنبطت زلاله بالخدع ولكن قد
ما فرط والغصن رطيب والفود غربيب وبرد
الشباب قشيب فاما الان وقد استشن الاديم و
تاود القويم واستنار الليل البهيم فليس الا الندم
ان نفع وترقيع الخرق الذي قد اتسع وكنت سمعت

في الآثار

في الآثار المنقولة والاخبار المعتمدة ان لله
تعالى في كل يوم نظرة وان سلاح الكماة كلهم الحديد
وسلاحكم الادعية فقصدتكم انضي الرواحل حتى قمت
هذا المقام فيكم ولا من لي عليكم اذا سعيت الآن في
حاجتي ولا بغيت الا راحتي ولست ابغي اعطياتكم
بل استدعي ادعيتكم ولا اسألكم اموالكم بل استنزل
سؤالكم فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب والاعداد
للمآب فانه رفيع الدرجات مجيب الدعوات وهو الذي
يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ثم

انشد

استغفر الله من ذنوب	افرطت فيهن واعتديت
كم خضت بحر الضلال جهلا	ورحت في الغي واغتديت
فكم اطعت الهوى اغترارا	واحتلت واغتلت وافتريت
وكم خلعت العذار ركضا	الى المعاصي وما ونيت
وكم تناهيت في التخطي	الى الخطايا وما انتهيت
فليتني كنت قبل هذا	نسيا ولم اجن ما جنيت
فالموت للمجرمين خير	من المساعي التي سعيت
يارب عفوا فانت اهل	للعفو عني وان عصيت

قال الراوي فطفقت الجماعة تمدحه بالدعاء وهو
يتقلب وجهه في السما الى ان دمعت اجفانه وبدا
رجفانه فصاح الله اكبر بانت امارة الاستجابة وانجابت

وانجابت غشاوة الاسترابة فخبرتهم يا اهل البصرة خبرا
من تحدى من الحيرة فلم يبق في القوم الا من ستر لسره ونح
ورضخ له بميسور فتقبل عفو برهم واقبل يهرف
في شكرهم ثم انحدر من الصخرة يوم شاطي البصرة و
اعتقبته الى حيث تخالينا وامن التجسس والتحسس
علينا فقلت له لقد اغربت في هذه التوبة فما اربك
في التوبة فقال اقسم بعلام الخفيات ان شاني
لعجاب وان دعاءك لمجاب فقلت زدني
افصاحا زادك الله صلاحا فقال وابيك لقد
قمت مقام المريب الخادع ثم انقلبت بقلب المنيب
الخاشع فطوبى لمن صغت قلوبهم اليه وويل لمن باتوا
يدعون عليه ثم ودعني وانطلق واودعني القلق
فلم ازل اعاني الفكر والتشوف الى خبرة ما ذكر
وكلما استنبثت خبره من الركبان وجوابة البلدان
كنت كمن حاور عجماء او نادى صخرة صماء الى ان
لقيت بعد تراخي الامد وتراقي الكمد ركبا قافلين
من سفر فقلت هل من مغربة خبر فقالوا ان عندنا
لخبرا اغرب من العنقاء واعجب من نظر الزرقاء
فسألتهم ايضاح ما قالوا وان يكيلوا الي بما اكتالوا
فحكوا انهم انتابوا سروج بعدما فارقها العلوج
فراوا ابا زيد بها المعروف قد لبس الصوف وام الصفوف
وصار بها الزاهد الموصوف فقلت اتعنون ذا المقامات

فقالوا

فقالوا انه الان ذو الكرامات فحفزني اليه النزاع
ورايتها فرصة لا تضاع فارتحلت رحلة المغذ
وسرت نحوه سير المجد حتى حللت بمسجده وقرارة
متعبده فاذا به قد نبذ صحبة اصحابه وانتصب
في محرابه وهو ذو عباءة مخلولة وشملة موصولة
فهبته مهابة من ولج على الاسود والفيته ممن
سيماهم في وجوههم من اثر السجود ولما فرغ
من سبحته حياني بمسبحته من غير ان نغم بحديث
ولا استخبر عن قديم ولا حديث ثم اقبل على اوراده
وتركني اعجب من اجتهاده واغبط من يهدي الله
من عباده ولم يزل في قنوت وخشوع وركوع
واخبات وخضوع الى ان اكمل اقامة الخمس
وصار اليوم امس فحينئذ خف بي الى بيته
واسهمني في قرصه وزيته ثم نهض الى مصلاه
وتخلى بمناجات مولاه حتى اذا التمع الفجر وحق
للمتهجد الاجر عقب تهجده بالتسبيح ثم اضطجع
ضجعة المستريح وجعل يرجع بصوت فصيح خل ادكار
الاربع والمعهد المرتبع والظاعن المودع وعد
عنه ودع

واندب زمانا سلفا   سودت فيه الصحفا

ولم تزل منعكفاً على القبيح الشنع
كم ليلة اودعتها مآثما ابدعتها
لشهوة اطعتها في مرقد ومضجع
وكم خطى حثثتها في خزية احدثتها
وتوبة نكثتها لملعب ومرتع
وكم تجرأت على رب السموات العلى
ولم تراقبه ولا صدقت فيما تدعي
وكم غمطت بره وكم امنت مكره
وكم نبذت امره نبذ الحذا المرقع
وكم ركضت في اللعب وفهت عمداً بالكذب
ولم تراع ما يجب من عهده المتبع
فالبس شعار الندم واسكب شآبيب الدم
قبل زوال القدم وقبل سوء المصرع
واخضع خضوع المعترف ولذ ملاذ المقترف
واعص هواك وانحرف عنه انحراف المقلع
الام تسهو وتني ومعظم العمر فني
فيما يضر المقتني ولست بالمرتدع
اما ترى الشيب وخط وخط في الرأس خطط
ولم يخط وخط الشمط بفوده فقد نعي
ويحك يا نفس احرصي على ارشاد المخلص
وطاوعي واخلصي واستمعي النصح وعي

واعتبري

واعتبري بمن مضى من القرون وانقضى
واخشي مفاجاة القضا وحاذري ان تخدعي
وانتهجي سبل الهدى وادكري وشك الردى
وان مثواك غدا في قعر لحد بلقع
آها له بيت البلى والمنزل القفر الخلا
ومورد السفر الاولى واللاحق المتبع
بيت يرى من اودعه قد ضمه واستودعه
بعد الفضا والسعة قيد ثلاث اذرع
لا فرق ان يحله داهية او ابله
او معسر او من له ملك كملك تبع
وبعده العرض الذي يحوي الحيي والبذي
والمبتدي والمحتذي ومن رعى ومن رعي
فيا مفاز المتقي وربح عبد قد وقي
سوء الحساب الموبق وهول يوم الفزع
ويا خسار من بغى ومن تعدى وطغى
وشب نيران الوغى لمطعم او مطمع
يا من عليه المتكل قد زاد ما بي من وجل
لما اجترحت من زلل في عمري المضيع
فاغفر لعبد مجترم وارحم بكاه المنسجم
فانت اولى من رحم وخير مدعو دعي
قال فلم يزل يرددها بصوت رقيق ويصلها بزفير

وتشهيق حتى بكيت لبكاء عينيه كما كنت من
قبل ابكي عليه ثم برز الى مسجده بوضوء تجدده
فانطلقت ردفه وصليت مع من صلى خلفه
ولما انفض من حضر وتفرقوا شغر بغر اخذ
يهينم بدرسه ويسبك بوجهه في قالب امسه
وفي ضمن ذلك يرثي ارنان الرقوب ويبكي
ولا بكاء يعقوب حتى استبنت انه قد التحق
بالافراد واشرب قلبه هوى الانفراد فاخطرت
بقلبي عزمة الارتحال وتخليته للتخلي بتلك
الحال فكانه تفرس ما نويت او كوشف بما
اخفيت فزفر زفير الاواه ثم قرأ فاذا
عزمت فتوكل على الله فاستجلبت عند ذلك بصدق
بصدق المحدثين وايقنت ان في الامة محدثين
ثم دنوت اليه كما يدنو المصافح وقلت اوصني
ايها العبد الصالح فقال اجعل الموت نصب
عينك وهذا فراق بيني وبينك فودعته و
عبراتي يتحدرن من المآقي وزفراتي يتصعدن
من التراقي وكانت هذه خاتمة التلاقي
الشيخ الرئيس ابو محمد القسم بن علي رضي الله عنه
هذا آخر المقامات التي انشأتها بالاختيار
وامليتها بلسان الاضطرار وقد كنت الى ان

ارصدتها

١٢٤
١٣٥

ارصدتها الاستعراض وناديت عليها في سوق
الاعتراض هذا مع معرفتي بانها من سقط المتاع
ومما يستوجب ان تباع ولا يبتاع ولو غشيني
نور التوفيق ونظرت لنفسي نظر الشفيق لسترت
عواري الذي لم يزل مستورا ولكن كان ذلك
في الكتاب مسطورا وانا استغفر الله تعالى مما
اودعته فيها من اباطيل اللغو
واضاليل اللهو واسترشد الى
ما يعصم من السهو ويحظي
بالعفو انه هو اهل التقوى
واهل المغفرة وولي
الخيرات في الدنيا
والاخرة

قد وقع الفراغ بعون الله تعالى في ليلة الخميس في محرم الحرام
على يد العبد الفقير المحتاج الى رحمة الله القدير
السيد يحيى بن مفتي عبد الله بن مصطفى بن محمد بن شكر الله
غفر الله لهم ولوالديهم الخطيب بجامع صديق حكيم باشي
زاده على پاشا في دار [illegible] والنائب بناحية اسكليه
من مضافات محروسة غلطه سنة ثلث وستين ومائة
والالف
اللهم حرم لحم كاتبه وقارئه وناظره على النار

١١٦٣ سنة

ملل رجع نجفی حنیج

١٢٦